

النشاط الـسـري اليـهودـي
في الفـكر والـمارـسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّشَاطُ الْسِّرِّيُّ الْيَهُودِيُّ فِي الْفِكْرِ وَالْمَارِسَةِ

غَازِي مُحَمَّدْ فَرِيج

كارل فالش

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ



كتار النّهائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فرداں - بنایة صفي الدين
ص.ب ١١/٦٣٤٧ أو ١٤٥١٥٢
برقیاً: دلفایسکو-ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بیروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الإهداء

إلى كل مجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله ،
إلى كل مؤمن بحتمية انتصار الحق على الباطل ،
إلى كل مسؤول يلي شأنًا عاماً من شؤون الأمة ،

أهدى هذا الكتاب

المؤلف

تَوْضِيْح

إن الكتب التي تنشرها الدار تُعبّر عن آراء مؤلفيها، ولا تعني
تبني الدار لما جاء فيها أو مسؤوليتها عنها بأي شكل من الأشكال.

مقدمة الناشر

ليس من عادتي تقديم كل كتاب تنشره الدار ، ولكن بعض الأبحاث المهمة ، أو الحوادث الطارئة ، تفرض نفسها ، فتدفعني للكتابة دفعاً ، وهذا ما حصل وأنا أدرس إمكانية نشر هذا الكتاب .

ففي الوقت الذي كان يظن الناس أن سماء المنطقة ملبدة بغيوم تسوية ما ، أقدم جندي إسرائيلي سابق على إطلاق النار من بندقية حربية على تجمع للعمال العرب ، في مستعمرة « ريشون ليتسیون » بالقرب من « تل أبيب » . ففارق الحياة سبعة من المصايبين فوراً ، وجرح أكثر من عشرة ، بعدما أفرغ في صدورهم ثلاثة أمشاط ذخيرة ، وهم يخرجون أوراقهم الشخصية من جيوبهم ليعرضوها عليه ، عندما طلبها منهم^(١) .

وقبل إخلاء الجرحى ، سارع وزراء ومسؤولون كبار في حكومة إسرائيل إلى التصرير بأن المجرم « مختل عقلياً » . ووصلت الوقاحة بأحددهم إلى القول : إن القاتل ظن التجمع

(١) حصل ذلك صباح يوم الأحد في ٢٠/٥/٩٠ ، وتناقلت الخبر جميع وسائل الإعلام ، وعرضت مشاهده معظم « تلفزيونات العالم » .

إسرائيلياً ، وهو في عمله كان يتحجّج على تصرفات الجيش الإسرائيلي تجاه أطفال الانفاضة (!) . مما يؤكّد لكل ذي عقل أنّ الهدف من هذه التصرّفات تبرئة الجنائي ، وعدم معاقبته على جريمتها النكراء .. ولا يخفى كم يشجع ذلك غيره ، من المتعصّبين اليهود ، على ارتكاب أعمال مماثلة .

ولم يعزّزنا الموضوع للتكمّنات ، فقد تناقلت وكالات الأنباء ، بعد يومين فقط ، أن العمليّة نفذت وفق خطة سرية مدبرة ، وضعها « أرييل شارون » ، الوزير في الحكومة الإسرائيليّة⁽¹⁾ ، بالاتفاق مع أربعة ضباط . وهي تتلخص بأنّ يقوم الشاب بفتح النار على التجمع العمالّي ، فيقتل سبعين رجلاً بدل سبعة ، مما يلقي الرعب في قلوب العرب ، ويؤدي في الوقت ذاته إلى ردة فعل عنيفة ، تعطي الجيش الإسرائيلي حجة لإطلاق النار على المتظاهرين من أطفال الانفاضة ، وقمعها بقوّة وشدة وسرعة ، وتهجير غالبية السكان العرب إلى لبنان والأردن .

هذه هي « العبرية الصهيونية » ، وهذا نموذج من خططهم السرية الإرهابية ، يضعها وزراء ، وتتستر عليها دولة ، بل تشرف على تنفيذها ، وهي التي جعلت همها الإعلامي إظهار نفسها ضحية الإرهاب ، وأي إرهاب ؟ إرهاب أطفال يرمون حجارة ، أو فتاة

(1) بعد تضييد الكتاب أعاد « إسحق شامير » تشكيل حكومته ، فخرج منها « حزب العمل » ودخلها متطرفو الأحزاب الدينية ، وتسلّم « أرييل شارون » وزارة الإسكان . وما لبث أن خرج على الناس بيعة توطين اليهود السوفيت في الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ، ونقل اليهود تلك الأرضي ليستوطنوا في الأرضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ م (!) ..

تطعن بسكين مطبخ ، أو شاب أفقدوه الأمل ففجّر نفسه بسيارة
عسكريّة !؟

* * *

كذلك ترافقت قراءتي الكتاب مع تعاظم الشعور العربي بخطر هجرة اليهود السوفيت وتوطينهم في فلسطين ، ومحاولة العرب مواجهة هذا الخطر ، والتصدي له . و كنت قد أشرت إلى ذلك في مقدمة لكتاب « عصر التسوية » فقلت^(١) : « تقدر بعض الإحصاءات عدد اليهود الذين سيتدفقون إلى فلسطين ، في خلال سنوات ، بثلاثة ملايين إنسان ، معظمهم من الشباب ذوي الكفاءات وأهل الاختصاص . تقابلهم هجرة واسعة من الشباب أيضاً ، ومن ذوي الكفاءات وأهل الاختصاص العرب إلى خارج المنطقة العربية ، يضاف إليهم الطلاب الذين يسافرون للدراسة والتخصص فلا يعودون لأسباب مختلفة لم يفك المسؤولون في دراسة أسبابها ونتائجها لوضع حد لها . وهكذا فإن المنطقة تضخ إلى الخارج خيرة أبنائها العرب ، وتتلقى أكفاء اليهود . ولندرك أهمية هذا الخطر علينا أن نتذكر أن عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٧ ، عشية صدور قرار التقسيم ، كان ٥٦٠،٠٠٠ يهودي ، من أصل مجموع السكان البالغ ١،٦٨٥،٠٠٠ نسمة »^(٢) .

وأضيف أنه إذا كان منع هجرة اليهود العالم إلى فلسطين ليس

(١) في الصفحة ١٦ ، والكتاب من تأليف الدكتور عدنان السيد حسين ، ونشر دار النفائس .

(٢) أطلس الصراع العربي الصهيوني حتى بداية ١٩٧٨ . إعداد مازن البندر . دار القدس - بيروت .

بمقدمة العرب ، أفلأ يستطيعون العمل على الحؤول دون تفريغ الساحة العربية من الأدمغة وأهل الخبرة والاختصاص ، وإغراء الذين يخرجون للتخصص بالعودة إلى بلادهم وخدمتها والعمل فيها ؟ وأقصد طبعاً طرفاً ووسائل غير المعن والمقدمة والسجن وغيرها من وسائل القمع المعروفة عندنا جيداً .

ولا أريد أن أسترسل . . . فليس من مهمة الناشر أكثر من التنبيه والتحذير ، ولفت أهل الفكر والاختصاص ومن يهمهم الأمر إلى الموضوعات المهمة . . ، ثم إيصال الكلمة الطيبة إلى القراء . . ، ولكنني أود أن أذكر بخطر الفكر اليهودي ، الذي يظهر بالتخطيط والتطبيق . هذا الخطر الذي لا يقتصر على العرب والمسلمين وحدهم ، بل يتعداهم إلى الناس أجمعين . ولا أظن أن غير العرب والمسلمين من الأمم والشعوب ، يجهلون « الخطر اليهودي » ، وإنما كان الشرق والغرب - معاً - يقذفون بهم إلى هذه المنطقة كما يرمون فيها فضلاتهم الصناعية والتلوثية ، ليتخلصوا من أحطارها . وهم بذلك يصيرون هدفين : التخلص من فئة لم تنتصر في مجتمعاتهم أو تخلص لها ، وإضعاف العرب والمسلمين ، العدو الدائم في نظرهم ، بإقامة كيان معادٍ لهم في قلب منطقتهم .

وأمم الأرض كلها تدرك أنه لو قدر للعرب أن يحكموا اليهود ، أو غير اليهود ، فسيعيش هؤلاء مواطنين آمنين مطمئنين كما كانوا في خلال حقب التاريخ المختلفة ، أما إذا حكم اليهود ، وبخاصة « الأصوليون » منهم - حكام إسرائيل الحاليين - فسيكون مصير الناس ، كل الناس ، كما يقول كتابهم المقدس ،

وكما يأمرهم إلههم «يهوه»^(١) : «إِذَا تَقْدَمْتَ إِلَى مَدِينَةٍ لِتُقَاتِلُهَا فَادْعُهَا أَوْلًا إِلَى الْسِّلْمِ ، فَإِذَا أَجَابَتْكَ إِلَى السِّلْمِ وَفَتَحْتَ لَكَ فَجُمِيعُ الْشَّعْبِ الَّذِينَ فِيهَا يَكُونُونَ لَكَ تَحْتَ الْجُزْيَةِ وَيَتَبَعُدُونَ لَكَ (أَيْ يَصْبِحُونَ عَبِيدًا لَكَ) . إِنَّ لَمْ تَسْالِمْكَ بِلْ حَارِبَتْكَ فَحَاصِرَتْهَا ، وَأَسْلَمَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ كُلَّ ذَكْرٍ بِحَدِّ السَّيْفِ . وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَذُوَاتُ الْأَرْبَعِ وَجَمِيعُ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ غَنِيمَةٍ فَاغْتَنِمْهَا لِنَفْسِكَ وَكُلْ غَنِيمَةً أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكُها الرَّبُّ إِلَهُكَ . وَهَكُذا تُصْنَعُ بِجَمِيعِ الْمَدَنِ الْبَعِيدةِ مِنْكَ جَدًا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مَدَنِ أُولَئِكَ الْأَمَمِ هُنَّا . وَأَمَّا مَدَنِ أُولَئِكَ الْأَمَمِ الَّتِي يَعْطِيَهَا لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِيراثًا فَلَا تَسْتَبِقْ مِنْهَا نَسْمَةً»^(٢) .

إِذَا فَالْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ عِنْدَ النَّصْرِ هُوَ الْقَضَاءُ الْكَامِلُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، غَيْرُ يَهُودِيٍّ «لَا تَسْتَبِقْ مِنْهَا نَسْمَةً» . أَفَلَا يَفْسُرُ هَذَا الْمَذَابِحُ الْجَمَاعِيَّةُ ، وَقْتُلُ الْكَبَارَ وَالصَّغَارَ بِكُلِّ اطْمَئْنَانٍ . وَأَلَا يَدْلِي هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى اسْتَعْدَادِ الْقَضَاءِ عَلَى الْجَنْسِ الْبَشَرِيِّ كُلَّهِ إِذَا مَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . إِنَّ لَمْ يَفْعُلُوا فَلَيَتَخَذُوا مِنْ يَسْتَبِقُهُمْ عَبِيدًا وَخَدْمًا .

إِنَّهُمْ لَنْ يَرْضُوا بِالسَّلَامِ مَعَ أَحَدٍ ، وَلَنْ يَقْنَعُوا بِالْمَسَاوَةِ مَعَ بَشَرٍ ، لَأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ «شَعْبُ اللهِ الْمُخْتَارُ» وَالنَّاسُ «غُورِيُّم»^(٣) . وَأَيْ نَشَاطٍ سَرِيٍّ أَوْ عَلَنِي مَبَاحٍ لَهُمْ لِللوَصْولِ إِلَى أَهْدَافِهِمْ .

(١) انظر : التوراة تاريخها وغياتها ، سهيل ديب ، دار النفائس ، ص ٢٢ .

(٢) سفر ثانية الاشتراك . الفصل ١٠/٢٠ - ١٦ . الكتاب المقدس - المطبعة الكاثوليكية .

(٣) لمعرفة مدلول الكلمة انظر : التوراة تاريخها وغياتها ، م . س ص ٢٢ - ٢٤ .

ومع أنهم يؤمنون بهذا ، فهم يعرفون أن نهايتهم في المنطقة ستكون كنهاية الصليبيين تماماً . ولذلك فهم يعيشون هاجس « حطين » . والفارق بيننا وبينهم ، حتى الآن ، أن معظمهم يدركون ما لم يدركه معظمنا فيعملون لتأجيل النهاية أو تتعديلها ، بينما ما زلنا نحن نتلمس الطريق . . .

يقول الدكتور شاكر مصطفى مشيراً لاكتشافات عشر عليها في أحد الكتب الفرنسية عنوانه « الإسلام والصلبيات » :

« أولها : أن الجماعات اليهودية التي تحتل فلسطين تدرك تشابه غزوها واحتلالها للبلاد مع الغزو والاحتلال الصليبيين . تدركه بوضوح وتعالجه جدياً في المنظور العلمي كتجربة رائدة . وثانيها : أنها تدرس الموقف في الشرق العربي الإسلامي ، في جذوره ، وتحلل عناصره لتفادي كنهاية حطين وما بعد حطين . . .

وثالثها : ولعله الأهم ، أن ثمة فرق عمل كاملة في الجامعة العبرية ، تتخصص في هذا الموضوع ، على رأسها « جوزيف براور » صاحب كتاب تاريخ المملكة اللاتينية في القدس - وهو في مجلدين بالعبرية نشر سنة ١٩٦٣ - وتستعين هذه الفرق بالعلماء المتخصصين في الجامعات الغربية لهذا الغرض ، فلهم مراكز بحث ومستشارون في جامعة باريس لدى العالم اليهودي كلود كاهن ، وفي الجامعات الأمريكية . . .

وليست تهمهم الصليبيات بالطبع بوصفها صليبيات ، وإنما تهمهم بوصفها رمزاً تاريخية ، وبوصفها إسقاطاً على

المستقبل . زاوية اهتمامهم محصورة في نقطة وحيدة : كيف تم طرد الصليبيين من هذه البقاع نفسها التي يحتلونها . . . إنهم يدرسون معنى الجهاد . وكيف استيقظ في المشرق العربي ، ومدى حيويته في الشام بالذات . . . «(١)» .

ولا شك أن الغزاة الجدد ، أو الصليبية الحديثة ، استفادت من فشل التجارب السابقة . وهي اليوم تعيد الكرة بأساليب جديدة ، ربما كان ظاهرها أقل شراسة من الحروب الصليبية ، ولكنها في حقيقتها وأدواتها أكثر قسوة ، وأشد إيلاماً . مما يجعل مهمات قادة الأمة وتفكيرها أكثر صعوبة ، وبالتالي يلتقي على عوائقهم مسؤوليات أكبر وأخطر .

وقد حاول المؤلف ، وهو الصحفي الأديب ، في كتابه ، أن يكشف عن جوانب مهمة من نشاطهم السري ، في الفكر والممارسة ، قديماً وحديثاً والتبنيه إلى خطر نجاحهم في مخططاتهم . وقد ساعده على استيفاء البحث حقه أنه «رسالة ماجستير » تتطلب ، كأي بحث ، توثيقاً دقيقاً ، جعل الدراسة تناول درجة جيد جداً . فنسأل الله أن ينفع به ، ونعم المولى ونعم النصير .

أحمد راتب عرموش
بيروت ، في ٧ ذو الحجة ١٤١٠ هـ
الموافق ٢٠٦/٦/١٩٩٠ م

(١) من مقال بعنوان : « من الغزو الصليبي إلى الغزو الصهيوني وبالعكس » في مجلة شؤون عربية - العدد ٥٢ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ م .

مُقَدَّمةُ المؤلِّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا كانت القضية الفلسطينية تعتبر القضية الأولى على الساحة الدولية في هذا القرن ، فلا شك أن الصهيونية العالمية بفكرها السياسي ومؤسساتها وممارساتها تشكل التحدي الأكبر الجاثم على صدر الأمة العربية منذ أكثر من نصف قرن .

والحقيقة أن الفصل الأول من المؤامرة بدأ قبل ذلك بزمن بعيد ، وبالتحديد في سنة ١٨٩٧ ، عندما انعقد المؤتمر الصهيوني الأول وقرر خطة طويلة الأمد للاستيلاء على فلسطين وإقامة الدولة اليهودية الموعودة على أرضها . ثم جاء وعد « بلفور » سنة ١٩١٧ ليكرس التحالف الاستراتيجي بين الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية الكبرى آنئذ ، وعلى رأسها بريطانيا ، التي ساهمت إلى حد كبير ، من خلال انتدابها على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى ، في إنجاز المشروع الصهيوني وإقامة « دولة إسرائيل » . وفي سنة ١٩٤٧ جاء قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب والمستوطنين اليهود ليعطي الاغتصاب الصهيوني شرعية دولية كانت بمثابة تمهيد لإعلان ما سمي « دولة إسرائيل » سنة ١٩٤٨ . ومنذ ذلك الحين شهدت المنطقة العربية أربع حروب بين العرب والكيان

الإسرائيли لم تسفر عن أي تقدم لمصلحة الحق العربي في فلسطين ، بل جاءت نتائج الصراع لمصلحة التوسيع الإسرائيلي حيث استولى اليهود على مزيد من الأراضي العربية في الأردن وسوريا ولبنان ومصر ، ومع هذا التمدد العسكري كان ثمة تمدد في النظرية الصهيونية السياسية الرافضة لمبدأ السلام . وفي المقابل توالت مظاهر الانحسار في الرؤية العربية لطبيعة الصراع حيث كانت التنازلات السياسية من الجانب العربي تباعاً حتى بات العرب يقبلون اليوم بما كانوا يرفضونه قبل نحو خمسين سنة ، وباتت الدولة اليهودية ترفض اليوم ما كانت تتظاهر بالقبول به من قبل .

ولعل السبب الجوهرى لهذا التردى العربى فى مواجهة التحدى الصهيونى يكمن فى أمرتين : الأول استمرار التفوق المادى للمعادلة الدولية القائمة ، منذ أوائل هذا القرن ، على التحالف المصلحى بين الحركة الصهيونية العالمية ومراسى القرار السياسى فى العواصم الكبرى ، والاتفاق فيما بينها على ضمان أمن الدولة العبرية وبقائها بكل ما يتطلبه ذلك من أشكال الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى .

والأمر资料 يكمن فى عوامل ضعف العرب أنفسهم وتلاشى مصادر قوتهم فى صراعات وخلافات إقليمية لا تنتهي ، يضاف إلى ذلك فشل القيادات السياسية فى العالم العربى - حتى الآن - فى بلورة مشروع الوحدة العربية .

ومن الملاحظ أن ثمة تقصيراً لدى الجانب العربى عن فهم طبيعة العلاقات والمصالح الدولية الراهنة ، وكيفية استثمار

الطاقة والثروات العربية في اللعبة الدولية ، بما يضمن استعادة الحق العربي في فلسطين . فالكيان الصهيوني القائم على الأرض العربية إنما يستمد مقومات وجوده مما ترفله به الدول الكبرى ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، من مساعدات ضخمة في شتى المجالات ، بدعم لا حدود له من جانب الحركة الصهيونية العالمية . وبالمقابل نلاحظ أن إمكانات استثمار الطاقات العربية لمصلحة القضية الفلسطينية محدودة جداً بالقياس إلى ما تقدمه الحركة الصهيونية إلى الدولة - الظل القائمة على أرض فلسطين .

إذن هناك خلل في التعاطي العربي مع التحدي الصهيوني ، وأهم مظاهر هذا الخلل يكمن في الفهم المغلوب لطبيعة الصراع ومصادر قوة العدو ونقاط ضعفه . فالمصدر الحقيقي لقوة الدولة الإسرائيلية - برأينا - لا يأتي من داخلها وإنما من الدعم اللامحدود الذي يأتيها من الخارج بإيعاز وتدبير من الحركة الصهيونية العالمية . ولقد أمضى العرب سبعة نصف قرن وهم يصارعون « شبح » الصهيونية في فلسطين ويحسبون أن الانتصار عليه يكون في الاستزادة من ترسانات السلاح ، وإرسال عشرات الألوف من الجنود إلى جبهات القتال . والواقع أن الحشد العسكري يشكل أحد عناصر النصر ، ولكنه غير قادر ، وحده ، على حسم الصراع ما لم ترفله عناصر أخرى أهمها معرفة العدو بشكل موضوعي صحيح ، والوقوف على مصادر قوته ونقاط ضعفه واستثمار ذلك كله في المعركة .

فالدولة الإسرائيلية صنيعة التحالف الاستراتيجي بين

الصهيونية العالمية ومراكز القرار الكبرى على الرقعة الدولية ، والتحدي المفروض على الأمة العربية ليس مصدره تل أبيب في حقيقة الأمر ، بل القوى الصهيونية الضاغطة على مراكز القرار الدولي . وعندما يعي العرب هذه الحقيقة ، ويفدأون في قطع الشريانين التي تردد الجسم الإسرائيلي بمقومات البقاء ، عندئذ تخطو الأمة العربية الخطوة الأولى الصحيحة في مسيرة التحدي والمواجهة ، وعندها يصبح الاستعداد العسكري واضح الأهداف ومجدياً في حسم الصراع لمصلحة الحق العربي في فلسطين .

لا شك في أن الفهم الصحيح للعدو هو العامل الأهم في الانتصار عليه ، وهذا يتطلب ، بالدرجة الأولى ، فهم الشخصية اليهودية فهماً صحيحاً ، وتحديد سمات هذه الشخصية كما رسمتها عقائد اليهود وممارساتهم ، والوقوف على وسائل اليهود وأساليبهم في تحقيق أهدافهم ، مستلهمين الواقع والشاهد التي يقدمها لنا تاريخهم القديم والحديث .

ولنا أن نتساءل باستغراب : كيف نجحت الصهيونية في إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين بالرغم من المعارضة الدولية المبدئية ومعارضة معظم اليهود أنفسهم بادئ الأمر ؟ وكيف تضمن بقاء هذه الدولة حتى الآن ولا تزال قادرة على قهر إرادة ٢٠٠ مليون عربي وحوالي مليار مسلم في العالم ؟

إنَّ الجواب الواقعي والموضوعي على هذا السؤال هو الذي يحدد طبيعة التحدي ويرسم لنا الطريق الصحيحة إلى حسم الصراع لمصلحتنا في نهاية الأمر .

ولعل هذا الكتاب يشكل محاولة متواضعة لتقديم بعض

عناصر الجواب المطلوب . فهو يتناول الجانب الأشد خطراً في الشخصية اليهودية ، أعني به العمل السري . فالعدو الخفي هو الأشد وطأة والأكثر خطورة ، وهل أشق على هذه الأمة من إلحاق الهزيمة بعده لا تكاد تعرف عنه سوى التذر اليسير ، وهل يكتب النصر لأمة تواجه شبحاً غير منظور ؟ فالدولة اليهودية ليست سوى « شبح » للمنظمة الصهيونية الكامنة وراء مراكز القرار في عواصم العالم الكبرى ، والمؤسف أن العرب ما برحوا يصارعون « الشبح » على غير طائل ويتركون الأصل حرّاً طليقاً يقارعهم على أرض صلبة ويکيد لهم من حيث لا يعلمون - أو يعلمون .

أرجو أن أوفق في بحثي هذا إلى أن أرشدبني قومي إلى عدوهم بصورة الحقيقة ، فحسبنا أننا أضمننا نصف قرن من عمر هذه الأمة وننحن نطارد الأشباح !

بيروت ، ١٣ شعبان ١٤١٠ هـ
الموافق ، ٨ آذار - مارس ١٩٩٠ م

غازي محمد فريج

التعاليم السرية كما وردت في بعض النصوص اليهودية

مقدمة

لا شك في أن النشاطات السرية تثير التساؤلات حولها . لماذا تتسلل الجماعات السرية العمل الخفي وتشدد على أعضائها في ضرورة كتمان مبادئ الجماعة وأهدافها وأساليب عملها ، وما الذي لديها لتخفيه عن الآخرين ؟ والجواب البديهي هو أن العمل السري إنما ينشأ بداعف الخوف . فإن إخفاء أمر من الأمور يعني الخوف من إفشائه لسبب أو لآخر . قد يكون الدافع إلى النشاط السري الخوف من السلطان ، وقد يكون سببه الخوف من الإفصاح عن مقاصد خبيثة متواطية في صدور أصحابها ، وربما أخفى المرء أموراً لا يراد لها الانتشار بين عامة القوم تحرزاً واحتياطاً ، وربما احتاج المرء ، في بعض الأحيان ، إلى الكتمان والتستر في أمور خاصة به متوكلاً بذلك إتمام أمر من الأمور فيه خير له وصلاح . روي عن النبي ﷺ، أنه قال^(١): «استعينوا على

(١) المسعودي ، علي بن الحسين ، «مروج الذهب» ، ج ٢ ص ٢٩٧ ، وابن عبد ربه ، «العقد الفريد» ، ج ١ ص ٢٤٠ ، وإسماعيل بن محمد العجلوني ،

أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالإسرار» ولا بد هنا من التفريق بين الفكرة الداعية إلى التكتم على سبيل الحيطة والحذر من أجل إتمام بعض الحاجات التي تعرض لكل منا في حياته اليومية وليس فيها ما يؤذى الآخرين أو يسيء إليهم ، وبين مبدأ السرية في العمل كمنهج دائم واستراتيجية مستمرة ترمي إلى تحقيق مخططات مرسومة سلفاً ، لا يريد أصحابها البوح بها أو الكشف عنها لأنها تنافي القيم الأخلاقية أو تعتدى على حقوق الآخرين بشكل أو بآخر . فالسرية في هذه الحالة مبدأ هدام ينطوي على أخطار كبيرة تضر بمصالح السواد الأعظم من الناس ولا تحقق سوى مصالح أولئك الذين يتسلونها من أجل تنفيذ أغراضهم الخفية .

ولي أن أزعم أنَّ في تاريخ اليهود ، القديم منه وال الحديث ، ما يشير إلى أنهم أقدم جماعة بشرية توسلت العمل السري في تحقيق أغراضها ولا تزال . فالمصادر اليهودية تنتهي على شواهد كثيرة تؤكد هذه الحقيقة ، وهذا ما سنورده مثلاً منه ، بعد قليل ، مأخوذه من هذه المصادر أياماً . وبالرغم من أن الجمعيات السرية بشكل عام ، تنفي في العلن أن يكون لديها ما تخفيه عن الناس ، وبالرغم من حرص اليهود ، عبر تاريخهم الطويل ، على إخفاء مقاصدهم الحقيقية فإننا نستطيع أن نتلمس ، في بعض نصوصهم المنشورة وممارسات بعض جمعياتهم ، ما يؤكد وجود أهداف سرية يعملون لتحقيقها ، ووسائل عمل خفية يتسلونها في تنفيذ

= «كشف الخفاء» ج ١ ص ١٢٣ ، وذكر فيه أن هذا الحديث روی بسند ضعيف .

ما يخططون له ويخشون العبر بها أمام الشعوب الأخرى ، حتى أن المتعاطفين مع بعض الحركات اليهودية لم ينكروا هذه الحقيقة .

[على سبيل المثال فإن جرجي زيدان الذي أرخ للحركة الماسونية ، واتخذ موقف المدافع عنها بقصد تبييض صفحتها أمام الملا ، يعترف بأن « الماسونية جمعية سرية ، ونظراً لما كان يتهددها من الاضطهادات المتواترة في الأجيال المظلمة وغيرها ، كانت تبالغ في إخفاء أوراقها إخفاء ربما لا يعود يتيسر معه لمن بقي حياً بعد الاضطهاد أن يكتشفها »^(١) .

ويتوقع جرجي زيدان مجيء زمن تنجلி فيه أسرار الحركة الماسونية فيقول : إن هذه الجمعية لم تؤسس على شعائر يجب أن تبقى محظوظة إلى الأبد ، على أن ما لم يزل محظوظاً منها ليس بالأمر المهم لدى الجمهور وإنما هي إشارات ورموز (. . .) ولعل المانع من التصريح بها أن الناس لم يبلغوا ، في هيئتهم الاجتماعية ، مبلغاً يؤهلهم من الإطلاق عليها جهاراً ، ولكن سيأتي زمن لا يبقى فيه بين أبناء تلك الجمعية وسائر الناس حجاب أو شبه حجاب . ومن يعش ير^(٢) .

وبذلك يرى جرجي زيدان أن الحركة الماسونية تعمل في الخفاء منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة ، ثم يتوقع أن يأتي يوم لا يكون فيه بين أبناء الماسونية وسائر الناس حجاب ! ونحن في الربع

(١) جرجي زيدان ، تاريخ الماسونية العام ص ١٤ - ١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٨ .

الأخير من القرن العشرين لم نشهد بعد مجيء هذا اليوم ولا أحسينا سنشهده طالما أن هناك أقلية من البشر تستطيع لنفسها استغلال شعوب الأرض بحجج أن هذه الشعوب ، في سعادتها الأعظم ، لا تزال غير مؤهلة للاطلاع على أسرار الماسونية .

ولو افترضنا أن جرجي زيدان وأقربائه من المدافعين عن الماسونية يقصدون بهذا القول إنه سيأتي زمان على البشرية يتساوى فيه الناس في فهم أسرار الماسونية فلا يعود ثمة داع لإخفاء هذه الأسرار لأن القاصرين عن فهمها لم يعودوا موجودين ، فأغلب الظن عندي أن مثل هذا اليوم لن يأتي ، إذ متى كان الناس متساوين في الفهم والإدراك والتقويم ؟ ومتى كانوا على المستوى نفسه من الأهلية لفهم ظواهر الأمور فضلاً عن بواطنها وأسرارها ؟ ! أما إذا كان قوله يعني خضوع البشرية لمبادئ الماسونية وإقرارهم بها واستسلامهم لها بحيث يتصرف أقطاب الماسونية الكبار بالعالم وفق مبادئ معلنة يجهرون بها ولا يرون أي ضير في إخفائها طالما أن الناس مستسلمون لها ، فإن جرجي زيدان محق في هذا المعنى لأن من أهداف الماسونية السيطرة على مقدرات البشرية ووضعها بين يدي حكماء المحفل الأكبر^(١) .

أما اعتبارنا الحركة الماسونية حركة يهودية سرية في جوهرها ورموزها فهو من المسلمات التي تواقَّع عليها معظم الباحثين

(١) محمد خليفة التونسي ، الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون . المقدمة ص ٥٤ والبروتوكول الأول ص ١١٠ والبروتوكول الخامس ص ١٢١ ١٢٥ والبروتوكول التاسع ص ١٣٢ .

العرب والأجانب الذين درسوا هذه الحركة وكتبوا مباحث فيها . وقد تبين لي ، نتيجة الاطلاع ومعاينته واقع الحال ، أن الحركة ذات منشأ يهودي وأن الدور الأهم في نشوء هذه الحركة وانتشارها في العالم قام به يهود ولا يزالون ، والدليل على ذلك أن الحركة الماسونية ساهمت ، إلى حد كبير ، في تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين من خلال محالفتها في تركيا العثمانية ومن خلال محالف أخرى متشرة في بلدان كثيرة أخرى ، ولكن دور هذه الأخيرة بقي خفياً ، في معظم الأحيان ، مع أن نتائجها كانت دائمًا ماثلة للعيان . وفي المقابل ليس هناك موقف واحد - على ما أعلم - وقفة الحركة أو أي من محالفها - حتى العربية منها - ضد قيام دولة يهودية في فلسطين أو مؤيد لحقوق الشعب الفلسطيني . أما الإدعاء أن الحركة الماسونية لا شأن لها بالسياسة فينقضه واقع الحال ، إذ تضم محالفها ، أكثر ما تضم ، السياسيين والدبلوماسيين والمستغلين بالشأن العام ، وليس بإمكان العضو معارضه أو رفض ما يوجه إليه من توجيهات وتعليمات تحقق في غایاتها النهائية ، مصالح اليهود الاستراتيجية في بلدان العالم ؛ مع أنها تحقق أيضًا ، وفي بعض الأحيان ، مصالح آنية وشخصية ضيقة لبعض أعضائها من غير اليهود وقد يكون ذلك على حساب بني قومهم وأوطانهم [] .

ومهما يكن من أمر فستنتقل الآن إلى التماس ما يشير إلى مبدأ السرية الذي طبّقه اليهود في نشاطاتهم الدينية والسياسية معتمدين في ذلك على ثلاثة مراجع هي : الكتاب المقدس - العهد القديم ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون .

أولاً : الكتاب المقدس - العهد القديم - (The Bible)

تناول أسفار العهد القديم جوانب ومراحل عديدة من تاريخ بني إسرائيل ، وفي طياتها ما يشير بوضوح إلى أن أفراداً بارزين من بني إسرائيل اعتمدوا مبدأ السرية في العمل من أجل تحقيق أغراضهم ، بل لا تتوρع هذه الأسفار عن أن تنسب إلى الأنبياء ما لا يجوز عليهم .

في سفر التكوين نقرأ أن النبي إبراهيم ، (عليه السلام) ، أوهم « أبيملك » ملك « جرار » بأن زوجه سارة هي أخته ولم يكشف أمرها إلا عندما كاد الملك أن يتخذها زوجة له ، وفيه أن إبراهيم (عليه السلام) فعل ذلك خوفاً من أن يقتلوه بسبب أمرأته^(١) . ويفهم من هذا النص أن إبراهيم (عليه السلام) كان يمكن أن يفرط بزوجه سارة لإنقاذ نفسه وهذا ما لا يليق أن ينسب إلى النبي يعتبره اليهود جدهم الأعلى .

وفي سفر التكوين أيضاً أن النبي إسحاق (عليه السلام) فعل الشيء نفسه فقال أمام ملك الفلسطينيين عن زوجه « رفقة » إنها أخته خوفاً من أن يقتلوه^(٢) ، كما أن يعقوب (عليه السلام) أوهم أباه إسحاق (عليه السلام) ، الذي كان قد شاخ وعمي ، بأنه (أي يعقوب) هو الابن الأكبر عيسو فتال بركة أخيه بدلاً من أخيه

(١) الكتاب المقدس - العهد العتيق ، سفر التكوين ٣/٢٠ - ٤ .

(٢) سفر التكوين ٧/٢٦ و ٨ و ٩ .

البكر عيسو مع أن إسحق كان يريد أن يبارك ابنه الأكبر عيسو ، وعندما علم إسحق بالحقيقة قال لابنه عيسو : « قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك »^(١) .

وفي سفر التكوين أيضاً أن ابتي لوط (عليه السلام) ضاجعتنا أباهما بعد أن سقتاه خمراً ثم ولدتا منه^(٢) .

ونقرأ في سفر الخروج أن النبي موسى (عليه السلام) رأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوة موسى ، فالتفت موسى يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فقتل المصري وطمره في الرمل^(٣) .

وفي سفر الملوك أن النبي داود (عليه السلام) شاهد امرأة أوريا الحشي ، وهو أحد جنوده ، بينما كانت عارية تستحم فأرسل جنوده إلى بيتها فأحضروها فضاجعواها ثم أعادها إلى بيت زوجها ، فأرسلت المرأة إلى داود أنها حامل ، فما كان منه إلا أن وجه زوجها أوريا العشي إلى الحرب وكتب إلى يوآب ، قائد جيشه ، كتاباً وأرسله مع أوريا وكتب فيه : « وجهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديداً وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت »^(٤) ، وقد قتل أوريا في المعركة وتزوج داود امرأته واسمها بشابع بنت اليعام فولدت له أولاداً منهم سليمان (عليه السلام) خليفته^(٥) .

أما سليمان (عليه السلام) فتزعم نصوص العهد القديم أن قلبه تعلق بالله أخرى غير الله وأن عدد زوجاته بلغ سبعمائة

(١) سفر التكوين ٢٧/١٩ - ٣٥ .

(٢) سفر الملوك الثاني ١١/١٩ - ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ .

(٣) سفر الخروج ١٢/٢ .

(٤) سفر الملوك الثاني ١١/١٩ - ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ .

زوجة وعدد سراريه ثلاثة سرية « فأزاحت نساؤه قلبه وصنع سليمان الشر في عيني الرب »^(١).

ويتبين من هذه النصوص أن اليهود لا يعتقدون بمبدأ عصمة الأنبياء الذي توجبه العقيدة الإسلامية^(٢). ورب قائل إن عصمة النبي ليست واجبة قبل تكليفه بالنبوة فيجوز له أن يرتكب المعاصي قبل أن يصبحنبياً مكلفاً^(٣) ، غير أن نصوص العهد القديم تؤكد وقوع المعاصي من الأنبياء بعد تكليفهم بالنبوة . فالنبي إبراهيم (عليه السلام) ، كان قد تبلغ رسالة ربه وكلف بالنبوة عندما جاء إلى أرض كنعان مفارقاً قومه الوثنيين ، الذين كانوا يسكنون في منطقة ما بين النهرين . ويفكك القرآن الكريم نبوة إبراهيم في هذه المرحلة من حياته ، قال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يُسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يَغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءْتِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنَ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغْبَ أَنْتَ عَنِ الْآهَى يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَكَ وَأَهْجُرَنَيَ مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفْيًا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونُ

(١) سفر الملوك الثالث ١١/٦٥ و٦٧ و٦٨ و٦٩ و٦٠.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ٣٨١ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٥ .

بدعاء ربي شقياً^(١) أما استغفار إبراهيم لأبيه المشرك فلم يكن
﴿إِلَّا عن موعدة وعدها أَيَّاه﴾^(٢) فكان إبراهيم ، (عليه
السلام) ، يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبيّن
إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه^(٣) .

يتبيّن مما تقدّم أن إبراهيم (عليه السلام) كان مكلفاً بالنبوة
عندما ارتحل عن قومه إلى أرض كنعان ومع ذلك فإن في نصوص
العهد القديم ما لا يجوز نسبة إليه من افتراء الكذب والادعاء بأن
سارة ليست زوجة خشية أن يقتله القوم .

أما إسحاق (عليه السلام) فقد نسب إليه العهد القديم
الفرية نفسها ، كما قرأتنا قبل قليل ، وأضاف عليها أن إسحاق
سلم بمكر ابنه يعقوب عندما أوهم الأخير أباه أنه هو الابن البكر
عيسو ، وهذا ما لا يجوز على النبي إسحاق (عليه السلام) وليس
من خلق الأنبياء التسلّيم بالخداع والرّضوخ للتزوير والتّمويه ، وقد
أثنى القرآن الكريم على إبراهيم (عليه السلام) وذرّيته ، قال
تعالى : ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارِكْنَا عَلَيْهِ
وَعَلَى إِسْحَاقِ﴾^(٤) ، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلَّا
جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(٥) ، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا
هَدِينَا﴾^(٦) .

(١) سورة مريم : الآية ٤١ وما بعدها . (٢) سورة التوبه : الآية ١١٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، سورة الأنعام ص ١٥٠ ، شرح الآية ٧٤ وما
بعدها .

(٤) سورة الصافات : الآية ١١٢ ، ١١٣ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٧٢ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٨٤ .

وإذا كان ما ورد في العهد القديم لا يجوز على إسحق باعتباره نبياً فإن صفة المكر لا تجوز بالتالي على يعقوب ولا يعقل أن يخدع أباه لينال بركته . وبرأيي أن هذه الصفات المنكرة التي ألحقها كتبة أسفار العهد القديم بأنبياء بنى إسرائيل إنما هي تعبر عن الصفات المذمومة التي اتسم بها السواد الأعظم من بنى إسرائيل بعدهما ضلوا عن سواء السبيل ونقضوا عهد الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِثْقَلًا مِنْهُمْ﴾^(١) ، قوله : ﴿لَقَدْ أَخْذَنَا تَطْلُعَ عَلَىٰ خَائِنَتِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿أَتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٣) ، ﴿وَإِنْ لَوْطًا لِمَنِ الْمَرْسَلُونَ﴾^(٤) . ثم نقرأ بعد ذلك في أسفار اليهود أن ابنته سقتاه خمراً وضاجعتاه وولدت منه ، كما ذكرنا آنفاً ، على أن القرآن الكريم يخبرنا أن آل لوط كانوا من الصالحين وأن الله نجّاهم مع لوط إلا أمرأنه كانت من الغابرين^(٥) . قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ بَصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) .

أما لوط (عليه السلام) فقد نهى على قومه إتيان الفاحشة وقرّعهم في ذلك ، وقد آتاه الله النبوة . قال تعالى : ﴿وَلَوْطًا أَتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٣) ، ﴿وَإِنْ لَوْطًا لِمَنِ الْمَرْسَلُونَ﴾^(٤) . ثم نقرأ بعد ذلك في أسفار اليهود أن ابنته سقتاه خمراً وضاجعتاه وولدت منه ، كما ذكرنا آنفاً ، على أن القرآن الكريم يخبرنا أن آل لوط كانوا من الصالحين وأن الله نجّاهم مع لوط إلا أمرأنه كانت من الغابرين^(٥) . قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ بَصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) .

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٢) المائدة : الآية ٧٠ و ٧١ .

(٣) الأنبياء : الآية ٧٤ .

(٤) سورة الصافات : الآية ١٣٣ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٨٣ وسورة الشعراء : الآية ١٧١ وسورة الحجر : الآية

لوط نجناهم بسحر ﴿١﴾ .

وأما حادثة قتل المصري على يد موسى (عليه السلام) فقد صورتها نصوص العهد القديم بأنها جريمة عن سابق تصور وتصميم بينما يخبرنا القرآن الكريم أنها كانت قضاء وقدراً . قال تعالى : ﴿ ودخل (أي موسى) المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال (أي موسى) هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿٢﴾ .

قال مجاهد : فوكزه أي طعنه بجمع كفه . وقال قتادة : وكزه بعضاً كانت معه فقضى عليه أي كان فيها حتفه فمات ﴿٣﴾ . ثم إن موسى أصبح في المدينة خائفاً يتربّق فإذا الذي استنصره بالأمس ، وهو من بنى إسرائيل ، يقاتل رجلاً آخر من المصريين فلما رأى موسى استنصره مرة ثانية فقال له موسى : ﴿ إنك لغوي مبين ﴿٤﴾ أي ظاهر الغواية كثير الشر . فقد تورع ، عليه السلام ، من ارتكاب الخطأ نفسه مرة ثانية بعدما استبان غواية الإسرائيلي وشره وزرعه إلى القتال والنزاع مع الآخرين .

أما كلمة وكزه فمعناها دفعه وضربه مثل نكره ، ووكره أيضاً : طعنه بجمع كفه . وقيل وكزه أي ضربه بجمع يده على ذقنه ﴿٥﴾ . ومن كل ما تقدّم يتبيّن أن موت المصري كان قضاء وقدراً ولم

(١) سورة القمر : الآية ٣٤ . (٣) ابن كثير ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٤) سورة القصص : الآية ١٥ . (٤) سورة القصص : الآية ١٨ .

(٥) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، « لسان العرب » ج ٥ ص ٤١٠ .

يكن جريمة متعمدة . أما ما ورد في سفر الخروج ، الأنف الذكر ، فهو مما يتناهى وعصمة النبي ، بل هو إنما يمثل خلقبني إسرائيل من كتبوا أو أملوا هذه النصوص بعد وفاة موسى (عليه السلام) بزمن طويل .

وفي أخبار داود (عليه السلام) يصبح الافتاء على الأنبياء أصل سبيلاً مما رأينا حتى الآن ، إذ ينسب العهد القديم إليه الزنا بعدما كان ملكاً لبني إسرائيل ونبياً مرسلاً إليهم ، كما يتهمه بجريمة قتل أحد جنوده ليتزوج امرأته فضلاً عن هنات أخرى وردت في سفر الملوك كما سبقت الإشارة ، وهذا كله يتناهى مع الصورة النقية التي جاء بها القرآن الكريم للنبي داود (عليه السلام) المعصوم عن المعاichi ، فضلاً عن هذه الكبائر التي يلصقها به العهد القديم . قال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ عَبْدُنَا دَاؤِدْ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(١) والأواب هو الذي يرجع في جميع أموره وشئونه إلى الله عز وجل^(٢) ، وهي صفة ورثها سليمان عن أبيه داود عليهما السلام قال تعالى : ﴿ وَوَهْبَنَا لَدَاؤِدْ سَلِيمَانَ نَعْمَدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣) وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ وَسَلِيمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرَثَ سَلِيمَانَ دَاؤِدَ ﴾^(٤) فلا يصح بعد هذا أن يزيغ قلب سليمان (عليه السلام) عن توحيد الله إلى فعل الشر كما تزعم نصوص العهد القديم ، وقد أقرَّ له القرآن الكريم بالإيمان والنبوة والفضل .

(١) سورة « ص » : الآية ١٧ .

(٢) سورة التمل : الآية ١٥ - ١٦ .

(٣) سورة « ص » : الآية ٣٠ .

(٤) ابن كثير ، ج ٤ ص ٢٩ .

وإذا تبعنا جوانب المكر الخفي في خلق بني إسرائيل ، وجدنا الكثير منه في أسفار ونبوات العهد القديم على نحو ما نقرأ في سفر التكوين أن شمعون ولاوي ، ابني يعقوب ، أعطياً عهداً لأهالي مدينة «شكيم» في أرض كنعان بأن يزوجاً أختهما إلى ابن رئيس المدينة والذي كان قد ضاجعها وتعلق بها فأرادها زوجة له . وقد ظاهر بنو إسرائيل بقبول تزويج أختهم لابن ملك المدينة وأبطلوا الفتنة بأهلها فاشترطوا على أهالي «شكيم» أن يختتن ذكورهم لكي يمكن الإصهار إليهم ، فلما اختتنوا أصبحوا في الم عجز عن الحركة ، عندئذ قدم شمعون ولاوي وأعمل السيف في أهل المدينة وقتلا كل ذكر منهم^(١) .

وفي سفر الملوك الرابع نقرأ الآتي : « وعمل بنو إسرائيل في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب إلههم »^(٢) .

ويحدثنا سفر آخر من العهد القديم عن يهوديت ، الأرملة التي أنقذت أورشليم من بطش جيش الآشوريين . وتفصيل القصة أن يهوديت بقية أرملة ثلاثة ثلاث سنين وستة أشهر « وكانت قد هيات لها في بيتها غرفة سرية ، وكانت تقيم فيها مع جواريها وتغلقها ، وكانت جميلة المنظر جداً ، وقد ترك لها بعلها ثروة واسعة وحشماً كثيرين وأملاكاً .. وكانت لها شهرة بين جميع الناس من أجل أنها كانت تتقى الرب جداً ، ولم يكن أحد يقول عليها كلمة سوء ». ثم أن يهوديت هذه أعدت خطة لإنقاذ أورشليم من الجيش الآشوري فتزينت ودخلت على « أليفانا » ،

(١) سفر التكوين ١/٣٤ - ٢٦ . (٢) سفر الملوك الرابع ٩/١٧ .

قائد جيوش نبوخذ نصر ملك الآشوريين ، فأوهنته أنها طوع بنانه وأنها ستسسلم إليه بني إسرائيل ليقودهم كالغنم . وذات يوم أسركرته ثم حزّت رأسه وهربت عائدة إلى قومها وأخذت معها رأس «أليفانا» وعلقتها على أسوار أورشليم . فلما رأى الجيش جثة قائدتهم بلا رأس انهارت عزائم الجنود فانقض بنو إسرائيل على جيش «أليفانا» وشتوا شمله^(١) .

أما سفر «أستير» فيحدثنا عن غانية أخرى من بنو إسرائيل تدعى «أستير» أخفت حقيقة أصلها عن ملك الفرس أحشوروش ، وقد دفعها عمها «مردكاي» إلى بلاط الملك بعد أن رسم لها خطة سرية للقضاء على وزير الملك ويدعى «هامان» وكان يضم السوء لليهود ويريد القضاء عليهم . وينتهي الأمر بنجاح الخطة وتعليق هامان وبنيه العشرة على خشبة بأمر من الملك وبذلك تقد «أستير» قومها من الاضطهاد ، ويتحولون من مستضعفين إلى أقوياء فيقتلون خمسمائة رجل من أعدائهم^(٢) .

وفي سفر «طوبيا» أن هذا الأخير كان يخطف جث القتلى من قومه (بني إسرائيل) فيدفنها سراً عند انتصاف الليل^(٣) .

وفي سفر الأمثال نقرأ المثل القائل : «الساعي بالنميمة يفشّي السر والأمين الروح يكتم الأمر»^(٤) . وجاء فيه أيضاً : «ذو الدهاء من البشر يكم علمه ، وقلوب الجهّال تنادي

(١) سفر يهوديت - الفصول ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ .

(٢) سفر أستير الفصل ٨ والفصل ٥/٩ - ٦ .

(٣) سفر طوبيا ٢/٩ .

(٤) سفر الأمثال ١١/١٣ .

بسفهمهم^(١) . وفيه أيضاً : « لا تبع بسر لأنحر لثلاً يعيّرك السامع فلا تزول مذمتك »^(٢) .

وفي سفر الحكمة : « إن القديسين الصالحين كانوا يذبحون خفية ويوجبون على أنفسهم شريعة الله هذه » - أي الذبح بالسر -^(٣) .

وجاء في سفر يشوع بن سيراخ الآتي : « لا تشاور الأحمق فإنه لا يستطيع كتمان الكلام . لا تباشر أمراً سرياً أمام الأجنبي فإنك لا تعلم ما سيبدو منه . . . لا تكشف ما في قلبك لكل إنسان »^(٤) وفيه أيضاً : « إن أكثر أعمال الرب في الخفاء »^(٥) .

ونقرأ في هذا السفر النصيحة الآتية : « لا تطلع على سرك صديقك ولا عدوك ، ولا تكشف ما في نفسك لأحد وإن لم يكن فيك خطيبة (. . .) إن سمعت كلاماً فليمت عندك »^(٦) . وورد فيه : « إن الجرح له ضماد والمشاتمة بعدها صلح ، أما الذي يفشي الأسرار فشأنه اليأس »^(٧) .

ويختتم سفر يشوع بالنهي عن « نقل الكلام المسموع وإفشاء ما قيل في السر »^(٨) . وفي نبوة أرميا أن الملك صدقيا بن يوشايا الذي ملكه نبودن نصر ، ملك بابل ، على أرض يهودا ، أرسل إلى أرميا النبي وسأله في بيته سراً وقال له : هل من كلمة من لدن

. (٥) سفر يشوع ٢٢/١٦ .

(١) سفر الأمثال ٢٣/١٢ .

. (٦) سفر يشوع ٨/١٩ .

(٢) سفر الأمثال ٩/٢٥ .

. (٧) سفر يشوع ٢٣/٢٧ و ٢٤/٢ .

(٣) سفر الحكمة ٩/١٨ .

. (٨) سفر يشوع ٤١/٢٨ .

(٤) سفر يشوع بن سيراخ ٨/٢٠ و ٢١ .

الرب^(١) ، وأقسم الملك صديقاً لأرميا سراً بأن لا يقتله ولا يسلمه إلى شعب يهودا^(٢) .

يتبيّن مما تقدّم أنّ بني إسرائيل توسلوا ، في تاريخهم القديم ، العمل السري لتحقيق أهدافهم ، وأنّ نصوص العهد القديم توجّب عليهم التزام السرية في العمل وعدم إفشاء الأسرار . وعلى أي حال فإنّ ما يمكن استنتاجه من أسفار العهد القديم عن صفة اليهود يختصر بكلمة واحدة هي : المكر ، حتى أنّ الأنبياء - بزعمهم - لم ينجووا من هذه الصفة . والمكر في اللغة هو الاحتيال في خفية . يقال : مكر الشيء أي خصبه ، وهذا يستدعي إخفاء لونه الحقيقي . والمكر في كل حلال حرام^(٣) . وعلى هذا المعنى فإنّ إبراهيم (عليه السلام) مكر بالملك « أبيملك » ليخفى أمر زوجه سارة ، وكذلك فعل إسحاق (عليه السلام) كما سبق أن ذكرنا ، وداود (عليه السلام) مكر بأحد جنوده ليأخذ زوجته . ولكن هذا « المكر » يصبح أدهى وأمّر في أجيال بني إسرائيل من بعد ، كما يصورهم العهد القديم ، فيمكر بعضهم ببعض ويعصون أوامر الله ويرتكبون المحرمات والشّرور خفية وجهاً ، ويضطهدون الصالحين منهم فينزل الرب بهم غضبه وسخطه من حين لآخر ويسلط عليهم بذنبهم الوثنين من الأمم الأخرى . وتكثر ذنوب بني إسرائيل ، على وجه الخصوص ، بعد الخروج من مصر بقيادة موسى (عليه السلام) الذي يتبرّم بأفعالهم ومعاصيهم . جاء في نبوة آرميا عن بني

(١) نبوة آرميا ١٦/٣٧ .

(٢) ابن منظور ، ج ٥ ص ١٨٣ .

(٣) نبوة آرميا ١٦/٣٨ .

إسرائيل : «اغسلني الشر من قلبك يا أورشليم لكي تخلصي . إلى متى تبيت في داخلك أفكارك الأثيمة . إن شعبي سفيه . إنهم لا يعرفونني إنما هم بنون حمقى لا فهم لهم . هم حكماء للشر ولا دراية لهم للخير»^(١) .

ولكن كان يظهر في بني إسرائيل ، بين عصر وآخر ، أنبياء يقودون الشعب اليهودي على النهج القويم والتوحيد الخالص للرب أمثال داود وسليمان (عليهما السلام) . ولكن حتى هؤلاء الأنبياء لم يسلموا من صفة المكر في بعض أعمالهم ، كما ترجم أسفار العهد القديم . ولا نكاد نجد أثراً لمبدأ عصمة الأنبياء في هذه الأسفار . وبشكل عام يمكننا القول ، بعد قراءة أسفار العهد القديم ، إن بني إسرائيل - كما تصفهم هذه الأسفار - هم قوم مردوا على الشر وقشت قلوبهم ولم تفارقهم صفة المكر الخفي سواء في عهد الخروج من مصر والتي في صحراء سيناء ، أو في أيام دولتهم التي أنشأها داود الملك ، أو في عهد الشتات في بابل بعد ذلك . فهم يمكرون بالصالحين منهم عندما لا يكون هناك عدو يخشون سطوطه ، وهم يمكرون بعدوهم عندما يتسلط عليهم ويضطهدون كما نرى في سفرى يهوديت وأستير مثلاً .

المفهوم اليهودي للتوراة : وإذا كانت هذه النصوص المأخوذة من العهد القديم لا تعني لنا الكثير في سياق بحث النشاط السري لليهود ، فإن لها معانٍ أعمق بكثير مما تبدو لنا في المفهوم اليهودي . فهي ليست سوى معانٍ وألفاظ ظاهرية تنطوي

(١) نبوة أرميا ٤/٢٢ .

على دلالات باطنية سرية عميقة لا يستطيع تأويلها وفهمها سوى علماء الديانة اليهودية أي الرابيون والمحاخمات . إن التوراة في المفهوم الديني لليهود هي حقيقة سرية لا يمكن استنفاد كل معانيها ، وإن سبر أغوارها الخفية يعتبر ، في حد ذاته ، هدفاً باطنياً سرياً ذلك أن الكون صورة عن الفكرة التوراتية والتوراة هي صورة عن الله سبحانه^(١) .

وإذا كان المعنى الحرفي لكلمة توراة (Torah) في العبرية يعني الرؤية (Showing) فذلك لأن التوراة تتيح للإنسان أن يكتشف الأمور الباطنية الخفية ويتمكن من استخراج الحكمة والنفاذ إلى جوهر الأشياء . فالتوراة تنطوي على أعمق الأسرار وأكثرها غموضاً^(٢) .

وبحسب هذا الفهم فإن للتوراة دلالة مزدوجة حرافية ورمزية . فإلى جانب معانيها البسيطة الحرافية تنطوي كلمات التوراة على دلالة باطنية لا يفهمها إلا الحكماء ، ولا يعلم تأويلها إلا العارفون بأساليبها ورموزها ، والمقصود بهم علماء الدين اليهود^(٣) . وتحمل كلمات التوراة تأثيراً كبيراً حتى أن ترديدها ينطوي على قوة سحرية خاصة بها^(٤) . وقد حاول الرابيون ، من خلال التوراة ، الوصول إلى تفسيرات يهودية لمختلف الطقوس

Louis Finkelstein, **The Jews, Their religion and Culture**, P. 166.

(١)

Ibid, P. 166.

(٢)

Ibid, P. 167.

(٣)

Jacob Neusner, **A History of the Jews in Babylonia**, P. 119.

(٤)

السحرية^(١) ، كما أنهم استنبتوا مفاهيم باطنية للديانة اليهودية استناداً إلى فهمهم الخاص للتوراة . وبذلك وضع الرايون نصوصاً دينية جديدة تتضمن الأسرار التي استخرجوها من التوراة ، وأوجبوا العمل بها لأنها - بزعمهم - جوهر الديانة اليهودية . ومن هنا جاءت الكتب الدينية السرية عند اليهود مثل كتاب التلمود (Talmud) ، وكتاب زوهار (Zohar) ، وكتاب الكابالا (Cabbala- Kabbala) وكلها تتضمن تعاليم سرية مأخوذة من الفهم اليهودي للتوراة . وقد انتشرت التفاسير السرية للتوراة في إسبانيا في القرن الثالث عشر وأصبحت تعرف باسم «الكابالا» ، وأخذت تنتقل بشكل سري إلى «أولئك الأخ hacae من اليهود الجديرين بها»^(٢) . وتعني الكلمة «كابالا» في العبرية الوحي أو العلوم المتلقاة بواسطة الإيحاء الإلهي (Received Lore^(٣)) .

وفي نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر ظهرت نسخ من تفاسير دينية سرية للتوراة عرفت فيما بعد باسم «زوهار» (Zohar) وهي تعني بالعبرية النور الباهر (Brightness) ، وكانت تداولها بشكل سري حلقات القاباليين (أتباع تعاليم القابال) (Kabbalists)^(٤) .

ويتضمن كتاب «زوهار» رؤى وكشوفات تلقاها الراibi

Ibid. P. 118.

(١)

Simon Dubnov, **History of the Jews**, Translated by Moshe Spiegel, P. 123.

(٢)

Finkelstein P.P 165- 168

(٣)

Dubnov P. 129.

(٤)

شمعون بن يوحاني (Simon Ben Yohai) ، في القرن الثاني للميلاد ، وكتبت أولاً باللغة الآرامية ثم ترجمت إلى العبرية^(١) . وحسب هذا الكتاب فإن التوراة ليست سوى « الصدفة الخارجية » فقط لتفكير الرب ، أما الباب فإنه مخفى عن أعين الرعاع ولا تستطيع الوصول إليه سوى النخبة من الناس^(٢) .

ويتضمن كتاب « زوهر » تلميحات وإشارات متفرقة عن معجزات ونبؤات مختلفة منها ما يتعلق بظهور المسيح المنتظر عند اليهود، وأن الممالك والشعوب، غير اليهود، ستتباهى عن وجه الأرض ، وأن الأمة اليهودية سوف تستعيد مجدها السابق ، وسيتم جمع يهود الشتات في فلسطين . كما يتضمن الكتاب إشارات إلى البعث والقيامة^(٣) .

وخلاصة القول إن التوراة أوحى إلى الرايين بمفاهيم دينية سرية باطنية دونوها في كتب واعتبروها فائقة الأهمية وواجبة الاتباع عند اليهود لأنها بزعمهم تعبر عن الجوهر الحقيقي للديانة اليهودية . وهذا ما سوف نلمسه عند الحديث عن كتاب التلمود في ما يلي :

ثانياً : التلمود (Talmud)

يقول الأب آي . بي . برانايتس ، الذي قتله اليهود البلاشفة أبان الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧^(٤) ، إن كلمة التلمود (Talmud) مستخرجة من الكلمة « لامود » (Lamud) التي تعني

Ibid, P. 132. (٣)

Ibid, P. 130. (٢)

Ibid, P. 129. (١)

. (٤) الأب آي . بي . برانايتس ، « فضح التلمود » ص ١٥٥ .

« تعاليم »^(١) ، وهي تعبّر عن الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية . وحسب التفسير اليهودي يعتبر التلمود بمثابة تفسيرات وشرح للكتاب المقدس - العهد القديم - الذي يدعوه اليهود باسم « التوراة » . وتعرف هذه التفسيرات عندهم باسم « القانون الشفهي » ، ويقولون إن موسى (عليه السلام) تلقى من ربّه هذه الشروح والتفسيرات إضافة إلى الألواح التي تسلّمها من ربّه على جبل سيناء^(٢) . وهذا الجزء من التلمود ، أي القانون الشفهي ، يعرف باسم مشناه (Mishnah) وتعني بالعبرية « المعرفة »^(٣) ، والمشنّاه هو الجزء الرئيسي والأساسي للتلمود (Learning) كلّه^(٤) ، ويقال حسب المفهوم اليهودي إنّ النبي موسى (عليه السلام) بعدما تلقى « القانون الشفهي » نقله إلى « جوشوا » ، وهذا نقله إلى « الشيوخ » السبعين ، وهؤلاء بدورهم نقلوه إلى « الرسّل » الذين انتهوا بنقله إلى « كبير اليهود » . كما يقال إن هذه « الرسالة » نقلت بالتالي إلى عدد من الرابيين (Rabbin) ومفردها رابي (Rabbi) وهو رجل الدين اليهودي^(٥) والعالم بالقانون اليهودي^(٦) .

وحيث إن نصوص « المشناه » كانت بحاجة إلى تفسير وشرح ، فقد توّلى « الرابيون » و « الحاخامات » وضع ملاحظات وأحكام مختلفة حول محتويات « المشناه » جرى تدوينها من

(١) المرجع السابق ص ٢١ . (٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) ظفر الإسلام خان ، « التلمود ، تاريخه وتعاليمه » ص ١٣ .

(٤) الأب « برانايتس » ص ٢٣ .

Neusner, Op. Cit. Book III P. 95. (٦)

(٥) المرجع السابق ص ٢١ .

عصر إلى عصر مع إضافات وتعليقات وشروح جديدة حتى أصبحت هذه الإضافات المدونة بمثابة جزء جديد يعرف باسم «الجمارا» (Gemarah) وتعني بالعبرية «الإكمال» ، وأصبح التلمود مؤلفاً من قسمين «المشناه» وهو الأصل ، أو المتن و«الجمارا» وهي الإضافات التي وضعها «الرابيون» لشرح المشناه^(١) .

غير أن تعاليم «المشناه» لم تطرح كلها على بساط البحث والدرس في المدارس اليهودية ، فلم تتضمن مثلاً «الجمارا» أية شروح لكل ما يتعلق بالهيكل الذي دمر ، وترك البحث ، في هذا الموضوع ، إلى حين ظهور الياس (Elias) النبي والمسيح (Messiah) وهو المسيح المنتظر عند اليهود^(٢) .

(١) ظفر الإسلام خان ص ٢٠ والأب برانايتس ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) برانايتس ص ٥٤ وأحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٧٠ .

ولتلמוד مكانة كبيرة عند اليهود ويجب اعتباره من أوامر الله وكلماته [برانايتس ص ٤٢] كما أن له الأفضلية على الكتب المقدسة بما فيها «التوراة» . ومن تعاليم الرabbين قولهم : «اهتم يا بنى بأوامر الكتابة مفضلاً أياماها على أوامر القانون» . وجاء في كراس «بابها ميتسيا» (Babha Metsia) في التلمود نفسه ما يأتي : «أولئك الذين يكرسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس (Bible) يؤدون فضيلة لا ريب فيها لكنها ليست كبيرة ، وأولئك الذين يدرسون «المشناه» يؤدون فضيلة سوف ينالون المكافأة عليها ، لكن أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة «الجمارا» يؤدون فضيلة سامية جداً [برانايتس ص ٤١] . كما نقرأ في كراس سانهدرين (Sanhedrin) الآتي : «الذى يخالف أوامر الكتابة يرتكب خطيئة مميتة أكثر مما لو خالف أوامر القانون» [برانايتس ص ٤١] . وبذلك يتبيّن لنا أن الشروح والإضافات التي كتبها الحاخامات أو الرabbين ، والمعروفة باسم «الجمارا» ، لها الأولوية من حيث الأهمية الدينية ، عند اليهود =

موقف التلمود من المسيحيين وغير اليهود :

وحيث إن التلمود حفل بالكثير من العبارات التي تدل على عداء شديد لل المسيحية ، وبالأوصاف المشينة بحق المسيح ومريم العذراء (عليهما السلام) ، فقد تعرض اليهود ، بسبب ذلك ، لحملات متالية من الإضطهاد في أوروبا . ولسنا الآن في مجال تحقيق أسباب الإضطهاد الذي تعرض له اليهود في تاريخهم الطويل ، بل ما نريد قوله هنا إن هذا الإضطهاد دفع زعماء الدين اليهودي المجتمعين في بولندا سنة ١٦٣١ م ، إلى اتخاذ قرار أعلنه « الرابيون » ومفاده أنه لا ينبغي طبع أي شيء يضايق

= قبل « المنشأة » و « التوراة » . وهناك نسختان من « الجمارا » نسخة القدس التي فرغ منها الرابي جوشanan (Jochanan) في سنة ٢٣٠ م ، ونسخة بابل التي وضعها عدد من الرا比ين في بابل ما بين سنتي ٣٢٧ و ٥٠٠ للميلاد ، على أن اليهود اعتمدوا في المقام الأول ، وفي جميع الأزمان ، نسخة بابل [براناتيس ص ٢٤ - ٢٥] . وبالتالي يمكن القول إن التلمود هو قوانين ، غير تلك المدونة في « التوراة » ، وضعها حكماء اليهود كشروع وتعلقيات حول نصوص منسوبة إلى موسى عليه السلام بحجة تنظيم الحياة الداخلية لليهود لزيادة تمسكهم وتسلطهم على المجتمع [ظفر الاسلام خان ص ٣٠].

وقد خل التلمود على « الرابيين » صفات خارقة للطبيعة ونسب إليهم قوى سحرية وممارسة طقوس خاصة بهم [Neusner Op Cit PP118- 119- 192] . وفي معتقد الرابيين أن الإله في السماء والملائكة درسوا القانون (توراة) تماماً مثلما فعلوا هم على الأرض [Ibid Book P.147] . وبذلك فإن حدث أن قرر « الرابيون » في المحكمة الأرضية ، أمراً مخالفًا لما قررته المعجزات السماوية فإن الرب يصبح عندهن بسحور قائلاً : « لقد قهرني أبنائي » ! [Ibid P.148]. وفي معتقدهم أيضاً أنه مثلما خلق الإله العالم بواسطة القانون (التوراة) كذلك فإن « الرابيين » المقدسين بإمكانهم خلق حيوانات وأنساب [Ibid P.150] . وينكر الرابيون « أن يكونوا يمارسون السحر ، ولكن القوى الخارقة للطبيعة التي يتمتعون بها إنما زودهم بها القانون أي « التوراة » [Ibid P.180].

المسيحيين ويؤدي وبالتالي إلى اضطهاد الإسرائييليين . لذلك كانت هناك رموز لمقاطع كثيرة محفوظة في الكتب اليهودية التي نشرت في القرن اللاحق وما بعده . وفي هذه الحالة أصبح «الرابيون» يشرحون من الذاكرة ما تخفيه هذه الرموز من معان لأنهم يحتفظون لديهم بنسخ من الكتب الأصلية التي قلما يطلع عليها المسيحيون أو غير اليهود^(١) . ومثال على هذه الرموز ، التي لا يعلم تأويلها إلا «الرابيون» ، يلاحظ الأب برانيتس أن كلمة «غوي» مفردها «غوي» ، ويطلقها اليهود على كل من هو غير يهودي ، يمكن أن تنطوي على معنى باطن غير الذي يجاهر به اليهود . فاليهود لا ينكرون إطلاق كلمة «غوي» على الآخرين ، ويقولون إن هذه الكلمة لا تعني شيئاً مؤذياً أو شريراً . غير أن الأب برانيتس ، الضليع باللغة العبرية ، يلاحظ عكس ذلك تماماً في الكتب العبرية ومنه ما ورد في شوشين هاميشبات (Choschen Hammischpat) حيث يستعمل اسم «غوي» بمعنى فاسد^(٢) . ومن علوم التلمود علم يتناول القواعد والمناهج التي يمكن بواسطتها التتحقق من المعاني الحقيقة لنصوص التلمود وتفسير الرموز التي ترد فيه وهو ما يعرف باسم هرمنيوتิกس (Hermeneutics)^(٣) ، وقد وضعت هذه القواعد لاستنباط معاني التلمود بواسطة الرابين . فهناك مثلاً القواعد السبع للرابي «هيلليل» (Hillel) ، والقواعد الثلاث عشرة للرابي «إيشمايل» (Ishmael) ، والقواعد الاثنتان والعشرون للرابي «اليعازر»

(١) الأب برانيتس ص ٨٢ .

The Jewish Encyclopedia Vol. 12. P. 30. (٣)

(٢) المرجع السابق .

(١) . و تستند هذه القواعد التفسيرية للتلمود على رموز معينة منها على سبيل المثال : وضع نقاط فوق الحروف في كلمات معينة ، أو تفسير بعض الكلمات بحسب القيم العددية للحروف التي تؤلف هذه الكلمات ، أو إبدال موقع حرف مكان حرف آخر في بعض الكلمات . . . أخ(٢) ، وقد اضطر اليهود إلى اعتماد هذه الرموز في تفسير المعاني الحقيقة لبعض نصوص التلمود خوفاً من اطلاع الآخرين ، ولا سيما المسيحيين ، على التعاليم السرية في التلمود وخاصة تلك التعاليم التي تتضمن أوصافاً وعبارات مشينة بحق المسيح (عليه السلام) واليسريين ، كما أشرنا قبل قليل (٣) .

ولذلك يتناقل اليهود تعاليم التلمود سراً من جيل إلى جيل (٤) على أن « النسخة المطهرة » من التلمود ، التي اعتمدت في طباعة معظم النسخ الجديدة للتلمود ، لا تحتوي على التعاليم السرية التي كانت قد ظهرت في طبعة البندقية عام ١٥٢٠ م ، والتي أمر ببابا روما بإحراقها بسبب ما ورد فيها من تعاليم هدامة معادية للمسيحيين (٥) . وقد ظهرت الطبعات « المطهرة » للتلمود في مدينة « بازل » بسويسرا بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٨١ م . وجاء فيها « إن بإمكان المسيحيين أن يقرأوها دون آية إشكالات » (٦) .

ومن الجدير باللحظة في نسخ التلمود المطبوعة ، خلال

(٣) الأب برانايتس ص ٤٤

Ibid, P. 30. (١)

(٤) ظفر الإسلام خان ص ٣٠ .

Ibid, P. 30 (٢)

(٥) المرجع السابق ص ٤٦ - ٤٧ .

Encyclopedia of Religion and Ethics. Vol. 12 P. 185.

(٦)

المائة سنة الأخيرة ، وجود فراغات بيضاء أو رسوم دوائر وهي ترمز إلى وجود كلمات في النسخة الأصلية حذفت من هذه النسخ . وهذه الكلمات المحذوفة هي ألفاظ نابية في حق المسيح (عليه السلام) ومرى العذراء ورسل المسيحية^(١) .

ومع ذلك فقد بقيت في التلمود عبارات تشهد على التعاليم السرية التي حذفها علماء اليهود من نسخ التلمود ، وهي تؤكد عنصرية اليهود واحتقارهم لمن عداهم من الشعوب . فمن تعاليم التلمود : « إن اليهودي وحده يُحترم كرجل ، كل ما ومن في العالم له ، وجميع الأشياء يجب أن تكون في خدمته ، خصوصاً الحيوانات التي لها أشكال آدمية »^(٢) . ويبين التلمود لليهودي أن يتظاهر بال المسيحية للاحتيال على غير اليهود . كما يستطيع اليهودي ، بموجب تعاليم التلمود ، أن يحلف يميناً كاذبة بضمير صاف . وجاء فيه أن الراibi « آكبيها » أقسم بشفتيه لكنه في قوله نسخ القسم .

وجاء في مؤلف الرابي «أشير» : «إذا أرغم قاضي المدينة
يهوداً على القسم بأنهم لن يفروا من المدينة حاملين أي شيء منها
فباسطاعتهم القسم على ذلك زيفاً قاتلين لأنفسهم إنهم لن
يفرروا .. اليوم ، ولن يحملوا معهم أي شيء من المدينة ، اليوم
فقط»^(٣) .

(١) أوغست روهلج - اليهودي على حسب التلمود - ترجمة الدكتور يوسف هنا نصر الله ، مراجعة العلامة مصطفى الزرقا ، ص ٥٥ - ٥٦ . ورسل المسيحية هم تلاميذ السيد المسيح (عليه السلام) الذين يशروا بتعاليمه .

(٢) الأب برانايتس ص ١١٢ . (٣) روهلنج ص ٥٣ - ٥٤ وص ٣٨ .

وبذلك يجوز لليهودي أن يحلف يميناً كاذبة على أن يؤولها في سرّه إلى معنى آخر ، وشرط ألا يكتشف الآخرون غشه وكذبه ، ولا تعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يميناً حقيقة لأنه أقسم لحيوان والقسم لحيوان لا يعتبر يميناً ، ولذلك يجوز لليهودي أن يحلف زوراً أمام غير اليهود^(١) .

ولا ينبغي لليهودي ، بحسب التلمود ، أن يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم ، أي غير اليهود^(٢) . ومن الواجب الديني على اليهود «أن يسعوا في إعلاء شأن الديانة اليهودية بواسطة إصلاح الظواهر ولو كانوا أشراراً في الباطن»^(٣) . ومن أقوال الرابي «كروفنر» في هذا الشأن : إن التلمود يصرح لليهودي بأن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها ، ولكن عليه أن يفعل ذلك سراً ثلا يلحق الضرر بالديانة^(٤) .

وبحسب تعاليم التلمود فإن من الجائز لليهودي إذا قابل أجنبياً أن يوجه له السلام ويقول له : «الله يساعدك أو يباركك» على شرط أن يستهزئ به سراً^(٥) .

ويبيح التلمود لليهود أن يسرقوا أموال الخارجين عن دين اليهود ما لم يكتشف الآخرون السرقة . فالسرقة من الأجانب

(١) المرجع السابق ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) روهلنج - ص ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٣) روهلنج ص ٣٤ .

ليست سرقة عندهم بل استرداد لأموال اليهود^(١).

ويلزم التلمود اليهودي بأن لا يجاهر بقصده الحقيقي ، وإذا استدعي الحاكم يهودياً للشهادة على يهودي آخر وألزمته قسم اليمين ، فعلى اليهودي أن يعتبر تأدبة اليمين جبرية وأن يؤوله في سره بكيفية أخرى . وحسب التلمود فإن الإنسان (أي اليهودي) مهمما كان شريراً في الباطن وأصلح ظواهره يخلص ، وعلى اليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة ولا يعرض أحد أخوانه اليهود لضرر ما . ومن يعرف شيئاً مضمراً بصالح اليهودي ونافعاً لأمني فعليه أن يكتمه عن السلطة الحاكمة وإذا باح بذلك ارتكب ذنباً عظيماً^(٢).

وبحسب التفسير التلمودي للوصية الثامنة من الوصايا العشر « لا تسرق » يصبح معناها لا تسرق شخصاً يهودياً^(٣) ، وكذلك تحكم التعاليم التلمودية بحرمة الربا بين اليهود ، أما عندما يتعلق الأمر بشخص أجنبي (Gentile) فمن واجب اليهودي أن يحصل على أكبر قدر ممكن من الربا من غير اليهودي^(٤) ، وعلى هذا النحو يتضمن التلمود الكثير من التفسيرات الباطنية لما ورد في العهد القديم .

أما الذي يحاول هتك أسرار التلمود فجزاؤه الموت . يقول الرابي جوناثان : « الغوي (غير اليهودي) الذي يتفحص ،

(١) المرجع نفسه ص ٥٠ . ٥٣ و ٥٤ .

Israel Shahak- *The Jewish Religion and its attitude to non- Jews* Khamsin Journal No 8 (P. 46.

Ibid, P. 51.

(٤)

بفضول ، القانون ، مجرم يستحق الموت »^(١) .
 ومع ذلك فإن محاولات اليهود الحثيثة لإخفاء التعاليم السرية
 للتلمود لم تمنع الباحثين الصالحين باللغة العبرية ، أمثال الأب
 برانايتس ، من الكشف عن بعض التعاليم السرية للتلمود ، ومنها
 ما ورد في نسخة البندقية المطبوعة سنة ١٥٢٠ م ، كما أسلفنا ،
 والنسخة المنشورة في هولندا بين عامي ١٦٤٤ و ١٦٤٨ م .
 وحسبنا دلالة على سرية التعاليم الواردة في التلمود قول الحاخام
 يوشوا بن ليفي : « الذي سينسخه (أي التلمود) كتابة لن يكون
 له نصيب في العالم الآخر ، والذي يشرحه سوف يحرق »^(٢) .

ثالثاً : بروتوكولات حكماء صهيون

(Protocols of Learned Elders of Zio)

أثارت هذه التعاليم السياسية السرية ، مع ظهورها في مطلع القرن العشرين ، عاصفة من التساؤلات والأخذ والرد حيث سارع اليهود ، ومن يشاع لهم ، إلى نفي نسبتها إليهم ، بينما ظهرت كتابات ودلائل تؤكد أن البروتوكولات تمثل جانباً من التخطيط اليهودي السري للسيطرة على العالم واستعباد البشرية^(٣) .
 نُشرت البروتوكولات ، لأول مرة ، باللغة الروسية سنة ١٩٠٢ م على يد العالم الروسي « سيرجي نيلوس » ، الذي

(١) الأب برانايتس ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ظفر الإسلام خان ص ٣٥ .

(٣) راجع ما أورده د . حسن ظاظا في كتابه « الشخصية الإسرائيلية » عن البروتوكولات والمقابلة بين من يؤكدون نسبتها إلى اليهود ومن ينفون ذلك ص ٩١ - ١٠١ .

يقول ، في تعقيب على هذه البروتوكولات ، إنه حصل عليها من صديقه أليكسي نيقولايفتش ، كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية القيصرية^(١) ، وهذا الأخير حصل على نسختها الأصلية من سيدة فرنسية أخذتها خلسة من أحد زعماء الماسونية الحرة (Free Masonary) على إثر اجتماع سري ماسوني في فرنسا ، حيث كان مركز المؤتمر الماسوني اليهودي^(٢) ، ثم ترجمت البروتوكولات إلى الإنكليزية ومنها إلى اللغات الأخرى .

ويرى الأستاذ عباس محمود العقاد « أن الذين يشككون في صحة ما نشر عن البروتوكولات يبنون النقد على المشابهة بين نصوصه ونصوص بعض الكتب التي سبقت ظهورها بأربعين سنة ، أو بأقل من ذلك في أحوال أخرى ، ومنها حوار بين ميكافيلي^(٣) ومتسكيو^(٤) ، يدور حول التشهير بسياسة نابليون الثالث الخارجية ، كذلك يعتمد هؤلاء المشككون بصحة البروتوكولات على تكذيب ورد في صحيفة « التايمز » للوثائق عند ظهورها »^(٥) .

(١) محمد خليلة التونسي - البروتوكولات ص ١٩١ - راجع أيضاً حسن ظاظا « الشخصية الإسرائيلية » ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

(٣) Machiavelli (١٤٦٩ - ١٥٢٧) سياسي ومؤرخ إيطالي صاحب مذهب في السياسة قوامه أن الغاية تبرر الوسيلة ، أشهر كتابه « الأمير » الذي عرض فيه نظريته في الدولة والحكم .

(٤) Montesquieu (١٦٨٩ - ١٧٥٥) فيلسوف فرنسي عني بالسياسة والتاريخ . أشهر كتابه « روح الشرائع » كتبه سنة ١٧٤٨ وفيه انتقد السلطة الحاكمة في فرنسا . وتعتبر أفكاره من العوامل التي مهدت لنشوب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ .

(٥) العقاد - مقدمة البروتوكولات ص ١٥ .

ويضيف العقاد قائلاً : « أما المرجحون لصحة الوثائق ، أو لصحة مدلولها ، فخلاصة حجتهم أنها لم تأتِ بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها ومنها التلمود وكتب السنن اليهودية ». ويقول الصحفي الإنكليزي شسترتون (A.K. Chesterton) ، في مناقشته للكاتب الإسرائيلي لفتورش (Leftwich) ، أقوالاً مختلفة لتعزيز الواقع المفهوم من تلك البروتوكولات خلاصتها أن لسان الحال أصدق من لسان المقال ، وأن مشيخة صهيون ، أو حكماء صهيون ، قد يكون لهم وجود تاريخي صحيح ، أو يكونون جميعاً من خلق التصور والخيال ، ولكن الحقيقة الموجودة التي لا شك فيها أن النفوذ الذي يحاولونه يصلون إليه قائم ملموس الواقع والأثار^(١) .

ويقول الأستاذ العقاد : « نستطيع نحن أن نضيف إلى أقوال « شسترتون » أقوالاً كثيرة من قبيلها وفي مثل معناها واستدلالها ، فهذا الدولاب الهائل الذي دار على حين فجأة من الآستانة إلى أميركا إلى أفريقيا الجنوبية لتنفيذ البروتوكولات شاهد من شواهد العصبة العالمية التي تعمل باتفاق في الغاية إن لم تعمل باتفاق في التدبير^(٢) .

(١) المرجع السابق ص ١٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٦ - ١٧ .

وإذا كانت آثار الشيء تدل عليه فإن آثار العصبة اليهودية العالمية تدل دلالة قاطعة على وجودها بالرغم من السرية التامة التي تغلف نشاطاتها وأساليب عملها ، وهذا ما دفع عدداً من الباحثين في الغرب إلى إطلاق الصيحة تلو الصيحة تحذيراً من الخطر اليهودي وسطوة النشاط السري الهدام ، الذي يمارسه أقطاب =

ومما يجدر التوقف عنده في أمر البروتوكولات أن مترجمها إلى الإنكليزية ، وهو مراسل جريدة « مورننغ بوست » اللندنية في روسيا ، المستر « فيكتور مارسدن » (V.Marsden) قد تلقى تحذيراً بالموت إذا أصرَّ على نشر كتاب البروتوكولات ، ولكن « مارسدن » لم يأبه بالتحذير فنشر الترجمة الإنكليزية للبروتوكولات . وقد لاقى حتفه بعد سنوات قليلة من نشر الكتاب في ظروف غامضة^(١) .

وسنورد في ما يلي بعض الفقرات من نصوص البروتوكولات المترجمة إلى العربية للاستدلال بها على التعاليم السرية الواردة فيها . الواقع أن البروتوكولات كلها تتطوّي في كل سطر منها على جانب من جوانب النشاط السري ، وتختبئ بأساليب كثيرة للعمل الخفي المنظم من أجل تحقيق أهداف عامة كبرى يتولّها حكماء اليهود للسيطرة على العالم ، وستكتفي بإثارة بعض الفقرات التي تحضّن مباشرة على السرية في العمل وضرورة الالتزام بها التزاماً تاماً من أجل تنفيذ المخطط .

= اليهود في العالم . غير أن الكتب التي تتكلّم عن قادة « اليد الخفية » تظهر وتختفي سريعاً مثل كتاب « الروتشيلديون » لجون ريفز ، والكتاب الذي يحمل نفس العنوان لمؤلفه ديماشي ، وكتاب « أسرار الروتشيلديين » لماري هوبارت ، وكتاب « الجمعيات السرية » للسيدة نستاوبستر ، وكتاب « دافع القلق العالمي » الذي صدر عن « المورننغ بوست » اللندنية . . ألغ [ولIAM غاي كار - أحجار على رفعة الشطرونچ ص ٣١٤] .

(١) سبيريدوفيش - « حكومة العالم الخفية » ص ٣٩ - ٤١ .

البروتوكول الأول

ورد في البروتوكول الأول « إن الأمميين (غير اليهود) الرعاع وحكامهم أيضاً هم عميان في السياسة ، وإن ما من أحد استطاع أن يفشي الأسرار للشعب المحكوم ، وإن فقدان معنى التعليمات السياسية أعن أصحاب هذه البروتوكولات (أي حكماء اليهود) على نجاح أغراضهم »^(١) وبموجب هذا النص فإن أمر السياسة العامة للشعوب هو من الأسرار التي لا ينبغي البوح بها .

البروتوكول الثالث

ويؤكد البروتوكول الثالث ضرورة عدم إفشاء أسرار السياسة أمام الأمميين ، فيقول إن علم الأحوال الاجتماعية الصحيح لا ينبغي تسليم أسراره للأمميين »^(٢) .

البروتوكول الرابع

وجاء في البروتوكول الرابع « إن كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة ، أولها فترة الأيام الأولى لثورة العميان (المقصود بهم الأمميون الرعاع من غير اليهود) التي تكتسح وتخرّب ذات اليمين ذات الشمال . والمرحلة الثانية هي حكم الغوغاء الذي يؤدي إلى الفوضى ويسبّب الاستبداد . إن هذا الاستبداد من الناحية الرسمية غير شرعي ، فهو لذلك غير مسؤول ، وإنه خفي محجوب عن الأنظار ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوساً به ، وهو

(١) التونسي - البروتوكول الأول ص ١١١

(٢) البروتوكول الثالث ص ١١٧ .

(أي هذا الاستبداد) على العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض العملاء (. . .) الذين تتخذهم ستاراً .

ويمضي هذا البروتوكول متسائلاً بسخرية : « من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن . إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا . ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا ، وفي مركز قيادتنا ، ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً^(١) .

البروتوكول الخامس

ويقول البروتوكول الخامس عن جماعة اليسوعيين (Jesuits) : « إننا نجحنا في أن نجعلهم هزواً وسخرية في أعين الرعاع ، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً^(٢) . »

ويقول أيضاً : « نحن - أي حكماء صهيون - أقوىاء جداً ، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينبئ إلينا . وإن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ، ولو صغيرة ، دون أن تتدخل فيها سراً^(٣) . »

ونقرأ في البروتوكول الخامس أيضاً هذه العبارة : « لضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بغيرات من جميع

(١) البروتوكولات ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ .

النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون (غير اليهود) في مناهتهم ، وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو أن لا يكون لهم رأي في المسائل السياسية ، هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القيادة الموجهين فحسب ، وهذا هو السر الأول . والسر الثاني - وهو ضروري لحكومتنا الناجحة - أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد ، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكّر بوضوح في ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً^(١) .

البروتوكول السابع

ويذهب البروتوكول السابع إلى « إن النجاح الأكبر في السياسة يقوم على درجة السرية المستخدمة في اتباعها ، وأعمال الدبلوماسي لا يجب أن تطابق كلماته »^(٢) .

وورد فيه أيضاً : « يجب علينا (أي حكماء صهيون) أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ، ولكننا فيما يسمى « اللغة الرسمية » سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية »^(٣) .

(١) البروتوكول الخامس ص ١٢٤ .

(٢) البروتوكول السابع ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٧ .

البروتوكول العاشر

ويقرر البروتوكول العاشر أن «أهمية الكتمان تكمن في حقيقة أن المبدأ الذي لا يذاع علنًا يترك لنا حرية العمل ، مع أن مبدأً كهذا إذا أعلن مرة واحدة يكون كأنه قد تقرر »^(١) .

البروتوكول الحادي عشر

ونقرأ في البروتوكول الحادي عشر العبارة الآتية : « لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة (أي سياسة حكماء صهيون) دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي . وماذا حفزنا على هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ، ونحن جنس مشتت ، عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة ، بل بالمراؤفة فحسب ؟ هذا هو السبب الصحيح ، والأصل في تنظيمنا للمسؤولية التي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأمميين ولذلك لا يرتابون في مقاصدها . . . »^(٢) .

البروتوكول الثاني عشر

ويتحدث البروتوكول الثاني عشر عن وسائل السيطرة على دور النشر والصحافة في العالم ، ومما جاء فيه الآتي : باسم الهيئة المركزية للصحافة (Central Commission of the Press) سننظم اجتماعات أدبية ، وسيُعطى وكلاؤنا دون أن يفطن إليهم ، شارة للضمان (Countersigns) وكلمات السر (Passwords) . وبمناقشة سياستنا ومناقضتها ، من ناحية سطحية دائمة

. (٢) البروتوكول الحادي عشر ص ١٤٣ .

. (١) البروتوكول العاشر ص ١٣٥ .

بالضرورة ، ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة ، سيستمر أعضاؤنا في مجادلات زائفة شكلية مع الجرائد الرسمية ، كي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة أكثر مما نستطيع في إذاعتنا البرلمانية ، وهذا لا يكون إلا لمصلحتنا فحسب . وهذه المعارضة من جانب الصحافة ستخدم أيضاً غرضنا ، إذ تجعل الناس يعتقدون أن حرية الكلام لا تزال قائمة ، كما أنها ستعطي وكلاعنا فرصة تُظهر أن معارضينا يأتون باتهامات زائفة ضدنا ، على حين أنهم عاجزون عن أن يجدوا أساساً حقيقياً يستندون عليه لنقض سياستنا وهدمها . هذه الإجراءات التي ستختفي ملاحظتها على انتباه الجمهور ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور » .

وجاء فيه أيضاً : « سنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطريق أخبار صحيحة أو زائفة ، حقائق أو ما ينافيها ، حسبما يوافق غرضنا (. . .) وسنحتاط دائماً احتياطاً عظيمًا لجس الأرض قبل السير عليها »^(١) .

البروتوكول الثالث عشر والبروتوكول الرابع عشر

نقرأ في هذا البروتوكول الثالث عشر ما يأتي : « لكي نبعدها (أي الجماهير) عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهمها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب (. . .) »^(٢) . ويقول بعد أسطر : « من الذي سيرتاب حيثئذ في أننا نحن

(١) البروتوكولات ص ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

الذين نثیر هذه المشكلات وفق خطة سياسية لم يفهمها إنسان طوال قرون كثيرة»^(١).

وورد في البروتوكول الرابع عشر أيضاً الآتي : «إذا نؤدي هذا ، سنعرف أيضاً على الحقائق الباطنية (Mystic Truths) للتعاليم الموسوية»^(٢).

وجاء في هذا البروتوكول أيضاً : «سيفضح فلاسفتنا كل مساواء الديانات الأممية (أي غير اليهودية) ، ولكن لن يحكم أحد أبداً على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة ، إذ لن يستطيع لأحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها»^(٣).

البروتوكول الخامس عشر

يتحدث هذا البروتوكول عن بعض الإجراءات التي سيتم اتخاذها عندما يسيطر حكماء صهيون على العالم فيقول : «إن تأليف أي جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت . وأما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر - ونحن نعرفها - والتي تخدم ، وقد خدمت ، أغراضنا فإننا سنحلّها وننفي أعضاءها إلى جهات نائية من العالم»^(٤).

ويقول : «إلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ،

(١) المرجع نفسه ص ١٥٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٢ .

(٣) البروتوكول ١٣ ص ١٥٣ .

(٤) البروتوكولات ص ١٥٦ .

سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وسنجدب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة (. . .) ، وسوف ترکز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وستتألف هذه القيادة من علمائنا ، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون كي نحجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا حقيقة (. . .) ، وكل وكلائنا (Agents) في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونون أعضاء في هذه الخلايا . ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا ، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا وأن يستتبّطوا تفسيرات معقولة للضجر والسطح بين الطوائف ، وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا »^(١) .

وجاء فيه أيضاً الآتي : « . . . وتعبر سياستنا السرية أن كل الأمم أطفال ، وأن حكوماتها كذلك »^(٢) .

البروتوكول السادس عشر

يتناول هذا البروتوكول بعض أساليب السيطرة على مقاعد التدريس الأكاديمية فيقول : « سيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً وسليته ببرنامج عمل سري متقن »^(٣) .

البروتوكول الثامن عشر

ومما جاء فيه الآتي : « إن ملوك الدولة العالمية

(١) المرجع نفسه ص ١٦٣ .

(٣) البروتوكول ١٦ ص ١٦٤ .

(٢) البروتوكول ١٥ ص ١٦٣ .

اليهودية) سيكون محمياً بحرس سري جداً (. . .) . إن حراسة الملك جهازاً تساوي الاعتراف بضعف قوته «^(١) .

البروتوكول الثاني والعشرون

وجاء في البروتوكول الثاني والعشرين ، على لسان من يتلوه على محفل حكماء صهيون : « حاولت في كل ما أخبرتكم به ، حتى الآن ، أن أعطيكم صورة صادقة لسير الأحداث الحاضرة وكذلك سير الأحداث الماضية (. . .) وقد بيّنت لكم خططنا السرية التي نعامل بها الأمميين » .

ثم نقرأ فيه أيضاً : « في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة ، وأعني بها الذهب ، ففي خلال يومين نستطيع أن نسحب أي مقدار منه من حجرات كتنا السرية »^(٢) .

البروتوكول الرابع والعشرون

يتناول أسلوب تدعيم دولة الملك داود (أي الحكومة اليهودية العالمية) ، ومما جاء فيه الآتي : « إن أعضاء كثريين من نسل داود سيعدون ويربّون الملوك وخلفاءهم الذين لن ينتخبو بحق الوراثة بل بمواهبيهم الخاصة ، وهؤلاء الخلفاء سيفقهون فيما لنا من مكونات سياسية سرية وخطط للحكم ، آخذين أشد الحذر من أن يصل إليها أي إنسان آخر (. . .) ، ولن يعرف أحد أهداف الملك حين يصدر أوامره ، ومن أجل لذلك لن يجرؤ أحد على أن يعترض طريقه السري »^(٣) .

(١) البروتوكولات ص ١٧٣ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٩ .

(٣) البروتوكولات ص ١٨٥ .

خاتمة

هذا باختصار ، أبرز ما تتطوّي عليه بروتوكولات حكماء صهيون من تعاليم تدعوا مباشرة إلى اعتماد السرية في العمل من أجل تحقيق حكومة اليهود العالمية . وليس يعنينا ما يشار من خلاف بين من يؤكّد صحة البروتوكولات ومن ينكر دلالتها ، ويزعم أنها موضوعة من قبل أعداء اليهود ، ولن نخوض في الأدلة والحجج التي يوردها كل من الفريقين ، إذ لا طائل من ذلك ، طالما أن السرية كانت دائمًا تغلف النشاطات اليهودية عبر التاريخ ، وليس من اليسير على الباحث أن يجد أدلة ظاهرة للعيان تؤكّد بشكل موضوعي أن البروتوكولات وضعها حكماء اليهود طالما أنهم ينكرونها في العلن ويزعمون أن أعداءهم وضعوها لتشويه صورتهم . ولكن الأمر ثابت ، لدى الباحث ، وجود قرائن ووقائع ملموسة تؤكّد أن الكثير مما ورد في البروتوكولات يتحقق على صعيد الواقع وتقوم بتنفيذ قوى خفية على رقعة الشطرنج العالمية^(١) ، ومن يتبع التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لاسيما في أوروبا ، منذ بدأ التأثير اليهودي يظهر جلياً على مسرح الأحداث العالمية في القرن الثامن عشر وما تلاه ، يتأكد له تطابق الكثير من هذه الأحداث العالمية مع ما ورد في البروتوكولات . ولعل هذه الفكرة قد عَبرَ عنها الأستاذ « سيرجي نيلوس » ، أول ناشر للبروتوكولات باللغة الروسية سنة ١٩٠٥ ، عندما قال في مقدمة الكتاب : « إننا لا نستطيع البحث

(١) غاي كار ص ٩ وما بعدها .

عن براهين مباشرة في مشكلات الخطط الإجرامية التي أمامنا (يقصد بذلك ما ورد في البروتوكولات) ، ولكن علينا أن نقنع بالبيانات العرضية أو القرائن (. . .) . إن المكتوب ، في هذا الكتاب ، ينبغي أن يقنع من لهم آذان للسماع «^(١) .

وجاء في تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنكليزية للبروتوكولات : « يزعم اليهود ، ضرورة ، أن البروتوكولات زور ، ولكن الحرب العظمى ليست زوراً ، ولا مصدر روسيا زوراً ، وبهذين الأمرتين تنبأ حكماء صهيون منذ أمد طويل يرجع إلى سنة ١٩٠١ »^(٢) .

أما أبرز النقاط الواردة في نصوص البروتوكولات التي أوردناها فيمكن استخلاصها فيما يلي :

أولاً : هناك عصبة عالمية تتالف من حكماء اليهود وتعمل في نطاق من السرية التامة لتحقيق هدف بعيد هو السيطرة على العالم ومقدرات الشعوب ، وإنشاء حكومة عالمية تخضع لتوجيه اليهود المباشر .

ثانياً : إن سياسة الشعوب من الأسرار التي لا يعرفها سوى حكماء اليهود ولا ينبغي البوح بها ، وإن المسائل السياسية هي من اختصاص القادة الموجهين ولا يجوز للشعب أن يدركها . ويتوقف نجاح العمل السياسي على درجة السرية المتبعة في تحقيقه .

(١) التونسي - مقدمة البروتوكولات ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٤ - ٩٥ .

ثالثاً : ينطوي حكماء اليهود على كثير من الخبر والدهاء ويفظرون غير ما يطنون ويحرصون على الكتمان في تحقيق أغراضهم ، ويخفون أماكن اجتماعاتهم .

رابعاً : يحرك حكماء اليهود الأحداث في العالم بواسطة عملاء من الأمميين (أي غير اليهود) المنضوين تحت ألوية التنظيمات اليهودية ، من دون أن يدرك هؤلاء العملاء الأهداف السرية لسياسة اليهود العالمية . ويطلق على هؤلاء العملاء إسم «العميان» .

خامساً : أخطاء الشعوب الأخرى هي التغرات التي ينفذ من خلالها اليهود لتحقيق مخططاتهم بإثارة الحروب والفتن والأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم .

سادساً : السيطرة على وسائل الإعلام ودور النشر ، واصطنان عملاء يعملون في هذا المجال لتوجيه الرأي العام وفق ما يلائم سياسة حكماء صهيون .

سابعاً : اجتذاب كل شخصية ذات اهتمام في النشاط العام للانخراط في التنظيمات اليهودية التي تنتشر خلاياها في العالم أجمع تحت أسماء شتى ، ولاسيما منها الحركة الماسونية .

ثامناً : الاعتماد على خدمات عملاء من أساتذة الجامعات ورجال البوليس يجري إعدادهم وتدريلهم من أجل تنفيذ ما يطلب منهم .

وبعد ، فقد تبين لنا ، مما تقدم ، أن منهج السرية في العمل سمة بارزة في النشاط اليهودي ، وخلق متأصل ، في ممارسات بني إسرائيل عبر التاريخ ، تغلب عليه نوازع المكر الخفي وتدفعهم إليه الرغبة في الهيمنة على سائر الشعوب . فهم ، كما يصورهم الكتاب المقدس - العهد القديم ، قوم غلت عليهم التزعة إلى الشر والإثم واستهولتهم معصية الرب ، فكان يتزل بهم عقابه كلما زاغوا عن الحق . ولم تقتصر صفة المكر وارتکاب الإثم على جهالاتهم ، بل لم يسلم منها أنبياؤهم أيضاً ، كما تزعم أسفار العهد القديم . وفي هذا كله خطوط عريضة ترسم لنا العناصر الأساسية التي تكونت منها الشخصية اليهودية عبر التاريخ والتي اختصرناها بكلمة واحدة هي : صفة المكر .

أما التلمود فهو الكتاب الأكثر أهمية عند اليهود لأنه ثمرة تفكير حكمائهم خلال قرون طويلة ، وعليه الاعتماد في رسم منهجهم الديني والسياسي بين بعضهم البعض وتجاه الآخرين . وقد انطوى التلمود على تعاليم سرية فيها إساءة واحتقار للغير ، ولاسيما ما يتناول المسيح (عليه السلام) واليسوعيين ، ولذلك اضطر اليهود إلى حذف الكثير من هذه التعاليم ووضعوا مكانها رموزاً لا يعلم تأويلها إلا حكماؤهم الذين يحتفظون سراً بنسخها الأصلية ومعانيها الحقيقية . وفي التلمود جوانب كثيرة من النشاط السري والدعوة إلى العمل الخفي من أجل تحقيق ما يؤمن به اليهود .

واما بروتوكولات حكماء صهيون فهي تمثل آخر ما تتفق عنه العقل اليهودي في تحقيق الاستراتيجية البعيدة في حكم العالم ،

وليست الصهيونية سوى الأداة الظاهرة التي تعمل من أجل تحقيق هذا الحلم تدعها في ذلك قوى خفية كبرى في العالم . وما ورد في هذه البروتوكولات بين رأيين : مشكّل بصحتها ومتقبل لما ورد فيها كدليل على أساليب العمل التي يتبعها اليهود لتحقيق حلمهم الشيطاني . والدراسة الموضوعية لهذه البروتوكولات تجد فيها توقعات كثيرة حول أحداث وقعت فعلاً فيما بعد ، وتطورات ملموسة الآثار والتنتائج في العالم ، ونشاط قائم تحركه أيدٍ خفية من وراء نقاب . وكلما أوغلنا في درس هذه الخطط السرية ، بالمقارنة مع ما تحقق على الساحة الدولية خلال القرنين الماضيين ، كلما تبيّنت لنا دلائل جديدة على ضلوع اليهود في هذا النشاط المشبوه الذي يضع أمامه هدفاً كبيراً يتمثل في إقامة حكومة اليهود العالمية وإخضاع شعوب الأرض كافة لسلطانها المطلق .

أصل اليهود وتسميتهم وجوانب من علاقاتهم التاريخية بال المسلمين

يدعى اليهود أنهم أقدم شعب لا يزال يحتفظ بجذور انتمائه وخصائصه الدينية والقومية إلى اليوم^(١) ، هذا إذا لم تأخذ بالنظرية القائلة بأن نسبة كبيرة من يهود العالم اليوم ينحدرون تاريخياً من أصل أوروبي شرقي يرقى إلى سلالة الخزر ، وهو شعب وثني قديم شبيه بالمغول ، عاش في قلب آسيا ، وشق طريقه بحروب دموية حوالي القرن الأول قبل الميلاد إلى أوروبا الشرقية^(٢) . وظل هذا الشعب وثنياً حتى سنة ٧٢٠ للميلاد حين تحول ملك الخزر «بولان» إلى اليهودية وتبعه شعبه فأصبح سكان مملكة الخزر يهوداً بالتحول والاعتناق^(٣) . وعلى أي حال فإن اليهود يعتبرون أن نسبهم يرقى إلى النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) الذي نزح من «أور» في بلاد الكلدانيين جنوبي

(١) يقول الكاتب اليهودي «إسحق دويتشر» في كتابه «اليهودي اللايهودي» إن دولة إسرائيل تمثل أقدم شعب في العالم وأحدث دولة قومية ، ترجمة ماهر الكيالي ، ص ٦٥ .

(٢) بنiamin فريدمان «يهود اليوم ليسوا يهوداً» ص ١٤ .
(٣) فريدمان ص ١٥ - ١٦ .

العراق ، حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وعبر نهر الفرات إلى أرض كنعان حيث عرف قومه ونسله من زوجه « سارة » فيما بعد باسم « العبرانيين » ، وهو مشتق ، على الرأي الأرجح ، من الجذر « عبر » المعروف في كل اللغات السامية بمعنى « اجتاز من جهة إلى أخرى » ، ومنه اشتقاق العِبْر (بكسر العين وتسكين الباء) أي الضفة الأخرى ^(١) . ولكن الاستعمال الحديث لكلمة « عربي » أصبح يرتبط بال المقدسات التراثية القديمة والجوانب الثقافية لليهود فيقولون مثلاً « اللغة العربية » و « الأدب العربي » و « الجامعة العربية » . . . الخ ^(٢) .

على أن اليهود عرفوا خلال تاريخهم الطويل بأسماء أخرى منها « الإسرائيليون » نسبة إلى « إسرائيل » ، وهو لقب للنبي يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل (عليهم السلام) اختللت الروايات في أصله ، وهو على الأصح اسم مركب من لفظتين ساميتيتين قدامتين هما « أسر » بمعنى القوة والغلبة و « أل » أي الإله ، أو الله ، فيكون معنى الكلمة « قوة الله » ^(٣) .

وقد أطلق القرآن الكريم على نسل يعقوب اسم بني إسرائيل ، كما سماهم « الأسباط » أي الأحفاد ومفردها سبط (بكسر السين وتسكين الباء) ، وهو ابن البنت ، يقابلها الحفيد وهو ابن الابن . ويُجدر التبصر بدلالة الكلمة « الأسباط » طالما أن اليهودي ، بحسب المفهوم الديني لليهود ، هو المولود من أم يهودية . كذلك أطلق القرآن الكريم عليهم اسم اليهود ،

(١) د. حسن ظاظا - « الشخصية الإسرائيلية » - ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ . (٣) المرجع السابق ص ١٦ .

والملاحظ أن لفظة «بني إسرائيل» وردت في القرآن الكريم في معرض ذكر أنعم الله وأفضاله على نسل النبي يعقوب (عليه السلام) مع ذكر معاصيهם وضلالاتهم أيضاً، فامتزجت في هذه اللفظة الدلالة على الخير والصلاح حيناً والدلالة على الشر والفساد في طباعهم حيناً آخر. أما كلمة «يهود» فلم ترد في القرآن الكريم إلا في معرض تجريع اليهود، واقتربت بموضع الذم واللوم لهم على كفرهم وعصيائهم. قال تعالى في معرض الثناء على الصالحين من بنى إسرائيل في تاريخهم القديم : ﴿ وَتَمَتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ الْحَسَنِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُ فَرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَوَأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِبْوَأً صَدِيقًا وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنْ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٢) . أما في معرض ذكر شرورهم وآثائمهم فالآيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرِيمٍ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَلَعْنَوْهُ لَبَشْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(٣) . وأما لفظة «اليهود» فقد اقتربت دائماً بذكر الجوانب السيئة في خلق بنى إسرائيل نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنَا بِمَا قَالُوا .. ﴾^(٤) . ومن المفسرين من يذهب إلى تفسير لفظة ﴿ المغضوب عليهم ﴾ الواردة في سورة «الفاتحة» بأنها وصف لليهود.

(١) سورة الأعراف : الآية ١٣٧ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٨ و ٧٩ .

(٤) سورة يومن : الآية ٩٣ .

وتعد كلمة «يهود» إلى «يهودا» أحد أبناء يعقوب (عليه السلام) الثاني عشر . فاليهودي في الأصل هو الذي يتسبّب إلى سبط «يهودا» ، الابن الرابع للنبي يعقوب من زوجته الأولى «لِيَا» ، ومن هذا السبط ظهر أعظم حكام بني إسرائيل مثل داود وسليمان (عليهما السلام) فانتسب الشعب كله إليه فأطلق على بني إسرائيل جميعاً اسم اليهود^(١) .

نظريّة فرويد (FREUD) في نشأة الديانة اليهودية :

على أن هناك نظرية في نشأة الديانة اليهودية قال بها عالم التحليل النفسي اليهودي «سيغموند فرويد» (S.FREUD) مؤذناها أن الديانة اليهودية إنما أخذها موسى (عليه السلام) من الديانة المصرية^(٢) ، وأن موسى نفسه كان مصرياً من العائلة المالكة . وقد رفض «فرويد» فكرة البوة والوحى ، ولم ينظر إلى النبي موسى على أنه رسول من الله إلى بني إسرائيل لإخراجهم من مصر ، بل اعتبره رجلاً مصرياً من أصل نبيل عاش في عهد الفرعون «إختاتون» - في النصف الأول من القرن الرابع عشر

(١) الشخصية الإسرائيلية ص ٣٨ .

أما في اللغات اللاتينية فإن كلمة «يهودي» «Jew» كانت ، حتى القرن السابع عشر ، تلفظ بأشكال مختلفة مأخوذة كلها من كلمات يونانية وأرامية وعبرية مشتقة هي الأخرى من الكلمة «جوديا» «Judea» ، التي كانت تطلق على المنطقة الجنوبية من فلسطين قديماً ، ومن هذه الكلمة اشتق الاسم (Judah) و (Judean) وتعني الشخص المقيم في جنوب فلسطين . ومن ثم أطلقت التسمية ، فيما بعد ، على جميع القبائل الإسرائيلية في الجنوب والشمال [فريدمان ص ٣٠ - ٣٢ ، راجع أيضاً : The Jewish Encyclopedia Vol 7.P.174] .

(٢) سigmوند فرويد - موسى والتوحيد - ترجمة جورج طرابيشي ص ٥٠ .

قبل الميلاد - الذي أُعلن لأول مرة في تاريخ مصر القديمة ديانة التوحيد . ويفضي فرويد في فرضية نظريته عن نشأة الديانة اليهودية فيزعم أن موسى تأثر بهذه الديانة التوحيدية وأن « إخناتون » كان معلمه وسيده^(١) .

إنَّ واقع الحال يدحض هذا الزعم نظراً لوجود خلاف جوهري بين الديانة التي دعا موسى (عليه السلام) قومه إليها وديانة إخناتون . فالمعروف أن « إخناتون » دعا إلى عبادة الشمس باعتبارها رمزاً لقوة الإله الواحد^(٢) بينما دعا موسى لعبادة الله وحده مباشرة . هذا الخلاف يحاول فرويد تسويغه لدعم نظريته فيقول إن موسى « كان من المؤمنين المقتنيين بديانة « إخناتون » ولكنَّه كان على نقىض الملك المتأمل ، كان ذا قوة وعاطفة متداقة » ، إلى أن يقول : « وربما كانت الشرائع التي أخذ بها موسى يهوده أقسى من الشرائع التي استنَّها سيده ومعلمه إخناتون ، وربما كان قد أغفى كذلك الارتباط بإله الشمس في « أون » الذي كانت ديانة إخناتون ما تزال من المؤمنين به »^(٣) .

ويذهب فرويد إلى أن موسى (عليه السلام) وجد نفسه ، بعد موت إخناتون والقضاء على ديانته التوحيدية سنة ١٣٥٨ م ، أمام خيارين : الخروج من مصر هرباً بعقيدته

(١) فرويد - ص ٤٩ وص ٨٣ - راجع أيضاً فؤاد محمد شبل - إخناتون رائد الثورة الثقافية - ص ٨٦ - ٨٨ .

(٢) إخناتون رائد الثورة الثقافية ص ٩١ .

(٣) فرويد ص ١٢٩ .

التوحيدية أو الرجوع عن دينه ، وقد اختار أن يكون قائداً لـ «قبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال ، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأعراب وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده ، واختارهم ليكونوا شعبه»^(١) .

اليهود و «السامية» وشعب الخزر

وإذا كان «فرويد» قد ذهب بداعف من نزعته الإلحادية إلى إنكار نبوة موسى واعتباره من أصل مصرى ، فإنه اعترف بأن الشعب ، الذي قاده موسى ، إنما كان شعباً سامياً أو «قبيلة سامية» على حد تعبيره . هذه «السامية» التي يهُول بها اليهود اليوم على الشعوب الأخرى أصبحت بمثابة أداة للابتزاز يلوحون بها كلما أرادوا تأليب الرأي العام العالمي على من لا يمالئ أهواءهم ويسير في ركبهم ، ويكتفى أن يقال اليوم عن شخصية من الشخصيات العالمية إنها معادية للسامية حتى يتحرك ضدها الإعلام الصهيوني المنتشر في أصقاع الأرض^(٢) . ولكن السؤال الذي نطرحه الآن هو : هل يحق لمن يزعمون أنفسهم يهوداً اليوم أن يتسبوا جمياً إلى «السامية» ؟ الواقع التاريخي يثبت أن عدداً كبيراً من الذين يطلقون على أنفسهم اليوم اسم «اليهود» ليسوا

(١) المرجع السابق ص ١٢٩ .

(٢) راجع أخبار الحملة اليهودية على الأمين العام السابق للأمم المتحدة فالدهايم الذي انتخب سنة ١٩٨٦ رئيساً لجمهورية النمسا على الرغم من هذه الحملة . وكان الاتهام الأول له أنه معاد للسامية (Antisemitic) ، وأنه عمل في صفوف الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية (الصحف البيروتية والعالمية الصادرة في شهري نيسان وأيار ١٩٨٦ وما تلاها حول هذا الموضوع) .

من أصل سامي ، كما سبق وذكرنا قبل قليل ، بل هم من أصل مغولي - فنلندي ، وعرفوا في التاريخ باسم شعب الخزر ، ولم يتحول هذا الشعب عن وثنيته إلى اليهودية إلا في أوائل القرن الثامن للميلاد ، وبذلك فإن يهود أوروبا الشرقية ليسوا ، في الواقع ، من أصل سامي ولا يحق لهم ادعاء هذه « السامية » ، التي لا ينفكون عن استخدامها كأدلة عند الحاجة لتحقيق مآربهم السياسية ، كما نرى شأنهم في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية . ومن الملاحظ أن ثمة إغفالاً متعمداً لتاريخ شعب الخزر حيث لا تأتي على ذكره كتب التاريخ في المدارس والمعاهد التعليمية . أما يهود الولايات المتحدة الأميركيّة ، الوافدين من أوروبا الشرقية ، فيحرصون على إخفاء هذه الحقيقة عن أصلهم غير السامي ويشنون حملات شعواء على كل من يجرؤ من الباحثين على كشف هذه الحقيقة التاريخية^(١) . ويلاحظ باحث أمريكي أن شعب الخزر كان يضم دائمًا فئة من الإلحاديين « الذين يظهرون ولاء لليهودية أو للمسيحية خدمة لمآربهم ولكنهم لم يكونوا أبداً ليؤمنوا بوجود الله »^(٢) .

المواجهة الأولى مع المسلمين في يثرب

ومهما يكن الأمر فإن اليهود ، على إثر خراب الهيكل الثاني ، انتشروا في البلاد الواقعة بين آسيا الصغرى ومصر ، والبعض منهم كان موجوداً في هذه المناطق قبل خراب الهيكل

(١) فريدمان ص ١٦ .

(٢) ولIAM غاي كار (أحجار على رقعة الشطرينج - ص ٤٨ - ٤٩) .

أيضاً^(١) ، وقد توزعوا أواخر القرن الأول الميلادي في أرجاء شبه الجزيرة العربية وفي اليمن وال العراق والشام ومصر وتركيا ، ويبدو أنهم لاقوا اضطهاد في المناطق التي كانت تخضع لحكم المسيحيين في هذه البلدان مثل سوريا وتركيا ومصر . أما اليهود الذين توجّهوا إلى المناطق التي تسكنها قبائل وثنية مثل الحجاز فقد تمتعوا بحريتهم الكاملة ، وإن كانوا قد واجهوا معاناة مماثلة في بعض الأحيان^(٢) . وبشكل عام ، يعني هذا أن يهود الحجاز تمتعوا بحرية دينية كاملة قبل ظهور الإسلام لأن القبائل العربية ، التي جاوروها في تلك المنطقة ، كانت وثنية في معظمها . وأنشأ اليهود في القرون الأولى للميلاد مستعمرات في شبه الجزيرة العربية أشهرها في يثرب التي أصبحت فيما بعد مدينة الرسول ﷺ ، وتيماء وفذك وخمير ووادي القرى ، كما انتشرت اليهودية في جنوب الجزيرة حيث اعتنقها كثير من القبائل في اليمن . ومن أشهر المتهودين « ذونواس » ملك اليمن الذي عرف عنه اضطهاده لنصارى نجران . وقد عمل اليهود على نشر تعاليم التوراة وتفسيراتها في مناطق سكناهم في شبه جزيرة العرب^(٣) .

إذا كانت هجرة المسلمين من مكة إلى يثرب في سنة ٦٢٠ للميلاد تعتبر بدأة تحول كبير في مسار الدعوة الإسلامية ، فإنها كانت - في الوقت نفسه - بداية صراع من نوع آخر ، غير الصراع مع مشركي قريش ، أعني بذلك صراعهم مع القبائل اليهودية التي كانت قد توطّنت يثرب وما حولها منذ زمن بعيد ، و McKnight لنفسها

Hayim Kohen- The Jews of the Middle East (1860- 1972). The introduction. (١)

(٣) أحمد أمين - فجر الإسلام - ص ٢٤ .

Ibid, P. (١). (٢)

في الأرض ، فأقامت حصوناً قوية وأنشأت مركبات اقتصادية مهمة في مقاييس ذلك العصر . وكانت يثرب في أيدي اليهود قبل هجرة الأوس والخزرج إليها^(١) . ويبدو أن هاتين القبيلتين قدمتا من الجنوب ؛ إذ يرجع نسب الأوس والخزرج إلى قبيلة الأزد اليمنية التي تفرعت عن شعب كهلان ، وهو من نسل قحطان أبي اليمنيين جميعاً^(٢) . ولقد وجد اليهود أنفسهم مضطرين للتعايش مع الأوس والخزرج فأنشأوا معهم علاقات سياسية على قدم المساواة^(٣) ، وجمعوا بينهم مصالح الجوار مع رجحان المصالح الاقتصادية اليهودية في المنطقة بشكل ملحوظ . ولم يكن ذلك كافياً للهدوء والسلام بين القبيلتين القادمتين من الجنوب بل كان الصراع سمة دائمة بينهما اصطبغت بلون الدم ، وسجل التاريخ موقع كثيرة سفكت فيها الدماء من الفريقين ، وأدى بهما هذا التزاع إلى فتنة مستمرة قسمت يثرب إلى مسكترين متنابذين . وفيما عاش يهود بنى النضير وبني قريطة مع الأوس نرى بنى قينقاع يحتفظون بمساكنهم المجتمعة المنعزلة^(٤) . ولم يكن يهود الحجاز بعيدين عن مسببات الصراع بين الأوس والخزرج ، ففي وقت من الأوقات خضع الأوس للخزرج وخسروا أرضهم ، بيد أن الأوس ما لبثوا أن تحالفوا مع يهود بنى قريطة وبين النضير ومن ثم تغلبوا على الخزرج في معركة كبيرة حاسمة جرت في « بعاث » ، ولم يعرف الفريقان السلام بينهما بعد هذه المعركة بل استمر

(١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ج ١ ص ٤٧ .

(٢) أحمد أمين فجر الإسلام - ص ٧ .

(٣) بروكلمان ج ١ ص ٤٨ .

النزاع عنيفاً مميتاً^(١).

ولئن شارك اليهود في هذا الصراع أحياناً فإنهم كانوا هم المستفيد الأول من حروب الأوس والخزرج على الصعيد الاقتصادي . فبنو قينقاع مثلاً كانت لهم سوق تجارية في يثرب ، وكان منهم الصاغة^(٢) ، وبنو النضير كانوا أصحاب أموال ، وقد غنم المسلمون من هذه الأموال عندما أجlahم النبي إلى خير^(٣) ، أما خير نفسها فقد كانت مستعمرة غنية تحميها الحصون^(٤) . وعلى الجملة فقد كانت مستعمرة غنية تحميها دائمًا في التاريخ ، بتشمير الأموال بكل الوسائل والأساليب ؛ فهم أرباب الربا وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿وَأَخْذُهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نَهَا
عَنْهُ وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾^(٥) ، وكان لهم أيضاً باع في صنع السلاح فكان ذلك تقليداً خاصاً بهم توارثوه منذ أيام داود (عليه السلام) الذي يعزى إليه الفضل في صناعة الأسلحة من معدن الحديد . قال كعب بن زهير في لامية المشهورة « بانت سعاد » يصف المسلمين :

شم العرانيين أبطال لبوسهم

من نسج داود في الهيحا سرابيل^(٦)

ويرع اليهود أيضاً في معالجة الذهب فكان منهم الصاغة^(٧) .

وبشكل عام فقد كانوا يسيطرون على النشاط الاقتصادي في

(١) المرجع نفسه .

(٢) ابن هشام ، عبد الملك ، ج ٣ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦١ .

(٤) المراجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٥) ابن هشام ج ٤ ص ٥١٣ .

(٦) تاريخ الطبرى - ذخائر العرب - ج ٢ ص ٤٨١ .

يشرب وما حولها ، وينظرون إلى الأوس والخرج على أنهم دخلاء جاؤوا من اليمن طارئن على يثرب^(١) وشعر اليهود أن استقرار الأوس والخرج يمكن أن يضر بالمصالح الاقتصادية اليهودية فعملوا على تسيير الصراع القبلي بينهما . ولقد ذكرنا قبل قليل أن الصراع انتهى في وقت من الأوقات بإذعان الأوس للخرج ، وهذا يعني انتهاء الحروب بينهما . ولم يكن اليهود ليرضوا بهذا الوضع ، فإذا بني قريطة يتحالفون مع الأوس ثم نشببت معركة كبيرة هي معركة « بعاث » كان النصر فيها هذه المرة للأوس على الخرج ليستمر هذا الصراع الدامي بانتظار هجرة النبي ﷺ ، إلى يثرب ليضع حدًا نهائياً له .

والجدير باللحظة حول مشاركة اليهود في هذا الصراع « أن كل فريق من اليهود كان يتعاون مع كل فريق من العرب ضد بعضهم البعض »^(٢) . ففي إحدى حروب الأوس والخرج ، مثلاً ، اضطر بنو النضير وبنو قريطة إلى مواجهةبني قينقاع في ميدان المعركة فقتل بعضهم بعضاً وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم . ولكن إذا حدث أن أسر العرب بعض اليهود في الحرب كان يسرع اليهود من الفريق الآخر إلى فداء هؤلاء الأسرى وتخلصهم من أيدي الأوس أو الخرج ، مع العلم أن الذين دفعوا فدية اليهود الأسرى كانوا يحاربون هؤلاء الأسرى مع العرب^(٣) .

(١) بروكلمان ج ١ - ٢ ص ٤٨ .

(٢) ابن هشام ج ١ - ٢ ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤١ .

هذا التناقض في الخلق اليهودي هو ، في الواقع ، جزء من استراتيجية الإفساد =

وليس بين يدينا من النصوص ما يمكننا أن نزعم معه أن اليهود
الحجاز جاهروا بهذه العنصرية ، بل جلّ ما يمكننا قوله أنهم سعوا

= في الأرض ، وهذا ما دأب عليه أكثر اليهود منذ القدم . ومن اليسير علينا أن نجد
في كتابهم المقدس شواهد كثيرة على ذلك . وعلى سبيل المثال جاء في نبوة
أرميا الآتي : « اغسلي الشر من قلبك يا أورشليم لكي تخلصي . إلى متى تبيت
في داخلك أفكارك الأثيمة . . إن شعبي (أي بنى إسرائيل) سفيه . إنهم لا
يعرفونني . إنما هم بنون حمقى لا فهم لهم . هم حكماء للشر ولا دراية لهم
للخير » [نبوة أرميا - العهد القديم ٤ / ١٤ و ٢٢] .

ومن أسباب هذا الشر المتواصل في اليهود ، على ما أرى ، أنهم اعتبروا
أنفسهم « أبناء الله وأحباءه » ، ونظروا إلى الشعوب الأخرى على أنها عبيد
وخدم لم تخلق إلا لخدمتهم وتحقيق مصالحهم ، بل لا يتورع بعض كتبهم عن
اعتبار بقية الشعوب بمنزلة الحيوانات بالمقارنة مع بنى إسرائيل ، بل تبيح لهم
هذه النصوص استبعاد من سواهم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والسيطرة على
ثروات الشعوب لتحقيق أهدافهم الكبri بالهيمنة على العالم ، ويعتبرون هذا
من حقهم لأنهم « شعب الله المختار » [جاء في سفر تثنية الاشتراك ٦ ، ٧
الآتي : « لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإليك اصطفى الرب إلهك أن تكون
له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض » . ومن تعاليم التلمود : « إن
نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات » وفي العهد القديم وفي التلمود خاصة
أمثلة كثيرة على العنصرية اليهودية يمكن الرجوع إليها] .

وبهذا نجد تفسير قوله تعالى : « وإن أخذنا مياثاكم لا تسفكون دماءكم ولا
تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأئتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون
أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ظاهرون عليهم بالإثم والعداوة وإن
يأتوكم أسرارى تقذدهم وهو محروم عليكم إخراجهم ، فأفتقرون ببعض الكتاب
وتکفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم
القيمة يرددون إلى أشد العذاب وما الله بفائل عما تعلمون » [سورة البقرة :
الآية ٨٤ - ٨٥ وابن هشام ، القسم الأول - من السيرة النبوية ص ٥٣٩ - ٥٤٠] .

للسيطرة السياسية على المنطقة من خلال السيطرة على النشاط الاقتصادي فيها ، ولعل هذا ما جعل دورهم هاماً في إذكاء الصراع بين الأوس والخزرج واستثماره لمصلحتهم الاقتصادية ، حتى ولو اضطربوا ذلك إلى أن يناصبوا بعضهم البعض العداء من أجل تحقيق هذا الهدف البعيد كما حدث في معركة « بعاث » على نحو ما ذكرنا من قبل . وسرى ، بعد ، أن نفراً من يهود يثرب لم يتورعوا عن الدخول في الإسلام ليتزعموا حركة التفاق في صفوف المسلمين ويكيدوا للإسلام من داخل الجماعة الإسلامية الناشئة .

عهد « الصحيفة » :

وإذا تبعنا سلوك اليهود بعيد الهجرة وجدناهم يظهرون ، بادئ الأمر ، الترحيب بالنبي ﷺ والمسلمين متربقين ما ستأتي به الأحداث . ولعل اليهود حسروا أن النبي لا يعدو أن يكون مثله كمثل الكهان والعرافين الذين لعبوا دور الرؤساء الدينيين في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ، وما كان اليهود يتوقعون أن يكون النبي المنتظر من غيربني إسرائيل ، بل ما كان أبعدهم عن القبولبني يظهر من العرب الوثنين الأميين الغارقين في أسباب الجهل . غير أن الآيات البينات التي واجه بها النبي ﷺ أحبار اليهود وعلماءهم جعلت هؤلاء يدركون أن محمداً يختلف عما عهدوه في كهان العرب وعرافيهם ، ولذلك دخل عدد من كبار علمائهم في الإسلام وحسن إسلامهم أمثال عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية ومخيريق ، أحد بنى ثعلبة بن الفطيون ،

وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وغيرهم^(١) . ولقد حرص النبي بعد استقراره في المدينة على حسن الجوار مع اليهود فوادعهم وأقرهم على دينهم وأموالهم باعتبارهم من أهل الكتاب ، وكتب لهم عهداً ورد في « الصحيفة » التي حفظ لنا التاريخ نصها ، وكانت بمثابة الدستور الذي نظم العلاقات بين المهاجرين والأنصار واليهود جميعاً^(٢) . ومما جاء في هذه « الصحيفة » « أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم موالיהם وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم . . . وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»^(٣) . ولقد أرست الصحيفة العلاقات بين أهل المدينة على أسس جديدة أبرزها :

- ١ - توحيد المسلمين تحت راية الإسلام ونبذ مساوىء النظام القبلي الذي كان سائداً قبل ذلك .
- ٢ - إبدال العصبية القبلية بين الأوس والخزرج بالرابطة الإسلامية التي تجعل المسلمين كلهم أخوة في دين الله ، متساوين في الحقوق والواجبات لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى .
- ٣ - أصبح الاسم الجديد للأوس والخزرج « الأنصار » ، أي أنصار رسول الله .

(١) ابن هشام ج ١ - ٢ ص ٥١٦ و ٥١٨ و ٥٥٧ .

(٢) ابن هشام ج ١ - ٢ ص ٥٠١ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، وراجع أيضاً : Julius Wellhausen Muham-

mad and The Jews of Madina, Translated by Wolfgang H. Behn. P. 132.

٤ - إلغاء الأخذ بالثار وإقرار مبدأ القصاص في الجرائم وفق التشريع الإسلامي .

٥ - الإقرار بالحرية الدينية لليهود ، كونهم من أهل الكتاب ، شرط أن يتعهدوا بعدم التآمر على المسلمين أو التحالف مع أعدائهم .

٦ - مشاركة اليهود في الدفاع عن المدينة إذا تعرضت لهجوم خارجي ومساهمتهم في نفقات الحرب .

نقض اليهود عهد النبي :

ولكن سرعان ما أدرك اليهود أن النظام الاجتماعي الإسلامي الذي أرسى النبي قواعده في المدينة ، لن يكون لمصلحتهم ، فلا حروب بين الأوس والخزرج ولا تعامل بالربا ولا خمر ولا فواحش ولا رفت ولا فتن ، وهذه كلها أمور كانت مصدر قوة وثراء لليهود في الحجاز . وقد كانت مدة الشمانية عشر شهراً التي تفصل بين تاريخ عقد « الصحيفة » وتحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة المشرفة في المسجد الحرام بمكة ، فترة سلام نسبي بين المسلمين واليهود ، ولكنها كانت أيضاً مدة كافية لكي يدرك اليهود خلالها أن مصالحهم الاقتصادية بدأت تتأثر بنمط الحياة الاجتماعية التي سنّها النبي ﷺ للMuslimين في المدينة . فلا حروب تعود بالأرباح على تجار الحروب ، ولا سبيل إلى التفرقة بين أهل المدينة بعدما وحدّهم النبي وجعل منهم قوة سياسية جديدة تغضّ من مكانة اليهود التقليدية في يثرب وتبطل دورهم في الواقعة بين الأوس والخزرج . هنالك سُرّ اليهود عداءهم للنبي

وآذنا المسلمين بالعداوة . قال ابن إسحق : « ونصبت عند ذلك أخبار يهود لرسول الله ﷺ ، العداوة ، بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم (أي إلى أخبار اليهود) رجال من الأوس والخرج ومن كان عسى (أي بقي) على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتکذیب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهرروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر وكان هواهم مع يهود لتکذیبهم النبي ﷺ وجحودهم الإسلام . وكانت أخبار اليهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسو الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها »^(١) .

ولقد تبين لليهود أن النبي ﷺ يختلف عنمن عهدوه من رجال الأوس والخرج بل هو أقوى وأمنع من أن ينساق لأهوائهم ، فما كان لينطق عن الهوى بل بالوحى ، ولا يصدر عن أهواء البشر وإنما يصدع بأمر السماء ، فيشوا من استمالته إلى جانبهم لتحقيق مصالحهم الذاتية واسترجاع سعادتهم في يثرب^(٢) . ولكن اليهود كتموا ، بادئ الأمر ، عداءهم للنبي والمسلمين فأثروا المكر الخفي والتزموا التقية في تعاملهم مع النبي ﷺ ، ولم يتورع نفر منهم عن التظاهر بالإسلام والدخول في جماعة المسلمين لإفساد

(١) ابن هشام ج ١ ص ٥١٣ .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم - تاريخ الدولة العربية - ص ٩٤

أمورهم من الداخل أمثال : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وكتانة بن صوريا ، ولبيد بن أعصم ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وابن صوليا ، وعزال بن شمويل ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، ووهب بن يهودا ، وسلسلة بن برهام وغيرهم^(١) .

إذن ، كان أصحاب اليهود يتزعمون حركة النفاق في المدينة ، ويحاولون إفساد المسلمين وتشكيكهم ، وإخراج النبي بمسائل يسألونه عنها ، ولكنه كان ، في كل مرة ، يردهم خائبين بما أيده الله به من الوحي المبين . ولم يقتصر خطفهم على هذا الأمر بل سعوا في الواقعية بين الأنصار بإثارة الحساسيات القبلية القديمة بين الأوس والخزرج . روى ابن هشام أن شاس بن قيس (من يهود يثرب) مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية (. . .) ، فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم فقال : « اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله وأنشد لهم بعض ما كان تقاولوا فيه من الأشعار » (. . .) ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواكب رجالان من الحسين (. . .) فغضب الفريقيان جميعاً وقالوا : (. . .) « السلاح . . . السلاح » . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى

(١) ابن هشام ج ١ ص ٥١٤ - ٥١٦ .

جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين الله ، الله ، أبدعوی الجاهلية وأنا بين أظهرکم بعد أن هداكم الله بالإسلام وأكرمکم به وقطع عنکم أمر الجاهلية واستنقذکم به من الكفر وألف به بين قلوبکم ؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وکيد من عدوهم فبكوا وعانتي الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً »^(١) .

إخضاع بنی قينقاع وبنی قريظة :

وتواصل مکر اليهود بالمسلمین والکید لهم سراً وجهاً حتى نبذ بنو قينقاع ، وهم من الصاغة ، عهد النبي مطلع الشهر العشرين من الهجرة ، فكانوا أول من نکث من اليهود بالعهد جهرة وحاربوا فيما بين بدر وأحد^(٢) ، وكانت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين واليهود انتهت بإجلاء بنی قينقاع عن المدينة بعدما حاصرهم النبي ﷺ خمس عشرة ليلة^(٣) .

وفي السنة الرابعة للهجرة ، بعد هزيمة المسلمين في موقعة أحد ، تجرا اليهود ، من بنی النضیر ، على النبي ﷺ عندما جاءهم يستعينهم في دية قتيلين من بنی عامر قتلهمما عمرو بن أمية الضمري خطأ ، وكان بين بنی النضیر وبين بنی عامر عقد وحلف^(٤) ، فتظاهروا بالاستجابة لطلب النبي وانتدبا رجلاً

(١) المرجع السابق ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٢) تاريخ الطبری ج ٢ ص ٤٧٩ . أيضًا « ولهازن » الذي يقول : « إن اليهود اتصلوا بأبي سفیان زعیم قریش بعد معركة بدر » .

(٣) الطبری ج ٢ ص ٤٨٠ .

(٤) ابن هشام ج ١ - ٢ ص ١٩٠ .

منهم ، هو عمرو بن جحاش بن كعب ، ليلقى صخرة على النبي من أعلى بيت كان النبي ﷺ يجلس إلى جنب جداره عندهم . وقد أوحى إلى النبي ﷺ بما ائتمر به بنو النضير وما أضمروا من الغدر به ، فأمر بالهؤل لحربهم والسير إليهم^(١) ، وانتهت هذه المواجهة بإجلاء بنى النضير من المدينة فخرجوا على ٦٠٠ بعير فرحل فريق منهم إلى خير ومضى بعضهم إلى الشام . وفي حصن خير أخذوا يعدون العدة للثأر من المسلمين فاتصلوا بأهل مكة لتحريض قريش على مهاجمة المدينة . وهكذا أصبحت المدينة بين فكي كماشة : من الجنوب خطر قريش في مكة ومن الشمال خطر يهود خير المتحالفين مع قريش والقبائل البدوية . وكان يهود خير مصدر الخطر على المدينة^(٢) ، حيث اتصلوا ببعض القبائل العربية مثل غطفان وأسد وبني سعد وبني مرة وغيرهم يحرضونهم على المسلمين ، فنجحوا في تأليب القبائل على النبي ، فكانت موقعة الأحزاب ، أو الخندق ، وأحاط بنو النضير وحلفاؤهم من القبائل بالمدينة واشتد الخطب على المسلمين . وكان يهود بنى قريظة ، حتى الآن ، لا يزالون في المدينة على عهد النبي ﷺ لهم ، فلما رأوا جموع القبائل المتحالفة مع يهود بنى النضير وخير تحاصر المدينة انتهزوا الفرصة لإظهار ما تضمر صدورهم فنقضوا عهد النبي ﷺ على أمل أن تنتصر أحزاب القبائل وتدخل المدينة . وإذا انتهت الحملة على المدينة بفشل ذريع ليهود بنى النضير وحلفائهم بعد خدعة

(١) المرجع السابق ص ١٩٠ والطبرى ج ٢ ص ٥٥١ . Wellhausen. P. 120.

(٢) د. السيد عبد العزيز سالم ص ٩٨ ، راجع أيضاً : Wellhausen. P. 124.

سياسية يطول شرحها^(١) ، وارتدت القبائل عن المدينة ، فقد رأى المسلمين لزاماً عليهم استئصال الخطر اليهودي الداخلي فحاصروا بني قريطة في حصونهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم أزلهم النبي ﷺ على حكم سيد الأوس سعد بن معاذ ، الذي حكم بضرب أعناق الرجال منهم وقسمة أموالهم بين المسلمين وسي نسائهم وذرارتهم^(٢) . ويقول الأستاذ « ولهاوزن » : لم يكن أمم النبي سوى استئصال بني قريطة ليأمن الخطر اليهودي الداخلي ، ولو أنه طرد هم من المدينة لكانوا تحالفوا مع يهود خير كما فعل بنو النضير وبقي خطرهم دائماً يهدد المدينة^(٣) .

ولم يبق من خطر اليهود على المسلمين سوى ما كان من أمر خير ، وأيقن المسلمون أن اليهود لا يؤمن جانبهم وسيقى وجودهم في المدينة ، وما حولها ، مصدر خطر دائم على المسلمين ، وفي المحرم من سنة سبع للهجرة حاصر المسلمون حصنون خير ودام الحصار بضع عشرة ليلة^(٤) ، وفتح المسلمون عدداً من هذه الحصون حتى حُصر اليهود في حصونهم الآخرين « الوطيط » و« السالم » ، حتى إذا يئسوا من النجاة سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف^(٥) .

فلما أطمأن المسلمون في خير تحرك المكر اليهودي من جديد ، حيث حاول اليهود مرة أخرى قتل النبي ﷺ غيلة .

(١) تفاصيل هذه الخدعة السياسية في سيرة ابن هشام ج ٣ - ٤ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) الطبرى ج ٢ ص ٥٨٧ .

(٣) Wellhausen P.P. 124, 127.

(٤) ابن هشام ج ٣ - ٤ ص ٣٣٧ .

(٥) الطبرى ج ٣ ص ١٠ .

وتفصيل الأمر أن إحدى نساء اليهود ، زينب بنت العمارث امرأة سلام بن مشكم ، أهدت إلى النبي ﷺ شاة مشوية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة فلما وضعت بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معروف قد أخذ منها كما أخذ النبي ﷺ ، فاما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم . ثم دعا بها (أي بزينب) فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغني من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً (أي النبي) استرحت منه وإن كاننبياً فسيُخْبِرُ ، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر من أكلته التي أكل^(١) .

(١) ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٨ والطبرى ج ٣ ص ١٥ .

وهنا أجدرني مضطراً لتفنيد ما جاء به كارل بروكلمان وأضرابه من المستشرقين من مزاعم مقادها أن النبي ظلم اليهود وفكر في القضاء عليهم للتعويض عن الخسارة التي أصابت المسلمين في معركة أحد [بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ج ١ ص ٦٠] . ولا شك أن الباحث المنصف يدرك حقيقة ممارسات اليهود العدوانية ضد الجماعة الإسلامية الناشئة التي وجدت نفسها مضطربة للدفاع عن وجودها . وبمقارنته بسيطة بين سلسلة المذابح وأصناف الأضطهاد التي واجهها اليهود على يد أوروبا المسيحية ، منذ القرون الوسطى حتى عهد « النازية » في ألمانيا ، ندرك مدى السماحة التي عامل الإسلام بها اليهود ، بل إن اليهود لم يظفروا بسماحة كذلك التي عاملهم بها الإسلام خلال حكمه الطويل ، لا سيما في بغداد والأندلس ، ولكن خيانتهم الكبرى أيضاً كان هدفها المسلمون العرب في فلسطين . ويعترف اليهود أنفسهم بأن عصرهم الذهبي (Golden age) هو عصر الإسلام المتسامح [بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ج ١ ص ٦٠] .

ولو نظرنا بموضوعية مجردة إلى الطريقة التي عامل بها النبي ﷺ يهود الحجاز لوجدنا فيها دليلاً على سماحة منقطعة النظير . فالمسلمون في بداية تكوين دولتهم جماعة ناشئة تلقى من كيد قريش والقبائل الوثنية ما تلقى ، ثم يجد المسلمون أنفسهم أمام خطر آخر مصدره يهود يثرب الذين يتحالفون مع قريش سراً وجهاراً ويكونون للنبي والمسلمين خفية وعلنًا ، فنراهم يتزعمون حركة النفاق في صفوف المسلمين ويتهزون الفرص للقضاء على النبي ﷺ وأتباعه . ولعل حادثة الشاة المسمومة تصح دليلاً قاطعاً على السماحة التي واجه بها النبي ﷺ غدر اليهود ومكرهم ، فقد كان بإمكان المسلمين ضرب عنان يهود خير كافة ، ولكن النبي لم يأخذهم بجريرة ما فعلت زينب بنت الحارث بل عفا عنها حسب إحدى الروايات^(١) . ولا بد هنا من التساؤل : هل كانت محاولة قتل النبي ﷺ بالسم جريمة فردية انفردت بتدييرها زينب بنت الحارث ، أم كان ذلك عن تشاور وتديير مع قومها يهود خير ؟ وقد رأى المسلمون أن السم الذي دسته للنبي لم ينقطع تأثيره بل لم يزل يفعل فعله في جسد النبي ﷺ حتى كان من أسباب موته (عليه السلام) ، وأن المسلمين كانوا يرون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة^(٢) . وقد روى ابن هشام والطبراني أن النبي قال لأم بشر بن البراء ، وقد دخلت عليه تعوده في مرضه الذي توفي فيه : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من

(١) تاريخ الطبراني ج ٣ ص ١٥ وابن هشام ج ٣ - ٤ ص ٣٣٨ .

(٢) ابن هشام ج ٣ - ٤ ص ٣٣٨ والطبراني ج ٣ ص ١٦ .

الأكلة التي أكلت مع ابنك بخبير^(١) . فها هم المسلمون يسمعون النبي ، وهو في مرض الموت ، يشكون أثر المضافة المسمومة التي لفظها في خبير فكان السبب من أسباب وفاته عليه السلام ، ومع ذلك نرى المسلمين يتقبلون قضاء الله بنفسه راضية ولا يتعرضون لأحد من يهود خبير بسوء لأن الموت والحياة بيد الله وحده ، ولأن الإسلام لا يأخذ الجماعة بذنب الفرد فهل هناك سماحة وعدالة وسعتا اليهود في تاريخهم الطويل مثلما وسعهم عدل الإسلام وأهله ؟

تأثير اليهود في الصراع السياسي بعد وفاة النبي ﷺ :

قبل أن يلحق النبي ﷺ ، بالرفيق الأعلى ، في سنة إحدى عشرة من الهجرة ، كان شبه الجزيرة العربية قد دان لسلطان الإسلام . وفي ظل سيادة الدعوة الإسلامية الناشئة وتعاظم قوتها لا نكاد نجد أثراً لأي دور سياسي ظاهر ذي شأن يقوم به اليهود اللهم إلا ما لمسنا من نشاط مشبوه يكيد بالمسلمين ورجالهم ولكنه نشاط خفي يتوارى خلف ستار مع تحرك مرسوم وفق خطة مدبرة وهدف محدد لإفساد أمور المسلمين وتفريق صفوفهم وبث الفتنة فيما بينهم . ومع ذلك لم يكن لليهود أي أثر أو دور في خلافة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه . ولكن من المراجع القديمة ما يحدثنا بأن الخليفة الأول مات مسموماً على يد اليهود ، فيروي الطبرى : أن سبب وفاته أن اليهود سُمّته في أرزة ويقال في جزيدة^(٢) ، وتناول معه العارث بن كلدة منها ثم كفَ وقال لأبي

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٦ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٤١٩ ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٣ ص ٦٨ ، وابن عبد =

بكر : أكلت طعاماً مسماً سمي سنة سنة ، فمات (أي أبو بكر) بعد سنة ومرض خمسة عشر يوماً فقيل له : لو أرسلت إلى الطبيب فقال : قد رأني . قالوا : لماذا قال لك ؟ قال : « إني أفعل ما أشاء » .

وسواء أصحت هذه الرواية أو لم تصح^(١) فإن فيها ما يصح دليلاً على شعور عام لدى المسلمين بأن اليهود لا يؤمنون جانبيهم وأن مكرهم بالإسلام ورجاله مستمر ، وأن هؤلاء اليهود لا يتورعون ، بالرغم من انكسارهم العسكري ، عن تدبير الدسائس في الخفاء للدولة الإسلامية الناشئة .

كعب الأحبار :

على أن الأثر اليهودي في الحياة السياسية للمسلمين يصبح أكثر وضوحاً في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فتحدثنا المراجع عن شخصية يهودية غريبة الأطوار تمكر بالمسلمين من طرف خفي وتفترى الكذب عليهم ، أعني بها شخصية كعب الأحبار ، وهو من يهود اليمن^(٢) ، زعم أنه التقى عليه ، رضي الله عنه ، حين أرسله النبي ﷺ إلى اليمن فسألته كعب عن صفة النبي ، فلما أنبأه علي بذلك قال كعب إنه يجد صفة النبي في التوراة . ولكن كعباً هذا يقى على يهوديته في اليمن ، ولا نجد في المراجع القديمة ما يفيد أنه أسلم ، ثم نراه يقبل إلى المدينة

ربه - العقد الفريد - ج ٤ ص ٢٦٣ . الأرزَّة والجذِّيذَة لونان من طعام العرب . =

(١) يستبعد الدكتور طه حسين أن تكون هذه الرواية صحيحة - الشيشخان - ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٣ .

أيام عمر بن الخطاب فيزعم أنه أسلم ودعا إلى الإسلام في اليمن ، وأنه يرى صفة المسلمين في التوراة ، ثم يزعم أنه يجد صفة عمر في التوراة ، فيعجب عمر من قوله ويسأله : أتجد اسم عمر في التوراة !؟ فيقول كعب : لا أجد اسمك وإنما أجد صفتكم^(١) .

وحين سار عمر إلى بيت المقدس كان كعب الأخبار فيمن سار معه ، وعندما أراد عمر أن يبني المسجد في بيت المقدس دعا بکعب فقال له : أين ترى أن نجعل المصلى ؟ فقال كعب : إلى الصخرة . فقال له عمر : ضاهيت ، والله ، اليهودية يا كعب (أي شاهدت فعل اليهود وشاكتهم) ، إذهب إليك فإنما لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالکعبه^(٢) . فلو كان كعب صادقاً في إسلامه لما خفي عليه توجه المسلمين في صلاتهم إلى المسجد الحرام كما أمرهم الله تعالى : «فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطراً»^(٣) ولكنه كان ممن تظاهر بالإسلام وأبطن اليهودية يتربّى الفرصة السانحة لإفساد أمور المسلمين . ثم نقرأ أن عمر دخل يوماً على زوجه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فوجدها تبكي فلما سألهما عن سبب بكائهما قالت : هذا كعب الأخبار يزعم أنك في النار ! فلما خرج عمر ورأى كعباً همَّ أن يسأله عن هذه الفريدة فسارع كعب وبشره

(١) المرجع نفسه ص ٢٣٤ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٦١١ .

[في هذه الرواية دليل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يشك في إسلام كعب الأخبار ، ولعل سؤاله عن مكان الصخرة من قبيل اختباره] .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .

بالجنة ! فقال عمر : مرة في الجنة ومرة في النار ! قال كعب : لا تجعل عليّ يا أمير المؤمنين ، والله إني لأراك في التوراة ، أو قال في الكتب ، قائماً على باب جهنم تمنع المسلمين أن يتهافتوا فيها !^(١)

هذا التلاعب على الألفاظ هو من صفات المكر اليهودي كما قال تعالى في وصف اليهود « يحرفون الكلم عن مواضعه ^(٢) » يتغرون في ذلك تشكيك المسلمين في دينهم . بل نحن نرى كعب الأخبار هنا يحاول إثارة الريبة والشك بين أهل بيت خليفة المسلمين بأساليب ماكرة ظاهرها الخير والنصيحة وباطنها الشر والخداع .

ويخبرنا الرواية أيضاً أن كعب الأخبار جاء عمر قبل أن يطعنه أبو لؤءة بثلاثة أيام فقال له : يا أمير المؤمنين ، إعهد ، فإنك ميت في ثلاثة أيام . قال عمر : وما يدريك ؟ قال : أجدده في كتاب الله عز وجل التوراة ، قال عمر : « آللله إينك لتتجدد عمر بن الخطاب في التوراة » ؟ قال : اللهم لا ، ولكنني أجده صفتكم وحليتكم وأنه قد فني أجلك !^(٣)

فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : ذهب يوم وبقي يومان ، ثم جاءه من غد الغد فقال : « ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها »^(٤) .

(١) طه حسين ص ٢٣٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٣ ، وسورة النساء : الآية ٤٦ .

(٣) الطبرى ج ٤ ص ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩١ .

ومن المتفق عليه عند المؤرخين أن عمر طعن وهو يئُمُ المسلمين لصلاة الفجر في الموعد الذي عينه كعب الأحبار . فكيف اتفق لهذا اليهودي أن يتبنّأ بموت خليفة المسلمين قبل ثلاثة أيام ؟ !

لست أشك في أن كعباً كان ضالعاً في المؤامرة التي دبرت لاغتيال عمر أو أنه كان على علم بها ويبنّى بذريونها على الأقل . فهو ليس من من تكشف له أستار الغيب ، وليس في التوراة ما ينبيء بموت عمر بعد ثلات ليالٍ كما زعم . ولكن لماذا أخبر كعب عمر بأنه سيموت بعد ثلاثة أيام ؟ أغلب الظن أن كعباً فكر في احتمال أن تفشل المؤامرة فيكون بذلك قد برأ ساحتة أمام الخليفة . ولو أحسنا الظن بکعب وافترضنا أنه علم بتفاصيل المؤامرة وأراد تحذير الخليفة منها فلماذا لم يكشف له عن أسماء الضالعين فيها واكتفى بالتلبيح دون التصرّح ؟

إنها اليد اليهودية الخفية التي تتحرك من وراء الستار للإفساد في الأرض وسفك الدماء وقد كان كعب الأحبار أحد أدواتها ، وإلا فكيف نفسر مجئه المفاجيء من اليمن إلى المدينة ، وتقرُّبه من الخليفة وتصرفاته المريبة ، ولو أنه أسلم حقاً وصدقأً يوم لقيه علياً باليمن - كما يزعم - فلماذا لم يفدي إلى رسول الله ﷺ ، كما وفدت قبائل العرب ووجوهها من كل أنحاء شبه الجزيرة ، بل لماذا لم يفدي على أبي بكر وبقى حتى خلافة عمر عندما بدأت الفتوح الإسلامية الظافرة تنتشر في الأرض حاملة رسالة الإسلام إلى الشعوب كافة ، فإذا بنا نرى كعباً يحضر في هذا الوقت بالذات إلى المدينة بحجّة أنه يجد صفات عمر في التوراة ! أفلم

يجد صفات النبي في التوراة أم لم يكن من الذين قال فيهم القرآن الكريم : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾^(١) . إن النصوص لا تعنفنا كثيراً في استكمال رسم شخصية كعب الأحبار لأنه ، كما رأينا ، كان يتحرك من وراء نقاب ويتصرف بازدواجية مدرستة بحيث يبقى دوره خفياً واللحجة عليه غير بينة .

ولكننا نتلمس عند مؤرخ موسوعي كالطبرى نتفاً متفرقة من أخبار كعب تساعدنا في إدراك أسلوبه السري في العمل . فقد روى الطبرى^(٢) أن كعب الأحبار نزل في المدينة على رجل يقال له مالك - وكان جاراً لعمر بن الخطاب - فقال له : كيف الدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال له الرجل : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء .

وإنني لأجد في هذا النص مثلاً على طريقة هذا اليهودي في جمع المعلومات عن الخليفة قبل أن يدخل عليه ويقترب منه تمهيداً لتنفيذ ما جاء من أجله بأسلوب خفي ، وخطة مدرستة على نحو ما علمنا .

وبعد نحو إحدى عشر سنة من اغتيال الخليفة الثاني نقرأ في تاريخ الطبرى ما يشير إلى أن كعباً كان لا يزال بين ظهراني المسلمين في المدينة يندس في صفوف ولادة أمرهم ، ويحاول هذه المرة أن يطرح عليهم نبوءة من نوع آخر ! ففي أحداث سنة

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٢ .

٣٥ للهجرة ، وهي السنة التي قتل فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يروي الطبرى تفاصيل استدعاء عثمان لولاته في الأنصار ليستشيرهم فيما آلت إليه أمور المسلمين وما يبلغه من أنباء عن تبرّم الناس بولاتهم وعن مظالم ترتكب وحقوق تتنهب وحرمات تتنهك . فشخص إلى عثمان ولاته : عبد الله بن عامر ، ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد ، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص فقال لهم عثمان : « ويحكم ما هذه الشكایة ، وما هذه الإذاعة وإنني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم ، وما يصعب هذا إلاّ بي »^(١) . فأنكروا هذه الاتهامات التي كانت تصل مضمونة إلى مركز الخلافة وقالوا : « لا والله ما صدقوا ولا بروا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء ، وما هي إلاّ إذاعة لا يحلُّ الأخذ بها ولا الانتهاء إليها » . فقال لهم عثمان : أشيراوا عليّ . فقال سعيد بن العاص : « هذا أمر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم »^(٢) .

وفي هذه العبارة الأخيرة دليل واضح على أن المسلمين كانوا يشعرون بوجود يد خفية تمكر بهم ، وتدبر الفتنة في السر وتؤلب أهل الأنصار علّ ولاتهم وعلى مركز السلطة الإسلامية في المدينة . وسنرى بعد قليل أن الفتنة التي أخذت تذر قرنها بين المسلمين ، أيّاً تكون أسبابها المباشرة ، ما كانت لتضطرم هذا الاضطرام وتبلغ هذا المدى من الخطورة لو لا أن هناك من ينفع

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٢ .

(١) المرجع السابق ص ٣٤٢ .

في النار وينشر الشائعات ، ويؤلب الناس على الولاة ، ويتهم الخليفة ويحضر أهل الأمصار على استتابته تارة وعلى خلعه تارة أخرى . وسنرى أيضاً يهودياً آخر ، هو عبد الله بن سبأ ، على رأس دعوة الفتنة يقودون حملة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب ، ولئن كان شعراهم الظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن غايتها البعيدة السرية كانت تدمير الخلافة الراسدة وتشتيت صفوف المسلمين ودفعهم إلى التقاتل بالأراء ، باديء الأمر ، ثم بالسيوف بعد ذلك ، ولعلهم وفقا إلى كثير مما أرادوا .

ولنعد الآن إلى ذكر كعب الأحبار الذي كان يترقب استدعاء عثمان لولاته ، حتى إذا شخصوا إليه وأشاروا عليه سمعوا منه وهموا بالعودة إلى ولاياتهم ، إذا بكعب هذا ينجم بينهم ويلقي في أذن معاوية كلمة قليلة حروفها خطيرة مراميها . قال له : أنت الأمير بعده (. . .) ، فوّقعت في نفس معاوية وأثارت فيه شهوة السلطان^(١) . ولكن ما المناسب لكي يقول كعب قوله هذه لمعاوية دون غيره من الولاة ؟ لتصور معاوية بهم بمغادرة المدينة عائداً إلى مركز ولايته في دمشق بعدما وفد إلى الخليفة ولقيه فيمن وفد من ولاة الأمصار ، فإذا بأحد الشعراء يحدو بركب معاوية قائلاً :

إن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضيَّ
فيرد عليه كعب قائلاً : كذبت ! صاحب الشهباء بعده^(٢)
(يعني معاوية) .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(١) المرجع السابق ص ٣٤٣ .

إذن كان كعب يلعب لعبة ماكراة . فقد تبيّنت له الثغرة التي يمكن أن ينفذ منها إلى الفتنة ، وتشتت صفوف المسلمين بعد طول انتظار ، وذلك بإشارة كوامن التنافس القديم بين البيتين الهاشمي والأموي في قريش وإذكاء العصبية التي نبذها الإسلام ، وحذّر المسلمين منها ونهاهم عنها . ولنست هذه اللعبة دوراً يقوم به فرد وحده ولكنها تصدر عن خطة محبوبة ، وتحظى بمدرس ، وتدبير خفي لتأجيج الصراع على الساحة الإسلامية . فلم يكن كعب ، فيما أرى ، سوى أداة تحرك الأدوات الأخرى من رعاع المنافقين أو الحاقدين على الإسلام ومن قال فيهم تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١) . أما اليد التي كانت تحرك هؤلاء جميعاً فقد كانت يداً خفية تعتمد مبدأ السرية في العمل بحيث نشعر بوجودها وتلمس جرائمها من دون أن نراها رأي العين .

عبد الله بن سبا :

وها هو يهودي آخر ، من اليمن أيضاً ، هو عبد الله بن سبا ، يقوم بدور مقابل ومتّم لدور كعب الأحبار . ولا بد هنا من الإشارة إلى أن هذه الشخصية اليهودية قد ورد ذكرها في أمّهات المراجع القديمة سواء ما بحث منها في التاريخ مثل تاريخ الطبرى ، أو في الديانات نحو «الملل والنحل» للشهرستاني . وفي ذلك رد على من يعتبر عبد الله بن سبا شخصية خرافية لا وجود لها . يقول أحمد أمين : «يذهب بعض الباحثين إلى أن

(١) سورة الحجرات : الآية ١٤ .

عبد الله بن سبأ رجل خرافي ليس له وجود تاريخي محقق ، ولكننا لم نر لهم من الأدلة ما يثبت مدعاهم ^(١) . وسنرى بعد قليل ^(٢) أن ابن سبأ يلتزم جانب الجناح الهاشمي في الصراع ليصبح صاحب فرقة دينية تقوم على فكرة الحلولية ^(٣) وتضفي الألوهية على الإمام علي ، ومن شأن هذا الاعتقاد الانحراف بال المسلمين عن التوحيد الخالص إلى الشرك ، ومن الاتفاق إلى الاختلاف . وإنني لألحظ ثنائية مدروسة في النشاط اليهودي بين المسلمين تتمثل في دور كعب الأحبار ، داعياً للجناح الأموي ومؤيداً له من جهة ، ودور عبد الله بن سبأ ، داعياً للجناح الهاشمي ومؤيداً له من جهة أخرى ، ولا شك أنهما في نشاطهما هذا إنما يصدران عن خطة واحدة ليست هي لمصلحة هذا الجناح أو ذاك بل إن هدفها بث الفتنة والحروب بين المسلمين وتفریقهم شيئاً وأحياناً متاخرة متقاتلة وتدمير الحكم الإسلامي .

روى الطبرى ^(٤) أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتبر فيهم فقال لهم ، فيما يقول :

(١) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، حاشية ص ٢٦٩ .

(٢) راجع ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٣) مذهب الحلول هو القائل بأن الله سبحانه يحل في خلقه ، وهو مذهب بعض فرق المتصوفة وغيرهم .

(٤) الطبرى ج ٤ ص ٣٤٠ .

لعجب من يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل : «أن الذي فرض عليك القرآن لراذك إلى معاد»^(١) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى !

قال الطبرى : «فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها». إذن لقد بدأ هذا اليهودي بإفساد العقيدة في نفوس من استجاب له من المسلمين وأثار بينهم هذه الفكرة الدخيلة على الإسلام ليدور حولها صراع ويثير جدال فتفرق الآراء وتتبادر الصحف ويفتح تفسير القرآن الكريم تبعاً للأهواء السياسية المتناحرة . ولم يتوقف ابن سباء عند هذا الحد إذ قال لهم بعد ذلك : «إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد» ، ثم قال : «محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء» (. . .) ، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغیر حق فانهضوا في هذا الأمر فحرکوه ، وابدوا بالطعن على أمرائهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعواهم إلى هذا الأمر»^(٢) ، وكان ابن سباء من أكبر الذين ألبوا على عثمان حتى قتل^(٣) . ثم نراه بعد ذلك يقول بـالـوـهـيـةـ علىـ بنـ أبيـ طـالـبـ وـبـرـجـعـتـهـ . قالـ ابنـ حـزمـ : «إنـ ابنـ سـبـاءـ قالـ - لماـ قـتـلـ عليـ - لوـ أـتـيـمـونـ بـدـمـاغـهـ أـلـفـ مـرـةـ ماـ صـدـقـناـ موـتـهـ ، ولاـ يـمـوتـ حـتـىـ يـمـلـأـ الـأـرـضـ عـدـلـاـ كـمـاـ مـلـثـتـ جـوـرـاـ» . ويقولـ أـحـمـدـ أـمـينـ : «فـكـرـةـ الرـجـعـةـ هـذـهـ أـخـذـهـاـ ابنـ سـبـاءـ مـنـ الـيـهـوـدـيـةـ ، فـعـنـدـهـمـ أـنـ النـبـيـ

(١) سورة القصص : الآية ٨٥ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) فجر الإسلام ص ٢٧٠ .

«إلياس» صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون^(١).

ولقد اتبع ابن سبأ خطة نتلمس خطوطها في المراجع وقوامها التدرج في بث أفكاره . فنراه أولاً يتحدث عن العدالة الاجتماعية مستغلاً التفاوت الكبير في الثروات بين المسلمين نتيجة الفتوح الكبرى ، ونتيجة استئثار بعض أقرباء عثمان وعماله بالأموال العامة دون سائر المسلمين . وهكذا نرى ابن سبأ يلقى بعض الصحابة ويحاول أن يبيث فيهم النسمة على الخليفة بحججة الاستئثار بأموال المسلمين وبحججة أنه لا ينبغي للأغنياء أن يقتربوا مالاً^(٢) .

ويخبرنا الطبرى : «أن ابن السوداء (أبي ابن سبأ) لقي أبي ذر الغفارى فأوزع إليه بذلك ، وأنه أتى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت فلم يسمعا لقوله ، وأخذه عبادة إلى معاوية وقال له : هذا والله الذي بعث عليك أبي ذر»^(٣) .

ويمكنا تدريج فكرة الحلولية التي بثها ابن سبأ وفق خطوات مدرستنا كالتالى :

أولاً : التستر بالدعوة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية من أجل تأليب الناس على عثمان وولاته في الأنصار ، ومحاولة استمالة بعض كبار الصحابة واستغلال نفوذهم المعنوى لدى العامة لتحقيق مآربه في نشر بذور الفتنة .

(١) المرجع السابق ص ٢٧٠ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٨٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ .

ثانياً : القول برجعة النبي من خلال تأويل إحدى آيات القرآن الكريم ، على نحو ما ذكرنا .

ثالثاً : القول بوصاية علي ثم القول برجعته « ليملاً الأرض عدلاً بعدها ملئت جوراً » .

رابعاً : القول بمذهب الحلول وألوهية الإمام علي .

وقد رأينا قبل قليل كيف كان ابن سبأ يطوف في بلاد المسلمين محاولاً إفساد أمرورهم ؛ فتنقل بين الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر ، وبيث في البلاد عقائد كثيرة ضارة ، وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم ، ثم استقر في مصر يؤلب على الفتنة^(١) .

أما أسلوبه في العمل فكان من خلال الدعاة يرسلهم إلى الأمصار . ويخبرنا الطبراني أن ابن سبأ « بث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكتابوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكتابهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أماصارهم وهؤلاء في أماصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون »^(٢) .

ويقول الشهريستاني : « إن السبئية هم أصحاب عبد الله بن

(١) المرجع نفسه .

(٢) الطبراني ج ٤ أحداث سنة ٣٥ للهجرة .

سبأ الذي قال لعلي عليه السلام : « أنت أنت » يعني أنت الإله . فنفاه علي إلى المداين . وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى ، عليه السلام ، مثل ما قال في علي ، عليه السلام . وهو أول من أظهر القول بالغرض بإماماة علي ومنه شعبت أصناف الغلاة . وزعموا أن علياً حي لم يقتل ، وفيه الجزء الإلهي ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه ..^(١)

والذي نعرفه عن السبيئة أنها فرقه سياسية تعمل في معسكر علي ، تترقب الأحداث وتتهز الفرصة لتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين ، على نحو ما نقرأ عند الطبرى : « إنه لما أرسل معاوية رجلاً من بني عبس رسولاً إلى علي في المدينة ، بعد حوالي ثلاثة أشهر من مقتل عثمان ، قال له علي : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال : نعم ، إن الرسل لا تقتل . فلما أبلغ العبسي رسالة معاوية وهم بالانصراف صاحت السبيئة : هذا الكلب ، هذا وافد الكلاب ، اقتلوه ».^(٢)

فالواضح هنا أن أتباع السبيئة أرادوا أن يستعر الخلاف بين معسكري المسلمين بقتل رسول معاوية بعدما آمنه علي ، رضي الله عنه . ولعل هذه الفرقة نفسها هي التي أفسدت معسكر علي وثناقت عن الجهاد حتى أكرهت الإمام على قبول التحكيم ثم ألبت الخارجين عليه . وفي « نهج البلاغة » ما يصح دليلاً على تبرم علي بهذه الفتنة من جيشه ، التي تتلاعن عن الجهاد وتفسد

(١) الشهري - الملل والنحل ج ٢ ص ١١ .

(٢) الطبرى ج ٤ أحداث سنة ٣٥ للهجرة .

على الإمام رأيه بالعصيان والخذلان^(١) . ومن خطبة له عليه السلام في ذم هؤلاء قوله : « أَحَمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدْرٍ مِنْ فَعْلٍ ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيْتَهَا الْفَرْقَةُ الَّتِي إِذَا أُمِرْتُ لَمْ تَطْعَ وَإِذَا دُعُوتُ لَمْ تَجْبُ . إِنَّ أَمْهَلْتُمْ خَصْسَمَ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خَرْتَمْ وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمامٍ طَعْنَتُمْ (. . .) فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِي - لِيُفَرِّقَنِي بَيْنَكُمْ ، وَأَنَا لِصَاحْبِكُمْ قَالَ وَبِكُمْ غَيْرَ كَثِيرٍ . اللَّهُ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمِعُكُمْ ، وَلَا حَمِيمَةَ تَشَحِّذُكُمْ ؟ أَوْلَئِنَّ عَجَباً أَنْ مَعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجَفَافَ الطَّغَامَ فَيَتَبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعْوَنَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيَكَةُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعْوَنَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رَضَاً فَتَرْضُونَهُ ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقِيَ إِلَيَّ الْمَوْتَ . قَدْ درَسْتُكُمُ الْكِتَابَ وَفَاتَحْتُكُمُ الْحَجَاجَ وَعَرَفْتُكُمُ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوْغَتُكُمُ مَا مَجَّبْتُمْ ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّاَئِمُ يَسْتَيقِظُ »^(٢) .

ومثل هذا كثير في « نهج البلاغة » وهو دليل قاطع على وجود فتنة في معسرك علي لا تلتزم ما يبينه لها من أحكام الإسلام ، ولا تطيعه فيما يرى منرأي .

وخلالصة القول إن نفراً من اليهود ، حفظت لنا المراجع أسماء البعض منهم ، أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سباء ، كان لهم دور خطير في دس الرؤيا بين المسلمين وتأجيج الصراع وبعث العصبية القبلية الجاهلية ، وكان لهم دعاة يعملون في

(١) نهج البلاغة - خطبة الجهاد - ج ١ ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٧٨ .

السر ، ويتشارون في الأمسار يبثون الدعاية الكاذبة ، ويؤلّبون المسلمين بعضهم على البعض الآخر حتى نفذ أمر الله وتم قصاؤه وانتهت الخلافة الراشدة باغتيال علي ، كرم الله وجهه ، على يد الخوارج ، الذين انشقوا عليه ، لتنقل السلطة بعد ذلك من طور الخلافة والشوري إلى طور الملك والوراثة ، فيجعلها معاوية ملكاً عضوداً في البيت الأموي . ومهما يكن من أمر « فقد بقيت معانى الخلافة من تحرّي الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق ، ولم يظهر التغيير إلا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً »^(١) .

وبالرغم من الخلافات الدامية بين المسلمين فلم يتوقف انتشار الإسلام كدين وعقيدة ، بل شق طريقه إلى أمم وشعوب كثيرة غير العرب . ولكن الفتنة الكبرى ، التي كان لليهود دور خفي ونشاط سري في إذكاء أوارها ، بقيت آثارها تدمغ الحياة الدينية للمسلمين على مر العصور اللاحقة وتستنزف الكثير من طاقاتهم وتجعل بأسهم بينهم شديداً ﴿ ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربک ﴾^(٢) وقليل ما هم .

لمحة عن أوضاع اليهود في العصور الإسلامية اللاحقة :

وتنلمس في المراجع الإسلامية القديمة آثاراً متفرقة عن أوضاع اليهود ، كطائفة اعتبرها الإسلام من أهل الذمة ، كما

(١) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٨ في انقلاب الخلافة إلى الملك .

(٢) سورة هود : الآية ١١٨ ، ١١٩ .

نتلمس أخباراً عن شخصيات يهودية كان لها دور وذكر في الحياة العامة لل المسلمين نحو ما يروي ابن خلكان عن خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً على العراق من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، ثم عزله هشام وولى يوسف بن عمر الثقفي . وكان خالد متهمًا في دينه فحبسه يوسف مع عماله وحاسبه وعدبه ثم قتله أيام الوليد بن يزيد^(١) .

وذكر أبو الفرج الأصفهاني أن جد خالد كان دعيّاً ، وأنه كان من اليهود فجئ بجناية فهرب إلى بجالة فانتسب إليهم^(٢) .

على أن اليهود ، باعتبارهم أهل ذمة ، تمتّعوا في العهود الإسلامية اللاحقة بحماية لم يظفروا بمثلها في أوروبا المسيحية ، وهذا ما يعترف به اليهود أنفسهم إذ يرون أنهم شهدوا ما يسمونه « العهد اليهودي الذهبي » Jewish Golden Age في ظل الممالك الإسلامية^(٣) . واشتهر اليهود باحترافهم حرفًا خاصة ، كالصيغة والصياغة ودباغة الجلد ، وكان أغلب الماليين في الشام يهوداً^(٤) .

وفي أوائل القرن الثالث الهجري كان يُجيء من الجزية في بغداد مائة وثلاثون ألف درهم ، وفي أوائل القرن الرابع كان يُجيء ستة عشر ألف دينار ، وهذا الرقمان يدلّان على أن عدد

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٧ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٣٠ .

Israel Shahak- The Jewish religion and its attitude to non- Jews, Khamsin Journal No (9) 1981.

(٤) أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ١ ص ٣٤٣ .

من كان في بغداد آنذاك ، من غير المسلمين ممن يدفع الجزية (وفيه اليهود) ، يقارب الخمسة عشر ألفاً . وفي القرن السادس الهجري بلغ عدد اليهود في الممالك الإسلامية نحو ثلاثة ألف ، وكان بيغداد إذ ذاك نحو ألف يهودي^(١) .

وفي ظل الدولة الفاطمية تمكن يهود ، تظاهروا بالإسلام ، من الوصول إلى مناصب ذات تأثير سياسي في القرن الهجري الرابع ، على نحو ما نقرأ في خطط المقريزي عن يعقوب ابن كلس اليهودي الذي بلغ منصب الوزارة في البلاط الفاطمي ، « وما زال يستأثر بموارد الدولة ويتحدى إرادة الملوك حتى بلغ ثروته ملايين الدنانير الذهبية »^(٢) . قال ابن عساكر فيه : « إنه كان يهودياً من أهل بغداد خبيثاً ذا مكر ، وله حيل ودهاء ، وفيه فطنة وذكاء . ونزل مصر أيام كافور الأخشيدى فرأى منه فطنة وسياسة ومعرفة بأمر الضياع فقال : لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فطمع في الوزارة فأسلم ... ثم هرب إلى المغرب واتصل بيهود كانوا مع المعز الفاطمي وخرج معه إلى مصر وولي الوزارة للعزيز بن المعز »^(٣) .

وقد كان لبعض اليهود تأثير مباشر على بعض المذاهب الإسلامية كالمعتزلة في القرن الثالث الهجري حيث ينسب قولهم بخلق القرآن إلى بشر المريسي وهو من أصل يهودي^(٤) . وأخذ

(١) المرجع السابق ص ٣٤٣ .

(٢) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٠٧ وج ٣ ص ٩ .

(٣) ابن حلكان - ج ٧ ص ٢٨ - ٣٣ . وفيه أن ابن كلس هلك سنة ٣٨٠ للهجرة أيام العزيز الفاطمي .

(٤) ضحي الإسلام ص ٣٥٦ .

شر هذا القول عن الجهم بن صفوان ، وأخذه الجهم عن الجعد بن درهم ، وأخذه الجعد عن أبيان بن سمعان ، وأخذه أبيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه ، وأخذه طالوت عن خته لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ وكان لبيد يقول بخلق التوراة^(١) . وليس يخفى ما كان لفتنة خلق القرآن من أثر في تأجيج الخلافات بين المسلمين .

كما نسب إلى نفر من اليهود وضع تفسيرات لآيات القرآن الكريم تستند إلى ما ورد في العهد القديم (التوراة) ، وهو ما يعرف عند علماء التفسير بـ «الإسرائيлик» ، وقد نقله المفسرون عن وهب بن منبه وعن إسرائيل عن أسباط عن السدي .

هذه نماذج من التأثير اليهودي في بعض الفرق الإسلامية ، بالقرن الثالث الهجري ، وهو تأثير خفي ، من جهة ، لأنه تم على أيدي يهود انتسبوا إلى الإسلام . وهو تأثير ظاهر الملائم ، من جهة أخرى ، لأن آثاره ظهرت في الحياة السياسية والثقافية للMuslimين خلال تلك الحقبة من تاريخهم .

ومع ذلك فقد بقي اليهود يتمتعون ، في ظل الإسلام ، بسماحة قل نظيرها في تاريخهم الطويل حيث ظفروا بكثير من الحرية والحقوق تحت حكم السلاغفة ثم الأيوبيين^(٢) . وحتى القرن السادس عشر الميلادي كانت أوضاع اليهود ، في ظل الأمبراطورية العثمانية ، هي الأفضل من أي مكان آخر في الشرق

(١) المرجع السابق ص ٣٥٣ .

Israel SHAHAK- Khamsin (9) P. 10.

(٢)

منذ سقوط الأمبراطورية الفارسية^(١).

أما في الغرب ، أي في الأندلس ، فيعترف اليهود بأنهم شهدوا الفترة الذهبية من تاريخهم الوسيط بعد سقوط الحكم الأموي ، بوفاة الخليفة المنصور سنة ١٠٠٢ ميلادية ، أي في أوائل القرن الخامس الهجري وبقيام حكم الدوليات^(٢) . وفي هذه الحقبة يسجل التاريخ بروز اليهود على صعيد الحياة العامة حتى بلغ بعضهم مناصب رفيعة في الممالك الأندلسية نحو ابن النغريلة اليهودي الذي وصل إلى منصب الوزارة ، أيام ابن باديس صاحب غرناطة . فاستغل ابن النغريلة منصبه للإساءة إلى المسلمين في دينهم وتقريب قومه اليهود ومساعدتهم في بعث الشفاعة اليهودية ، والتهجم على الإسلام والقرآن ، مما دفع الإمام ابن حزم إلى الرد عليه في إحدى رسائله^(٣) ، وهذا ما سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل عند الحديث عن موقف اليهود من الإسلام . وكان لليهود شأن عظيم في المدن الأندلسية ، لاسيما في طليطلة ، حيث ورد في صكوك بيع الأراضي والأطيان أسماء الكثيرين منهم وفيها دلالة على مقام اجتماعي نبيه لليهود^(٤) .

ومن الشخصيات اليهودية التي لعبت دوراً في الحياة الإسلامية العامة ، خلال تلك الحقبة ، سليمان بن يهودا Solo- (mon Ben Yehuda المتوفى سنة ١٠٥١ ميلادية ، الذي ترك

Ibid, P. 10.

(١)

Ibid, P.P. 10- 11.

(٢)

(٣) رسائل ابن حزم - تحقيق الدكتور إحسان عباس - ص ١٠ - ١١ .

(٤) شكيب أرسلان - الحلول السندينية - ج ١ ص ٣٩٥ .

رسائل في وصف أهل عصره ، وأبو سعد (Abu Saad) الذي لمع نجمه في مصر ، أيام الخليفة الفاطمي المستنصر (في سنة ١٠٩٤ م - ٤٨٧ هـ) ، ومارس دوراً مهماً في السلطة^(١) ، وغيرهم من حفظت لنا المراجع القديمة لمحات عن سيرهم .

وعلى الرغم مما لقيه اليهود من تسامح ، في ظل المماليك الإسلامية ، فقد قامت جماعات من اليهود بدور الجواسيس لمصلحة بعض الدول الأوروبية في أواخر القرن الخامس عشر ، على نحو ما فعل التجار اليهود في الأندلس ، الذين تظاهروا بالإسلام وألقو شبكات للتجسس لمصلحة البرتغاليين ، وساعدتهم في ذلك معرفتهم باللغة العربية^(٢) . وفي سنة ١٤٨٨ قامت جماعة من الجواسيس اليهود ، في زي تاجر برتغاليين ، بالسفر سراً إلى مصر ، وكان على رأسهم « ألفونسو دي بايغا » Pero de Alfonso de Paiva) و « بيرو دي كوفيلهام » Covilham استطاعوا الحصول على معلومات هامة عن كل ما يتعلق بتجارة التوابل وغيرها من البضائع الشرقية . وقد التقت هذه الجماعة ببعثة تجسسية يهودية أخرى في القاهرة كانت تقوم بمهمة مماثلة^(٣) ، وقد جالت هذه البعثات البلدان العربية في المشرق والمغرب وجمعت المعلومات المطلوبة لمصلحة الأوروبيين .

ومع ذلك فقد تمنع اليهود ، في القرون اللاحقة ، بحرية

Jacob Mann- **The Jwes in Egypt and in palestine under the Fatimid Caliphs**, (١)
Vol I P.P. 75- 76.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي - أوروبا في مطلع العصور الحديثة - ص ١١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٠ .

كاملة في ظل الحكم العثماني ، واعتبروا الدولة العثمانية دولة صديقة على مدى أربعة قرون لا سيما أن تركيا استضافت اللاجئين اليهود القادمين من إسبانيا ، في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر ، ووفرت لهم حقوق المواطنين العثمانيين حتى أن بعض اليهود بلغوا مراتب عالية في الدولة العثمانية في ظل نظام الملة (Millet System) أمثال جوزف ناسي (Joseph Nasi) وسليمان أشكنازي (Solomon Ashkenazi) ، كما منح الحاخام الأكبر لليهود (Chief Rabi) صلاحيات دينية وزمنية ، وكان لقراراته ، التي تصادق عليها السلطة العثمانية ، قوة القانون^(١) .

وقد رحب اليهود بمجيء الحكم العثماني إلى بلاد الشام في سنة ١٥١٧ ، وسمح السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) وخليفة سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤) للיהודים بحرية التنقل في فلسطين ، وشهد القرن السادس عشر ازدهار الحياة اليهودية في منطقة صفد ، فارتفع عدد اليهود فيها من ستة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة ، ولوحظ نمو ثقافي واقتصادي لليهود المنطقة لم يسبق له مثيل^(٢) ، وجعل اليهود من مدينة صفد معلولاً لهم وغدت مركزاً للتعليم الديني التلمودي . وخلال المدة ما بين ستيني ١٥٦١ و ١٥٧٩ قام اليهود بمحاولات للحصول على امتيازات من الدولة العثمانية بإقامة كيان يهودي في طبريا وسبيع قرى مجاورة لها^(٣) ، غير أن محاولاتهم هذه لم تقتربن سوى

Isaiah Friedman -Germany, Turkey and Zionism 1897- 1918 P. 20 . (١)

Ibid. P. 22. (٢)

Ibid. P. 21; (٣)

بنجاح محدود ، على الرغم من الدعم الذي تلقوه من كبار الموظفين اليهود في الأستانة ، أمثال «جوزف ناسي» السابق ذكره . وخلال القرن السابع عشر هاجرت مجموعات يهودية إلى فلسطين جاءت من إيطاليا وشمال أفريقيا وأوروبا الشرقية ، وكان المهاجرون اليهود يتلقون مساعدات مالية من الجبائية اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم ، والمعروفة باسم «**هالوكا**» (Haluka) ^(١) .

وعندما امتد حكم فخر الدين المعنوي الثاني (١٥٨٣ - ١٦٣٥) ، إلى شمالي فلسطين ، نعم اليهود بحقوق متساوية مع المسلمين والنصارى . ويدرك المؤرخون اليهود أن يهود فلسطين تعرضوا للمضايقات أيام حكم محمد بن فروخ ، الذي عين والياً على القدس سنة ١٦٢٥ ، ولكنهم لا يذكرون أسباب هذه المضايقات . وحيال ذلك تحرك اليهود النافذون في عاصمة السلطنة العثمانية وأقنعوا السلطان بإقصاء ابن فروخ عن منصبه ، وفي أيام الشيخ ظاهر العمر (١٧٣٥ - ١٧٧٥) تتمتع يهود فلسطين بالأمن والاستقرار ونالوا حقوقاً متساوية مع باقي الطوائف ^(٢) . ومع أن حكم خلفه أحمد باشا الجزار (١٧٧٥ - ١٨٠٤) اتصف بالقسوة والبطش فإن اليهود لم يتعرضوا لأي اضطهاد في أيامه ، بل سمح ، خلال حكمه ، بدخول مهاجرين يهود من روسيا إلى فلسطين سنة ١٧٧٧ . وهناك من يعز وتسامح الجزار مع اليهود إلى تأثير مستشاره ووزير ماليته اليهودي حاييم فرحي (Chaim Farhi) ^(٣) .

Ibid. P. 26 (٣)

Ibid. P.24- 25. (٢)

Ibid. P. 24- 25. (١)

وبالرغم من أوضاع اليهود المستقرة في فلسطين ، خلال تلك الحقبة ، فإنهم لم يخلوا عن فكرة تسريع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتحقيق حلمهم القديم بالعودة الجماعية إلى «أرض الميعاد» ، وهذا ما أثار شكوك عبد الله باشا (١٨٢٤ - ١٨٣٢) ، أحد خلفاء الجزار على عكا ، الذي أعدم فرحي وصادر جميع ممتلكاته .

ومع مجيء الحكم المصري إلى بلاد الشام سنة ١٨٣١ ، جدد اليهود محاولاتهم بمساعدة سياسية ومالية من اليهود الأوروبيين لترسيخ أقدامهم في فلسطين ، فزار المتممّل اليهودي البريطاني موسى مونتيفيوري (Moses Montefiore) ، يرافقه القنصل العام البريطاني الكولونيـل باتريك كامبل (Patrick Campbell) ، والي مصر محمد علي واجتمع إليه في الإسكندرية في ١٣ تموز (يوليو) ١٨٣٩ . وقطع محمد علي وعداً بمنح اليهود حقوقاً متساوية في فلسطين مع المسيحيـن والمسلمـين . وحاول «مونتيفيوري» إغراء محمد علي بمشاريع وتوظيفات مالية ضخمة في مصر ، وسوريا وفلسطين ، مقابل حماية الاستيطان اليهودي في فلسطين . ولكن حكم محمد علي لم يثبت أن انحرس عن بلاد الشام سنة ١٨٤١ ، وعندـها اتجهـت المساعـي اليهودـية إلى بـريطانيا لـتأمين حـمايتها المباشرـة لـعمليـات الاستـيطـان اليـهـودـيـ في فـلـسـطـين^(١) .

وكان أول المتـهمـين لـلـفـكـرة «لـورـد بـالـمرـسـتون» (Lord Palmerston) رئيس وزراء بـريطانيا . ومع أنـ الدـولـة العـثمـانـية لم

Ibid. P. 27- 29.

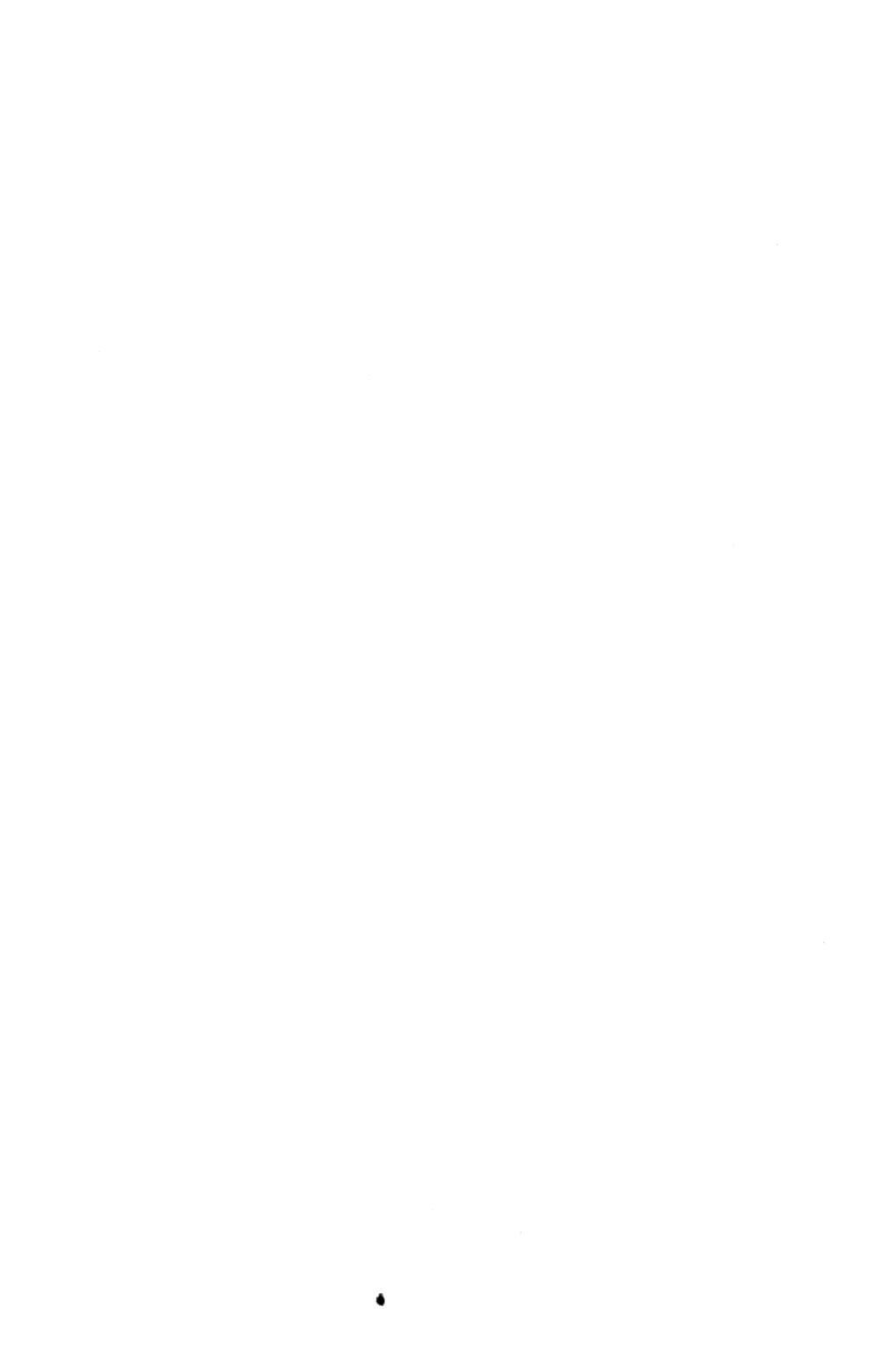
(1)

تنظر بعين الرضا إلى الحماية الأجنبية لمشاريع الاستيطان اليهودي ، فإنها لم تستطع ، وهي رجل أوروبا المريض ، أن تتخذ قراراً نافذاً لمنع هذه المشاريع^(١) .

وسنرى في الفصل السادس ، من هذا البحث ، كيف واصل اليهود تحركهم في أواخر القرن التاسع عشر ، بقيادة الحركة الصهيونية العالمية ، لتحقيق حلمهم القديم في فلسطين وإنشاء « دولة إسرائيل » .

Ibid. P. 29-31.

(١)



عداء اليهود للمسيحية والإسلام

بدأت مرحلة الشتات «الدياسپورا»^(١) ، في التاريخ اليهودي ، على أثر الحملة الرومانية التأديبية التي وجهها الأمبراطور «فسبازيان» بقيادة ابنه «تيتوس» من الإسكندرية ، في سنة ٧٠ ميلادية ، إلى فلسطين للقضاء على مراكز التمرد اليهودي فيها ، ومنذ ذلك الوقت تفرق اليهود في البلدان الواقعة على حوض البحر المتوسط ، ولم يقتصر الشتات على مناطق الشرق الأوسط بل تعداده إلى الجانب الأوروبي من البحر المتوسط^(٢) . ولكن هذا الشتات لم يضع حدًا للشعب اليهودي ، بل استمر النشاط السري لليهود على مدى أكثر من قرنين يحاول توطيد أقدام «شعب الله المختار» مرة ثانية في فلسطين دون أن يوفق إلى ذلك . وكانت الحقبة الزمنية من سنة ٣٣٠ إلى ٧٠ إلى ميلادية مرحلة تفرق اليهود في أصقاع الأرض وفشل نشاطهم السري والعلني في إعادة سلطانهم القديم إلى أرض فلسطين . وقد تضافرت العقيدة المسيحية مع القوة الرومانية في نبذ اليهود

(١) كلمة من أصل يوناني تعني التشتت في الأرض (Diaspora).

(٢) د. حسن ظاظا - الشخصية الإسرائيلية - ص ٦٨.

وتشتيتهم إلى مناطق بعيدة هرباً من الاضطهاد^(١) ، وهذا ما أدى إلى تضخيم فكرة الاضطهاد عند اليهود وإذكاء الحقد في صدورهم على شعوب العالم ، ففرضوا على أنفسهم العزلة عن الآخرين ضمن قضبان «الغيتو» ، وشرعوا يمارسون نشاطاتهم السرية التي عبروا ، من خلالها ، عن حقدهم الدفين وكراهيتهم الشديدة للأمم الأخرى . ويسجل لنا التاريخ سلسلة طويلة من المواجهات ، بين اليهود والمسيحية الأوروبية ، تعرض خلالها اليهود لكثير من المذابح ، وأشكال العداء المختلفة لأسباب كانوا هم المسؤولين عنها بالدرجة الأولى ، وكان أبرز هذه الأسباب اثنين : أسباب دينية اعتقادية تمثل في احتقار اليهود للديانة المسيحية واليسوعيين ، وأسباب مالية اقتصادية تمثل في الجشع اليهودي القائم على الربا والكسب غير المشروع . وإذا ستحدث ، بعد قليل ، عن المال اليهودي فإننا نتحدث الآن عن بعض الجوانب الاعتقادية في الديانة اليهودية و موقفها من المسيحية والإسلام ، وسنلاحظ أن الحقد والكرابية كانوا سمة بارزة اتسم بها الكثير من نشاطات اليهود العدائة ضد المسيحيين . وإذا كان هذا السلوك اليهودي ردًّا على الاضطهاد الذي واجهه اليهود على يد المسيحية وأتباعها ، منذ عهد الامبراطور قسطنطين ، فإن العداء اليهودي للإسلام ينبع من دوافع أخرى كامنة في طيات الشخصية اليهودية تحركها فكرة التعالي اليهودي على سائر الشعوب الأخرى ، وبالتالي إنكار النبوة في غيربني إسرائيل . وتدللًا على هذه الكراهة اليهودية لأتباع الديانات السماوية نورد

(١) المرجع السابق ص ٧٠

مثلاً كلمة «غاريل» ومعناها الأقلف^(١) وتطلق عادة على المسيحي وتنطوي على معاني الكفر والنجاسة . أما لفظة «مزير» فمعناها «ابن الزنا» ، وهي من نصيب المسلم ، لأن إسماعيل (عليه السلام) مولود من هاجر وهي جارية سارة زوج النبي إبراهيم (عليه السلام) ، وبذلك تكون سلالة النبي إسماعيل موصومة بالزنا حسب التفكير اليهودي الديني^(٢) . وفي مقابل هذه العنصرية البغيضة تجاه الآخرين يعتبر اليهود أنفسهم «شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض»^(٣) ، وبذلك فهم لا يتورعون عن احتقار المعتقدات الدينية للشعوب الأخرى ، لا سيما تعاليم الأديان السماوية . وهناك من يؤكّد وجود صلة بين النشاط اليهودي السري ومحاولات إفساد أتباع الأديان الأخرى . وهناك من يرى أن المرابين اليهود كانوا من دعاة ومؤيدي المذهب الشيطاني تمهيداً لقيام «كنيس الشيطان» للسيطرة على العالم^(٤) ، وأن هدفهم تقسيم الشعوب إلى معسكرات متنابذة تدمر بعضها بعضاً ، وتحطم الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية^(٥) .

عداء اليهود للمسيحية :

ومما يؤكّد هذا الموقف اليهودي المعادي للأديان وجود

(١) الأقلف هو الذي لم تجر له عملية الختان .

(٢) الشخصية الإسرائيليّة ص ٤٩ .

(٣) سفر التثنية ١٤/٢ .

(٤) ولIAM غاي كار ص ٩ .

(٥) المرجع السابق ص ١٠ .

نصوص ظاهرة وأخرى خفية في الكتب الدينية اليهودية تصف أتباع الديانات الأخرى بصفات الكفر والضلال ، ولاسيما المسيحيين الذين يُطلق عليهم « التلمود » أبغض الألقاب ، ولا يستثنى في ذلك المسيح وأمه (عليهما السلام) . فمن تعاليم التلمود « أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي ، حملته أمه خلال فترة الحيض .. وأنه مجنون مشعوذ مضلل ، صُلب ثم دُفن في جهنم ، فنَصَّبَه أتباعه ، منذ ذاك الحين ، وثناً لهم يعبدونه »^(١) .

ورغم محاولات اليهود إخفاء العبارات المشينة في حق المسيح (عليه السلام) وحذف مقاطع من التلمود تتناول الديانة المسيحية بالذم ، فقد بقيت آثار واضحة من احتقار اليهود ليسوع المسيح (عليه السلام) وأتباعه مثل قولهم عنه أنه « نجار ابن نجار » ، أو « ابن الخطاب » ، أو « الرجل الذي شُنق »^(٢) . أما تعاليم المسيح فقد وصفها التلمود بـ « الكذب والهرطقة » ، وبأنها « مستحيلة الإدراك »^(٣) . ويذهب الكتاب الديني اليهودي « زوهار » إلى الزعم « أن يسوع مات كبهيمة ودُفن في كومة قذر .. حيث تُطرح الكلاب والحمير النافقة ، وحيث أبناء إيسو (المسيحيون) ، وأبناء إسماعيل (المسلمين) ، بالإضافة إلى المسيح ومحمد غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقة .. هؤلاء جميعاً مدفونون معاً »^(٤) . ويوصف المسيحيون في التلمود

(١) الأب برانايتس - فضح التلمود - ص ٥٧ .

(٢) برانايتس ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤)

بأنهم « عبدة أوثان و « مهرطقون » و « قتلة » و « زناة » و « حيوانات » و « أبناء الشيطان »^(١) .

ويدعو « التلمود » الكنائس المسيحية « بيت تيفلاه » (Beth Tiflah) أي بيت الباطل والمحماقة^(٢) ، كما يصف صلواتهم وأعيادهم بأوصاف التحذير . ومن تعاليم « الربّيين » اليهود ، الواردة في نصوص « التلمود » ، ما يدعوه إلى تجنب المسيحيين ، وعدم التعامل معهم ، والامتناع عن مؤاكلتهم ، أو محاكاتهم في أي عمل ، أو قبول شهادتهم أمام القضاء وذلك لأنهم نجسون ووثنيون أشرار^(٣) . وتبיע تعاليم التلمود لليهودي إلحاق الضرر بالآخرين ، ولاسيما المسيحيين ، والامتناع عن فعهم أو مساعدتهم بل قتلهم عندما تسع الفرصة لذلك^(٤) .

وبحسب « التلمود » فإنه لا فرق بين المسيحيين وباقى الوثنين^(٥) . أما المسيح فصفه التلمود بأنه « ساحر ووثني ومجنوون » وبحسب تعاليم الحاخام « رشي » ينبغي قتل الصالح من المسيحيين^(٦) . ومن العبارات المشينة بحق المسيح وصفه بأنه « يهودي مرتد » ، وأنه ينبغي « قتل الكفرا مثل يسوع الناصري وأتباعه وإلقاءهم في هاوية الهالك »^(٧) .

(١) برانايتس ص ٧٩ - ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١١١ - ١٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٤٠ .

(٥) اليهودي على حساب التلمود - أوغست روهلنج ص ٥٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٥٧ .

وإذا كان « التلمود » ينطوي على مواقف عدائية من الأغيار (Gentiles) ، بشكل عام ، فإنه يخص المسيحية والمسيح بالعبارات المهينة والأوصاف الشائنة^(١) .

ولعل هذا العداء الصريح للمسيحية ، في العقيدة الدينية اليهودية ، هو الذي دفع « الربابين » إلى إخفاء عقائد اليهود الدينية المتعلقة بالمسيحيين ، ومنعوا نشر الدراسات التلمودية وتاريخ اليهود في أوروبا ، وبذلك توقفت كتابة التاريخ اليهودي تماماً منذ القرن الأول الميلادي ، ولم تظهر إلا بشكل محدود في القرن الخامس عشر في إيطاليا . ومع ذلك فعندما كانت تظهر كتابات يهودية عن الاضطهاد ، الذي تعرض له اليهود ، كانت تسارع المراجع اليهودية الدينية العليا إلى حظرها وإخفائها ، ولم تعد هذه الكتابات إلى الظهور العلني إلا في القرن التاسع عشر . واعتبر « الربابيون » أن تأليف مثل هذه الكتب « إضاعة للوقت » ، إذ لا ينبغي إضاعة الوقت - حسب قولهم - إلا في أحد أمرين : إما دراسة « التلمود » ، أو تحصيل المال الذي يجب استخدامه في مساعدة داري التلمود^(٢) .

ونظراً لهذا العداء اليهودي ، المتخفي ضد المسيحية ، تعرّضت التعاليم التلمودية لهجوم قوي في أوروبا المسيحية منذ القرن الثالث عشر ، غير أن « الربابين » استخدموها أساليبهم القديمة في مواجهة هذه الحملات ، وفي مقدمتها الرشوة بالمال والتحايل ، ولللعب على الحبال ، لكي يتجنّبوا تأثيرات المواقف

المسيحية المعادية لتعاليمهم التلمودية^(١) .

وتشير الواقع التاريخية إلى أن العداء اليهودي للمسيحية بدأ مع ظهور المسيح (عليه السلام) ، إذ ورد في «التلمود» أن محكمة «الرابين» اليهود هي التي حكمت بالموت على المسيح بتهمة التجديف على الله ، وحمل اليهود الآخرين على التجديف ، واحتقار تعاليم ربّيهم وسلطتهم^(٢) .

وجاء في مخطوط عبري قديم ، يتضمن محاضر الاجتماعات الأولى لمؤسس المسونية اليهودية سنة ٤٣ م ، أن المسيح (عليه السلام) «دجال استمال ، بأعماله وتعاليمه المضللة ، قلوب الكثريين من الشعب اليهودي ، وعلى ما يظهر أن أتباعه ينمون ويزدادون يوماً فيوماً»^(٣) . ويقول المخطوط عن المسيح : «إنه انتحل لنفسه اسم يسوع الناصري ملك اليهود ، وما هو إلا صعلوك ودجال . . . وإن نحن ضللنا وتركتنا قومنا اليهود يضللون ، كالذين ضلوا وتبعوه ، فإننا نرتكب جريمة لا تغفر»^(٤) . ويلاحظ المخطوط إيه أنه «كلما ازددنا جهاراً في محاربة أنصاره وتبعه

Ibid. P. 33.

(١)

Ibid. P. 41

(٢)

(٣) تاريخ المسونية - ترجمة عوض الخوري ص ٨١ ، عن مخطوط عبري قديم كشفه لوران بن جورج المولود سنة ١٨٦٨ ، وهو يهودي اعتنق التنصريانية وينحدر من سلالة مؤاب لافي ، أحد التسعة الذين أسسوا جمعية «القوة الخفية» سنة ٤٣ م ، في أورشليم (القدس) لمحاربة أتباع المسيح ، وقد ظهر هذا التاريخ لأول مرة سنة ١٩٢٦ ثم طبع كاملاً في سنة ١٩٢٩ ويتالف من ثمانية وثلاثين فصلاً .

(٤) تاريخ المسونية ص ٨٥ .

دينه ازداد عدد المؤمنين به والمائلين إلى الديانة التي أنشأها ، فكأن هناك يداً وقوة خفيتين تضربانا ولا تجدان أمامهما مدافعاً ، وكأننا قد حرمنا كل قوة تدفع تلك القوة وتناضل عن ديانتنا وعن كيانها وكياناً .. وأن لا أمل بقوة تدفع تلك القوة - التي هي لا شك قوة خفية - إلا بإنشاء قوة خفية مثلها^(١) .

وقد ناصب اليهود المسيحية العداء عندما بدأت تنتشر فشعروا بخطرها ، ونجحوا في إيذاء النصارى ، فحرضوا عليهم الأمبراطور «أنتونان التقى» (Antonin Le Pieux) ، فأمر بقتل جميع العازاريين سنة ١٥٥م ، كما كان اليهود وراء مذبحة مماثلة ضد العازاريين سنة ١٧٧م ، أيام الأمبراطور «مارك أوغيل» (Marc Auréle) . وقد أكد سفر «حدوروت» اليهودي (Sepher Hadoroth) وقوع هذه الحوادث كما روتها المصادر غير اليهودية^(٢) . ويروي سفر «جوشاسن» (Sepher Juchasin) أن الأمبراطور «ديوكليتيان» (Diocletian) أعدم عدداً كبيراً من النصارى بينهم البابا «كايوس» (Caius) والبابا «مارسولينوس» (Marcellinus) إرضاء لأصدقائه ودائنيه من المراقبين اليهود^(٣) .

وبالرغم من ذلك واصلت المسيحية انتشارها حتى أصبحت ، في القرن الرابع ، الدين الرسمي للأمبراطورية الرومانية بعدما اعتنقها الأمبراطور قسطنطين الأول (Constantine I) سنة ٣١٣م^(٤) . وكانت الكنيسة تأمل بأن تجذب اليهود إلى

(٢) المفسدون في الأرض ص ٩٨ .

(١) المرجع السابق ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٩ .

Encyclopedia International. Book 5. P. 180.

(٤)

الدخول في المسيحية ، ولكن جهودها في هذا المضمار لم تلق نجاحاً يذكر على مدى القرون اللاحقة . وتشير الواقع إلى أن اليهود ظاهروا ، تحت وطأة الظروف والأحوال السياسية ، باعتناق المسيحية ، كما فعل مثلاً يهود إسبانيا ، في القرون الوسطى ، بعدما حصلوا على ترخيص بذلك من مجلسهم الكهنوتي الأعلى (Sanherdin) ، وكانوا يتظاهرون بالمسيحية بينما كانوا يمارسون الطقوس الدينية اليهودية سراً^(١) . وبالرغم من حرص اليهود على إخفاء نصوصهم الدينية ، المعادية للمسيحيين ، إلا أن الرابع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي شهد صدور بعض كتبهم التلمودية المتضمنة تعاليم معادية للمسيحيين على نحو ما ورد في كتابهم « الحمار الذهبي » (The Golden Ass) في روما ، كما نشرت سنة ١٤٨٠ م تعاليم « التلمود » كاملة في روما أيضاً أيام البابا « سيكتوس » الرابع (Sixtus IV) ، ولم تحذف من هذه التعاليم المقاطع التي تهاجم المسيح والمسيحية حتى وردت فيها بعد كل مرة يذكر فيها اسم المسيح عبارة « ليمحي اسمه الشرير »^(٢) ، وهذا ما أدى إلى نشوب موجات من العداء المسيحي للتلمود في أوروبا مما دفع اليهود إلى حذف المقاطع المعادية للمسيحية من تعاليم التلمود ، أو التخفيف من وطأتها ، وذلك اعتباراً من منتصف القرن السادس عشر^(٣) .

وقد جرى تعديل النصوص اليهودية ، التي تتضمن تعاليم

(١) المفسدون في الأرض ص ٤٢٥ .

Ibid. P. 34 (٣)

Israel Shahak Khamsin Journal N°8 P.33- 34. (٢)

موجهة ضد المسيحيين أو غير اليهود ، واستبدلت بها عبارات أخرى ولكن دلالتها العدائية للأغيار (Gentiles) بقية معروفة لدى القارئ اليهودي . وفي الواقع كانت كل هذه التعبيرات الجديدة ضرورةً من الكذب يقصد بها إبعاد شكوك الأجانب عن حقيقة العداء الذي تكّنه الديانة اليهودية للأديان الأخرى^(١) ، وعلى سبيل المثال : تحتوي كتب الصلاة اليهودية لعنة خاصة موجّهة في الأصل ضد المسيحيين بالإبادة ، وقد جرى تحويرها في القرن الرابع عشر لتصبح موجهة ضد المرتدين عن الديانة اليهودية والمهرطقين^(٢) .

واستمر اليهود على هذا الأسلوب ، في إخفاء تعاليمهم الدينية المعادية للمسيحيين وغير اليهود ، على مدى القرون اللاحقة حتى قيام دولة « إسرائيل » ، حيث شعر علماؤهم الرابيون (Rabbin) بالأمان ، وبدأوا يعيدون الفصول والمقاطع الأصلية المحذوفة إلى الطبعات الحديثة لتعاليم التلمود^(٣) .

وقائع عن العداء اليهودي للمسيحية في العصور الوسطى :

وسنورد في ما يلي وقائع أثبتها كتاب يهود تؤكد مظاهر العداء الديني اليهودي للمسيحية :

- أثبت المؤرخ اليهودي شيمون دوبنوف (Simon

Ibid. P. 35.

(١)

Israel Shahak- Khamsin Journal № 9 P. 38.

(٢)

Shahak- Khamsin № 8 P. 35.

(٣)

(Dubnov) ، في كتابه « تاريخ اليهود » ، بعض الواقع التي حصلت في إنكلترا ، في القرن الثالث عشر ، وتنطوي على بعض مظاهر العداء الديني اليهودي للمسيحيين . ومع أن « دوبنوف » يحاول الإيحاء للقاريء بأن الاتهامات التي يذكرها كانت ذرائع لاضطهاد اليهود في إنكلترا إلا أنها تحمل في طياتها دليلاً على كراهية اليهود للمسيحيين :

- في سنة ١٢٣٠ م ، اتهم يهود مدينة « نورويتش » (Norwich) الإنكليزية بخطف طفل مسيحي في الخامسة من عمره ، وهو ابن طبيب مسيحي يدعى « بنديكت » (Benedict) وإجراء عملية ختان له^(١) .

- وفي سنة ١٢٤٤ م استخرجت جثة طفل مسيحي مدفونة في الأرض في مدينة لندن ، ووُجِدَت على الجثة علامات غريبة فسّرت على أنها حروف عبرية . وأعلن آنئذ أن الطفل بيع إلى اليهود وجرى تعذيبه حتى الموت . وقد فرض ملك إنكلترا على يهود المدينة دفع حوالي ٤٠ ألف جنيه إنكليزي مقابل هذه الجريمة^(٢) .

- في سنة ١٢٥٥ م عثر في مدينة « لينكولن » (Lincoln) على جثة طفل يدعى « هاف » (Hugh) ، في الثامنة من عمره ، ملقاة في بئر . وأفاد صاحب البئر أن اليهود قتلوا الطفل وألقوه في البئر ، وأنهم كانوا يصلبون فني مسيحياً كل سنة حسب طقوسهم

S. Dubnov. **History of the Jews.** P. 62. Translated by Moshe Spiegel.

(١)

Ibid. P. 62.

(٢)

الدينية ليلعنوا اسم المسيح . وقد أعدم الملك هنري الثامن (Henri VIII) ثمانية عشر يهودياً شنقاً من أصل يهود المدينة البالغ عددهم اثنين وتسعين شخصاً اتهموا بالتواطؤ على قتل الغلام^(١) .

- في سنة ١٢٦٨ اقتحم يهودي ، وُصف بأنه « مجنون » قداساً داخل كنيسة في مدينة أوكسفورد (Oxford) وانتزع الصليب من يدي الكاهن ورماه أرضاً وجعل يدوسه بقدميه . وقد أجبر يهود المدينة على تقديم صليب فضي إلى جامعة أوكسفورد كتعويض على هذه الإهانة ، كما ألزموا بإقامة صليب من الرخام في مكان الحادثة^(٢) .

مظاهر العداء اليهودي للمسيحية في العصر الحديث :

بعد قيام دولة « إسرائيل » شعر اليهود بالأمان ، فأعادت مراجعهم الدينية طبع جميع المقاطع التي سبق أن حُذفت من كتبهم الدينية كما أشرنا . ونشرت تعاليم التلمود في طبعات شعبية رخيصة تحت اسم (Hesronot Shas) ، وفيها مواقف عدائية لأتباع الديانات الأخرى يتعلّمها الآن الأطفال اليهود في المدارس^(٣) .

ومن مظاهر العداء للمسيحيين وغيرهم في هذه التعاليم ما يأتي :

Ibid. P. 63. (٢)

Ibid. P. 63. (١)

Israel Shahak. Khamsin N°8 P. 36. (٣)

- هناك مقاطع دينية يهودية تأمر كل يهودي ، عندما يمر قرب مقبرة لليهود ، بأن يتلو دعاء خاصاً لمباركة الأموات اليهود . أما إذا كانت المقبرة لغير اليهود فينبعي لعن أمهات الموتى^(١) .

- في سنة ١٩٦٢ طبع في القدس «كتاب المعرفة» (Book of Knowledge) الديني ، المأخوذ من تعاليم الرابي موسى بن ميمون (Maimonidian Code) ، وهو يتضمن معظم أصول الديانة اليهودية . ويدعو هذا الكتاب ، في نسخته العبرية ، إلى استئصال المسيح وأتباعه من العالم . غير أن الترجمة الإنكليزية للكتاب نفسه طمست ذكر «المسيح وأتباعه» وخفت من وطأة العبارة لتصبح كالتالي : «من الواجب القيام بتدابير فعالة لتدميرهم ، «دون الإشارة إلى من هم المستهدفون بهذا التدمير»^(٢) .

- بعد سنة ١٩٦٧ أعادت الأوساط اليهودية المقربة من حركة «غوش إيمونيم» (Gush Emunim) الدينية العبارات المحذوفة من تلاوة الصلاة ، وفيها دعاء على المسيحيين بأن يبيدوا في الحال^(٣) .

- حسب التعاليم الدينية اليهودية : إذا مسَّ مسيحي زجاجة خمر مفتوحة تصبح فاسدة ويجب إراقتها ، أما إذا مسَّها المسلم فيجب بيعها أو التخلص منها . وينطبق الحكم نفسه على الملحدين بالله من غير اليهود . أما اليهودي الملحد فلا ينطبق عليه هذا الحكم!^(٤) .

Shahak. Khamsin N°9. P. 38. (٣)

Ibid. P. 36. (١)

Ibid. P. 39. (٤)

Ibid. P. 36. (٢)

- في ٢٣ آذار سنة ١٩٨٠ جرى احتفال عام بمدينة القدس بإحرق مئات النسخ من الأنجليل (العهد الجديد) تحت إشراف مؤسسة « ياد لأخيم » (Yad le Akhim) التي تموّلها وزارة الأديان الإسرائيليّة^(١).

هذا بعض ما تنطوي عليه تعاليم الديانة اليهودية في العقيدة من أشكال العداء للمسيحيين ، أما في الممارسة فقد حرص اليهود على تطبيق هذه التعاليم متى كانت تسمح لهم الظروف بذلك ، وعندما يجدون في أنفسهم القوة والقدرة فإنهم لا يتورّعون عن التجريح بالمعتقدات الدينية للمجتمعات والبلدان التي احتضنهم وأوّلهم ، بل نراهم أحياناً يحاولون فرض المعتقدات الدينية اليهودية على الآخرين ، وهكذا بعض الأمثلة التي وردت في كتاب « اليهودي العالمي » عن سلوك اليهود الديني في الولايات المتحدة الأميركيّة منذ أوائل هذا القرن^(٢) :

- عملت الطائفة اليهودية ، في بعض مدن ولاية بنسلفانيا ، على إحباط القرارات التي اتخذت لقراءة الإنجيل والصلوات المسيحية في المدارس مطلع هذا القرن .

- حاول اليهود (١٩٠٩ - ١٩١٠) إدخال فكرة العطل اليهودية الدينية في الحياة العامة ، وقطعوا تجار نيويورك الذين يزاولون أعمالهم أيام السبت .

- حاول اليهود استصدار نص دستوري للاعتراف رسميًّا

Shahak. Khamsin № 8. P.33

(١)

(٢) هنري فورد - اليهودي العالمي - ص ١١٩ - ١٢١

باللغة العبرية ولكن المحكمة العليا أحبطت المحاولة (١٩١٠ - ١٩١١) .

- في المؤتمر الدستوري لولاية « أوهايو » (١٩١٢ - ١٩١١) اقترح مندوب يهودي أن يُصاغ دستور الولاية على نحو يمنع الإشارات الدينية المسيحية في المدارس .

- أيد مجلس الطائفة اليهودية في نيويورك (١٩١٠ - ١٩١١) مشروع قرار يقضي بالسماح لليهود بالقيام بجميع الأعمال أيام الأحد ، أي ممارسة أعمالهم العادلة في أيام العطل عند المسيحيين .

- في مدينة جاكسون (Jackson) بولاية « تنسسي » حاول اليهود (١٩١٣ - ١٩١٢) استصدار قرار يمنع قراءات الإنجيل في المدارس ، وعارضوا التراتيل الدينية المسيحية في مدارس « ديترويت » ، واتخذوا مواقف مشابهة ضد الطقوس الدينية المسيحية في المدارس في مدن أميركية أخرى .

وقد واصل اليهود خلال هذا القرن تفتيذ خطتهم لكتب الأصوات المسيحية الصادقة ، التي تجرؤ على الجهر بتعاليم المسيح الإنسانية فيما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي في الشرق الأوسط ، حتى أنهم باتوااليوم قادرين على تحنيمة الشخصيات الدينية المسيحية التي تجرأت على إعلان الموقف المسيحي الصادق والمحايد حيال ما يرتكبه اليهود الإسرائيليون في الأراضي المحتلة ضد المدنيين الأبرياء . ومن رجال الدين المسيحيين القلائل ممن تجرأوا على الكلام بصراحة في أميركا ، عن حقوق المواطنين العرب في فلسطين ، بوحى من تعاليم

الكنيسة القس « فرنسيس - ب. ساير » (Dean Francis B. Sayre) الذي أمضى ٢٧ سنة في رئاسة الكاتدرائية الوطنية في واشنطن ، ثم شن عليه اليهود حملة شعواء منذ سنة ١٩٧٢ وحالوا دون ترقية إلى مطران ، بل انتهى به الأمر إلى حالة شبيهة بالتقاعد دون أن يتولى أية مسؤوليات كنسية نظامية^(١) . وواجه القس « دون واغنر » (Don Wagner) حملة مماثلة من العداء اليهودي لأنه سعى بكل حياد وموضوعية لتعريف رعايا كنيسته الكبيرة في « إيفانستون » بولاية « إيلينوي » على حقيقة الوضع في الشرق الأوسط من أجل فهم أفضل لهذه المشكلة . أما الراهبة الكاثوليكية « مريم وارد » (Miriam Ward) ، أستاذة العلوم الإنسانية في كلية « ترينتي » في « فرمونت » ، فقد تعرضت لاتهامات كاذبة لأنها قامت بجهود إنسانية من أجل اللاجئين الفلسطينيين^(٢) . إن « اللوبي » اليهودي في أميركا بالمرصاد لكل رجل دين مسيحي يحاول أن يعبر عن التعاليم المسيحية الإنسانية فيما يتعلق بالفلسطينيين أو العرب .

وفي المقابل يحاول بعض الكتاب اليهود أن يرسّخوا « عقدة الذنب » لدى الغرب المسيحي (Guilt Complex) بتضخيم العداء المسيحي المزعوم لليهود مع العلم أن الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا ، منذ القرون الوسطى حتى الحرب العالمية الثانية ، لم يكن سببها الأساسي معتقدات اليهود الدينية وإنما ممارساتهم العدائية والطفيلية (Parasitism) في المجتمعات

(١) بول فيندلي - « من يجرؤ على الكلام » - الفصل التاسع ص ٣٩١ - ٤٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

التي آوتها واستغلالهم لشعوبات الشعوب . والواقع أن الأضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا كانوا هم المسؤولين عنها في الدرجة الأولى ، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني اليهودي « موريتز لازاروس » (Moritz Lazaros) عندما قال : « إن السؤال المركزي عند اليهود هو : لماذا يضطهدنا الآخرون ؟ والجواب يأتي دائماً « لأننا ارتكبنا الخطيئة »^(١) .

ومن الأمثلة على محاولات اليهود التهويل بالعداء المسيحي المزعوم لهم ما ورد في كتاب « اليهودي والصلب » (The Jew and the Cross) ، الذي يحاول تصوير الديانة المسيحية بأنها تقود الأضطهاد العالمي لليهود ، فقد ورد في هذا الكتاب « أن الطفل المسيحي يتشرب الكراهية لليهود في الكنيسة الأم »^(٢) . ويرى مؤلفه اليهودي أن باباوات الكنيسة ، ومطرانة روما الأوائل ، اتهموا اليهود بكل جريمة ونقيصة وعمل شرير ابتدعه خيالهم ليحطموا صمود وعناد الإيمان اليهودي »^(٣) ، وأن الكنيسة الكاثوليكية رغبت ، بعد انتصار المسيحية على روما ، في أن تلوي عنق الشعب اليهودي العنيد الذي رفض قبول الديانة المسيحية المنتصرة^(٤) ، ويقول : « إن تاريخ المسيحية هو قصة الأضطهاد الذي لا يرحم »^(٥) . ويخلص الكاتب إلى عرض وجهة النظر اليهودية حيال المسيحية قائلاً : « لسنا بحاجة إلى أي حوار مع المسيحيين . إن أفضل ما يمكنهم تقديمه برهنوا عليه

Raphael Patai- Journey Into the Jewish mind- P. 46I.

(١)

Dagobert D. Runes- The Jew and the Cross. P. 89.

(٢)

Ibid. P. 79. (٥)

Ibid. P. 78. (٤)

Ibid. P. 90. (٣)

خلال ألفي سنة من الاحتقار والاضطهاد . كل ما نطلبه منهم أن يتوقفوا عن مهاجمتنا في الكلمة المطبوعة والمقروءة وأن يمزقوا من كتبهم المدرسية الاختلاف المخزي بأن اليهود هم قتلة الإله . . .^(١)

وبمثل هذه الأساليب نجح اليهود في تشويه التعاليم المسيحية عند كثير من المسيحيين ، ومن ثم عمدوا إلى بث العديد من الأفكار الصهيونية التوراتية بواسطة عملائهم داخل بعض الكنائس الغربية المسيحية ، لاسيما الكنائس البروتستانتية ، حتى شوهوا الكثير من المفاهيم المسيحية لمصلحة النظرية الصهيونية^(٢) ، وبات يوجد الآن ، في الولايات المتحدة ، عدد من الكنائس التي تتبنى الفكرة التوراتية الصهيونية في عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة مملكتهم العالمية ، ومن هؤلاء جماعة « الألفيين » و « الأنجليليون الجدد » و « المسيحيون الصهيونيون » الذين يعتقدون أن العد العكسي قد بدأ لإنشاء « المملكة الألفية » اليهودية بقيام دولة إسرائيل ، ثم كانت الخطوة الثانية بضم القدس الشرقية وستكتمل بناء « الهيكل الثالث » في القدس^(٣) .

وإزاء هذا الخطر ، الذي يهدد المعتقدات المسيحية ، سارعت كنائس الشرق الأوسط إلى عقد مؤتمر عام في قبرص ،

Ibid. P. 79.

(١)

(٢) راجع التقرير السري لمجلس كنائس الشرق الأوسط المششور في جريدة « السفير » ما بين ١٩٨٧/٧/١٥ و ١٩٨٧/٧/١٧ .

(٣) تقرير كنائس الشرق الأوسط - جريدة « السفير » بتاريخ ١٩٨٧/٧/١٧ .

في أوائل الخريف من العام ١٩٨٦ ، ووضعت تقريراً سرياً عن النشاط الصهيوني المستخفى تحت ستار بعض الكنائس في الغرب المسيحي . لاحظ هذا التقرير «أن التعايش المفاجئ في نشاط الحركات «الإنجيلية» الغربية وعدها ، وفي نشاط المرسلين العاملين في الشرق الأوسط ، هو مسألة تهم كنائس المنطقة ومجلس كنائس الشرق الأوسط . فيما نجهد لاستعادة وحدتنا في المسيح ، تعرّينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثراً انقسامياً ، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها وشهادتها ورسالتها الخاصة ، وبعضها الآخر يصر على زرع رؤيا لاهوتية غربية على ثقافتنا»^(١) .

وبعد أن يستعرض التقرير التشويه الذي لحق بالتعاليم المسيحية من جراء «مؤتمر القيادة المسيحية - الصهيونية » ، الذي نظمته «السفارة المسيحية الدولية في القدس » ، بين ٢٧ و ٢٩ آب أغسطس سنة ١٩٨٥ ، في بال - سويسرا ، يخلص التقرير إلى أن سلوك هذه الجماعات «ينطوي على خطر فعلي على المصداقية المسيحية في كل مكان ، وعلى الخصوص مصداقية المسيحيين في الشرق الأوسط»^(٢) .

العداء اليهودي للإسلام :

هناك من يرى أن العداء اليهودي للإسلام ، نسبياً ، أخف وطأة من العداء اليهودي للمسيحية^(٣) ، ومع ذلك فإن التعاليم

(١) المرجع السابق .

Israel Shahak- Khamsin Journal N°9 P. 42. (٣)

(٢) المرجع السابق .

الدينية اليهودية لا تتوρع عن وصف النبي محمد ﷺ ، بأنه « رجل مجنون » (Meshugga) كما ينظر اليهود إلى القرآن الكريم على أنه كتاب عادي . وتنص التعاليم اليهودية المعروفة باسم Halakha Decrees) على أن المسلمين لا ينبغي معاملتهم أفضل مما يُعامل أي أجنبي آخر^(١) .

وقد سبقت الإشارة إلى بعض أشكال العداء ، التي أبدتها يهود الحجاز ، نحو الدعوة الإسلامية الناشئة ، وتحالفهم مع القبائل الوثنية ضد المسلمين مما أدى إلى مواجهات عسكرية عديدة انتهت بانتصار المسلمين ، وإجلاء اليهود عن المدينة وما حولها باعتبار أن المدينة كانت ، آنذاك ، مركز القرار في الحكومة الإسلامية ، ثم إننا ذكرنا ما ورد في المراجع القديمة عن حوادث متفرقة تشير إلى نشاط يهودي خفي يمكر بالإسلام وال المسلمين ويحاول إفساد عقيدتهم ، والقضاء على رجالهم وبث الفتنة في صفوفهم . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العدوانية اليهودية ضد المسلمين بقوله تعالى : « لِتَجْدَنَ أَشَدُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا يَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا »^(٢) ، كما صرّح القرآن الكريم جوانب من كفرهم وتأمرهم على النبي والمسلمين وتحالفهم مع الكافرين في قوله عزّ وجلّ : « لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَناهُونَ عَنْ مِنْكَرِ فَعْلَوْهُ لِبْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَولَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَن سُخْطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمُ الْخَالِدُونَ * وَلَوْ

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

Ibid. P. 42. (١)

كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوههم أولياء ولكن
 كثيراً منهم فاسقون ﴿١﴾ .

الواقع أن الإسلام نقض الكثير من المفاهيم الدينية لليهود دون أن ينكر عليهم أنهم أصحاب دين سماوي وكتاب متزلاً من عند الله عز وجل أنزله على النبي موسى (عليه السلام) هو التوراة . ولكن التحريف الذي أدخل على شريعة موسى أفسد عقيدةبني إسرائيل وصار لزاماً عليهم تقويم الانحراف والعودة إلى الشريعة الحقة ، القائمة على التوحيد الخالص لله تعالى ، دون أن تشوبها شوائب الشرك الظاهر أو الخفي . وهي عقيدة ملة النبي إبراهيم (عليه السلام) التي جاءت الدعوة الإسلامية لإحيائها ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾^(٢) وهي شريعة الإيمان والتوحيد الخالص لله المائلة عن الشرك . قال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركيين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعواوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولهم المؤمنين * ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾^(٣) .

هذا الموقف الواضح والحاصل تجاه اعتقاد اليهود عززته التشريعات الإسلامية المتعلقة بأصول المعاملات الاجتماعية ، وفي مقدمتها النهي عن التعامل بالربا وإبطال كل كسب غير مشروع لا يقوم على أساس العمل النافع للناس . وقد وجد اليهود

(١) سورة المائدة : الآية ٧٨ - ٨١ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٣ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ .

أن ذلك يعني تجريدهم من أهم مصادر قوتهم المتمثلة في المال والأسباب المتواترة في تحصيله وتشميره ، والكسب غير المشروع ، وأكل أموال الناس بالباطل . وكان رد فعلهم تجاه ما جاء به الإسلام أن دخل نفر من علمائهم في الإسلام ، وبينما ظل أكثرهم على اعتقادهم المتوارث عن الأخبار ، وأبطنوا الكيد بالإسلام والمسلمين ، وكان لهم دور خفي ومكر مدبر في إفساد عقيدة المسلمين . وإذا بقي القرآن الكريم في منجاً من كيد اليهود بما حفظه الله وصانه من أي تحريف ، فإن الدسّ اليهودي تسلّل إلى التفسير والحديث وأدخل عليهما الكثير من الأحاديث الموضوعة ، والروايات المصنوعة حتى اضطر السلف الصالح إلى وضع أصول وقواعد لعلوم الحديث يعرف بها الصحيح من السقيم ، والغث من السمئين ، وصار هناك في التفسير والحديث ما يعرف باسم « الإسرائيليات » ، وما زالت هذه الإسرائيليات تكثر وتنمو حتى امتلأت بها الكتب . وقد أثبتت العلم أن كثيراً مما نقل من تاريخبني إسرائيل غير صحيح ، وكان للذين أسلموا من اليهود دور غير يسير في تسريب الكثير من الأقوال والآراء اليهودية إلى معتقدات المسلمين ، وأناروا مسائل دينية كانت مدار نقاش وجدال بين الفرق والمذاهب الإسلامية^(١) .

ولسنا الآن في مجال تحقيق مدى تأثير الثقافة اليهودية في المسلمين ، وإنما حسبنا ما ظهر لنا من محاولات يهودية لإفساد أصول الاعتقاد الإسلامي ، وقد بدأت هذه المحاولات على أيام

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام - ص ٣٥٢ وما بعدها .

النبي ﷺ في المدينة على نحو ما ذكرنا من قبل^(١) . ولم تتوقف محاولات اليهود لإفساد المعتقد الديني للمسلمين ، منذ ذلك الحين ، حيث نلمس التأثير اليهودي على كثير من الفرق الإسلامية ، ونقرأ الروايات الإسرائيلية في كثير من الكتب والمصنفات ، على أن أصول العقيدة الإسلامية بقيت مصانة على يد أئمة الإسلام ورجاله ، وقد تمت كلمة الله وتقديره بأن يبقى القرآن في جُرْزِ من العبث والتلاعب مصداقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) . غير أن هذا لا يعني أن علماء اليهود لم يحاولوا تشكيك المسلمين بنصوص القرآن نفسه ، وقد ورد في إحدى رسائل الإمام ابن حزم الأندلسى رسالة تتضمن ردًا على ابن النغريلة ، وهو أحد اليهود الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس ، وقد توصل إلى منصب الوزارة ، أواسط القرن الخامس الهجري ، وسلط على مقدرات الدولة أيام باديس ، صاحب غرناطة ، فقرب قومه اليهود وساعدهم «على تثبيت اللغة اليهودية وبعث الثقافة اليهودية والظهور بذلك»^(٣) ، ولم يكتفى بذلك بل حاول تشكيك المسلمين بنصوص القرآن الكريم فزعهم وجود تناقض بين آيات وأخرى ، وهذا ما فتنه ابن حزم ورد عليه في رسالته . وقد بدأ ابن حزم رسالته بهذه الشكوى المريدة التي تصور تبرمه بسياسة أهل الحكم في أيامه وتهاونهم في شؤون الدين وغفلتهم عن دسائس أهل الشرك ، قال :

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تِشَاغْلَ أَهْلِ الْمَمْالِكَ ، مِنْ أَهْلِ مَلْتَنَا ،

(١) راجع الفصل الثاني من هذا البحث . (٢) سورة الحجر : الآية ٩ .

(٣) د. إحسان عباس - رسائل ابن حزم - ص ١٠ - ١١ .

بدنياهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها ، عما قريب ، عن عمارة شريعتهم الازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ، ربما كانت سبباً إلى انقراس أعمارهم وعنواناً لأعدائهم عليهم ، عن حياة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم ، حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة ، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا ، لاهتموا بذلك ضعف همّنا ، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء ، ثم هم ، بعد ، متربدون بما يؤثرون إليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم ، فللأسباب أسباب وللمداخل إلى البلاء أبواب ، والله أعلم بالصواب »^(١) .

ومن الأمثلة على ما أورده ابن النغريلة من تشكيك بآيات القرآن الكريم زعمه أن قوله تعالى : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك »^(٢) مناقض لما ورد في آخر الآية « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »^(٣) .

ويبين ابن حزم فساد هذا الزعم فيقول : « إن الكفار كانوا يقولون : إن الحسنات الوارضة إليهم هي من عند الله ، عز وجل ، وإن السيئات المصيبة لهم في دنياهم هي من عند محمد ﷺ ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيائتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة هي من عند

(١) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ٧٩ .

الله تعالى بفضله على الناس ، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنساناً في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يعني على نفسه من تقصيره فيما يلزمها من أداء حق الله تعالى الذي لا يقوم به أحد ، وكل ذلك من عند الله جملة . فأحد الوجهين وهو : الحسنات فضل من الله تعالى مجرد لم يستحقه أحد على الله تعالى إلا حتى يفضل به عز وجل من أحسن إليه من عباده ، والوجه الثاني وهو : أن السيئات تأديب من الله تعالى أوجبه على المصاب بها لتقصيره عما يلزمها من واجبات ربه تعالى «^(١)» .

وعلى هذا النحو يفتّد ابن حزم ، في ثمانية فصول ، أقوال ابن التغريلة المفتراء حول بعض آيات القرآن الكريم ، ويرد عليها مقدماً الدليل على فساد ما ذهب إليه هذا اليهودي الحاقد بالرغم من كل ما كان ينعم به من جاه ونفوذ في ظل الإسلام والمسلمين^(٢) .

(١) رسائل ابن حزم ص ٤٨ .

(٢) هذا ما كان قبل نحو ألف سنة ، يوم كان للإسلام دولة وسلطان ، أما اليوم حيث تسود القوانين الوضعية في الدول ذات الشعوب الإسلامية ، فلا يزال نشاط اليهود ، ومن شاكلهم ، قائماً يحاول الكيد بالإسلام وإفساد ما بقي من إيمان في نفوس أتباعه ، واستنزاف طاقات المسلمين وثرواتهم من أجل تحقيق أهداف اليهود ومحظطاتهم . هذا الخطر قائم في كثير من الهيئات والجمعيات السرية والعلنية التي أنشأها ، وخطط لها العقل اليهودي ، وبتها في جميع أقطار الأرض لتحقيق الهيمنة على جميع الشعوب واستغلالها . وقد لاحظ المجمع الفقهي ، المنعقد في مكة المكرمة بتاريخ ١٩٧٨/٧/١٥ ، وجهاً من وجود الخطر اليهودي المتمثل بالحركة الماسونية ، وقرر أن هذه الحركة هي «من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين ، وأن من يتسبب إليها على علم بحقيقة وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله» . ولاحظ المجمع الفقهي =

ومع أن النصوص الدينية اليهودية لا تخص المسلمين بكثير من عبارات الذم والتحقير ، كما هي الحال نحو المسيحيين ، إلا أن التعاليم اليهودية تنص على عدم معاملة المسلمين أفضل مما يعامل أي أجنبي آخر (Gentile)^(١) . فالمسلم يعتبر في عداد الأغيار الذين تعتبرهم التعاليم التلمودية أقرب إلى البهائم منهم إلى الإنسان^(٢) ، وهم غير قادرين على إدراك القيم الدينية السامية لأن مرتبتهم في المخلوقات تأتي دون مستوى الإنسان وأعلى من مستوى القرد^(٣) ، ومن البديهي القول إن المقصود هنا بكلمة « الإنسان » الإنسان اليهودي دون سواه حسب نظرية التفوق العنصري اليهودي .

وليس مسألة العداء اليهودي للإسلام وأهله بالأمر الجديد على من يتدبّر آيات القرآن ، ويقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد حذرتنا آيات عديدة من مكر المشركين ، وبخاصة اليهود منهم ، نحو ما نقرأ في قوله تعالى : ﴿ وَذُكْرٌ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرَوْنَكُمْ مَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِدًا مِّنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ مَّا بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾^(٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَدَتْ طَافَةٌ مِّنْ أَهْلِ

= أيضاً ، بصورة واضحة ، وجود « العلاقة الوثيقة للمسؤولية باليهودية والصهيونية العالمية » ، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية » [راجع حسين عمر حمادة - شهادات ماسونية ١٦٨ - ١٦٧] .

Israel Shahak- Khamsin Journal N°9 P. 42.

(١)

Shahak- Khamsin Journal N°8 P. 37.

(٢)

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٩ - تفسير ابن كثير .

Ibid. P. 37. (٣)

الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلّا أنفسهم وما يشعرون ﴿١﴾ .
والمقصود هنا بأهل الكتاب اليهود ، كما ورد في كتب
التفسير^(١) .

ومن الأقوال التي تظهر حقيقة العداء اليهودي للأديان القول
المنسوب إلى اليهودي الفرنسي « ألكسندر لامبير » Alexandre (Lambert) ، في خطاب ألقاہ على أثر نجاح الثورة الفرنسية ،
وقال فيه : « إن كل الأديان ، ما عدا الدين العبراني ، هي ديانات
مخادعة ومعيبة ومهينة للقيم الإنسانية ومذلة للرب نفسه »^(٢) .

وأخيراً نورد ، للدلالة على عداء اليهود للأديان والإيمان ، ما
 جاء في بروتوكولات حكماء صهيون حول هذا الموضوع :
« حينما نمكّن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين
غير ديننا (. . .) ، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطّم كل عقائد
الإيمان . وإذا تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين فلن
يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلًا للأجيال القادمة
التي ستستمع إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا -
بعقidiته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا »^(٣) .

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٩ - تفسير ابن كثير - ج ١ - ص ٣٧٢ .

(٢) المفسدون في الأرض ص ١٥٦ .

(٣) البروتوكولات - البروتوكول الرابع عشر - ص ١٥٢ .

المال اليهودي وتأثيره في مخططات اليهود السرية

من العسير على الباحث أن يدرس التاريخ اليهودي بمعزل عن الدور الاقتصادي الذي قام به اليهود على امتداد تاريخهم قدّيماً وحديثاً^(١) ، ذلك أن النشاط الاقتصادي ، للشعب اليهودي ، يعتبر أحد أبرز السمات في الشخصية اليهودية ، التي تبلورت بشكل أساسي بعد حقبة السبي البابلي . وهناك من يعتبر أن المنفى البابلي كان له الدور الأول في تحويل اليهود إلى شعب تجاري^(٢) . ويرى الكاتب اليهودي الماركسي أبراهام ليون أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي ليهود الشتات هو وحده الذي حرق التحامهم الديني والقومي^(٣) . وبغض النظر عن رأينا بهذا الاستنتاج ، المستند إلى التفسير المادي البحث للتاريخ ، فإن الأمر الثابت تاريخياً هو أن المال كان العصب المحرك للتاريخ اليهودي برمتها . فقد عُرف اليهود ، منذ القدم ، بالحرص على المال وتنميته وتسخيره في خدمة أغراضهم . وهم ، على

(١) أبراهام ليون - المفهوم المادي للمسألة اليهودية - ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٠ .

الجملة ، بارعون في التصرف بالأموال وتحقيق الربح السريع ، من دون كبير عناء ، فكان منهم الصاغة والصيارة وأصحاب البيوت المالية ، ودأبوا على التعامل مع الآخرين (Gentiles) بالربا فأكلوا أموال الناس بأساليب شتى . وبلغ بهم حب المال أن خاضوا ، في سبيل تحصيله وتكتيره ، كل مخاض ولم يتورعوا عن سلوك الطرق الملتوية من أجل تسييره . وقد تغافل اليهود ، بعد السبي البابلي ، عن تطبيق شريعة موسى (عليه السلام) وأهملوا الوصايا الخاصة بالربا^(١) ، حتى أن الكتاب المقدس يتضمن عبارات تندد بالمرابين فنقرأ فيه مثلاً : « إن من كثر ماله بالربا والشمير فلم يرحم الفقراء جمعه »^(٢) .

وورد في نبوة حزقيال وصف الإنسان الصديق بأنه « لم يعط بالربا ولم يأخذ ربحاً وكف يده عن الأثم »^(٣) . ولقد أحاب اليهود المال حباً جماً حتى أعماهم عن الحق ، وصرف قلوبهم عن التوحيد الخالص لله ، وهذا ما عبر عنه « العهد الجديد » في القول المنسوب إلى السيد المسيح (عليه السلام) ، وهو يلوم اليهود على شغفهم بالمال إلى حد العبادة : « لا يستطيع أحد أن يعبد ربين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر ، لا تقدروا أن تحبوا الله والمال »^(٤) ، كما ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى هذا الخلق اليهودي المذموم

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - شرح كلمة « ربا » ص ٣٩٨ .

(٢) سفر الأمثال ٨ / ٢٨ .

(٤) إنجيل متى ٦ / ٢٤ .

في قوله تعالى : ﴿فَظُلِمُوا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيَّبَاتٍ أَهْلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ..﴾^(١).

إن الخطوط العريضة لاستراتيجية اليهود الاقتصادية برزت بوضوح بعد السبي البابلي ، وجاءت نتيجة تخطيط واعٌ للدور اليهود في المستقبل بعد انتهاء مرحلة السبي ، وهذا ما يقودنا إلى لمحة سريعة عن نشوء الحكومة اليهودية السرية التي وضعها أسس النشاط الاقتصادي لليهود ، وهي الأسس التي لا يزال اليهود يعتمدونها في ممارسة دورهم الاقتصادي حتى اليوم . متى نشأت هذه الحكومة السرية ، وكيف وما هو دورها في تخطيط نشاطات الشعب اليهودي ، بما في ذلك النشاط الاقتصادي ؟

حكومة اليهود السرية :

السنهررين - القهل (Sanhedrin- Kehillah)

تعتبر حقبة السبي البابلي نقطة تحول هام في تاريخ اليهود ، إذ شهدت مخاضاً عسيراً انتهى بولادة دين جديد ، وفكر جديد ، وتاريخ جديد للشعب اليهودي .

ففي عام ٧٢٠ ق.م سقطت مملكة إسرائيل الشمالية ، وسيطروا على جميع سكانها إلى بابل . وفي سنة ٥٧٦ ق.م سقطت المملكة الجنوبية ، وهي مملكة يهودا ، في قبضة الأشوريين فاستولوا على القدس ، وهدموا هيكل سليمان ، وسبوا حوالي سبعين ألفاً من

(١) سورة النساء : الآية ١٦١ و ١٦٠ .

اليهود إلى بابل حيث التقوا أبناء عمومتهم الذين كانوا سبقوهم إلى السبي ، قبل حوالي قرن ونصف من الزمن^(١) .

وخلال حقبة السبي أعاد علماء اليهود كتابة تاريخ الشعب اليهودي حسب وجهة نظر جماعة الفريسيين (أي المنشقين)^(٢) ، فحلّت تقاليد جديدة بدلاً من القديمة ، ونشأت مبادئ الانعزال اليهودي ، والابتعاد عن المؤثرات الدينية والثقافية لدى الشعوب الأخرى^(٣) . وهكذا وضع الفريسيون الأسس التي قامت عليها الشخصية اليهودية خلال العصور القادمة ، وكان من نتائج ذلك أن شحنت العقائد الجديدة الشعب اليهودي بالحقد على البشرية وغرسـت في نفسه فكرة الحصول على «الوعد» من رب بتملك العالم والسيطرة على سائر الشعوب^(٤) . وعندما أعاد البابليون الإسرائييليين إلى فلسطين أعلن هؤلاء دينهم الجديد في العام ٤٤٠ ق.م^(٥) وقد حاول الفريسيون ، بكل قوتهم ، «احتكار» الدين اليهودي ومنع تسرب المعلومات بشأنه إلى الشعوب الأخرى^(٦) ، نظراً لما انطوى عليه من تعاليم سرية .

(١) سهيل ديب - التوراة بين الوثنية والتوحيد - ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) يعرف هؤلاء باسم اليهود الأرثوذكس ، أي اليهود أصحاب العقيدة القوية . وهم الذين نهضوا بفكرة رفض الاندماج في المجتمع البابلي خلال حقبة السبي ، ودعوا إلى المحافظة على نقاط الشعب اليهودي من الناحيتين الفيزيولوجية والثقافية ، وقادوا حملة العودة إلى فلسطين .

(٣) التوراة ، تاريخها وغياتها ترجمة وتعليق سهيل ديب ، ص ١٥ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٧ .

إذن ، لقد عاد اليهود إلى فلسطين بعد السبي مزددين بأفكار جديدة عن دورهم الديني والثقافي في المستقبل وعلاقتهم بالشعوب الأخرى ، وهي أفكار تقوم على العناصر الآتية :

- ١ - فكرة «الوعد» من الرب لليهود بتملكهم العالم وتحقيق سيطرتهم التامة على سائر الشعوب .
- ٢ - فرض تدابير صارمة كانت تحول دون انتشار اليهود أثناء السي في المجتمعات الأخرى ، وتنعهم من الاختلاط والتزاوج مع أي غريب استناداً إلى معتقد ديني بانتظار «العودة» إلى فلسطين . وهذا ما استمروا في العمل به بعد السي البابلي .
- ٣ - المصالحة بين زعماء اليهود وتنظيم صفوفهم ، وتوحيد كلمتهم لتحقيق الأهداف المشتركة^(١) .
- ٤ - اعتماد السرية في العمل لتحقيق «الوعد» اليهودي ، وهذا يتمثل في وجود أسفار سرية ، لدى اليهود ، لم يُكشف عنها إلا للمتقدمين بالكهنوت اليهودي^(٢) ، كما يتمثل أيضاً في تعاليم التلمود السرية ، التي سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول من هذا البحث .

وبعد مضي حوالي ٥٠٠ سنة على عودتهم من بابل إلى فلسطين أصيب اليهود بضربة قاصمة على أيدي الرومان سنة ٧٠م . وعندئذ فكر أقطاب المجتمع الإسرائيلي في إنشاء نوع من

(١) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٧ .

الحكومة السرية مهمتها إبقاء التكتل العنصري اليهودي ، والعزلة التي فرضها المجتمع الإسرائيلي على نفسه^(١) . وبذلك كان « السنهررين »^(٢) أول شكلٍ من أشكال التنظيم العنصري الإسرائيلي ، في أواخر القرن الأول الميلادي . على أن الكثير من محققى التاريخ اليهودي يرون أن استعمال هذه الكلمة اليونانية بين اليهود يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد^(٣) . ويتضمن التلمود فصلاً خاصاً بعنوان « السنهررين » يتبيّن منه أن هذا التنظيم كان بمثابة حكومة سرية لليهود يلتزمون التزاماً تاماً في تنفيذ أحكامها . ويلاحظ المؤرخون أن « السنهررين » استمر في العمل حقبة طويلة ثم اختفى في القرون الوسطى ليعود إلى الظهور بشكل أقل تأثيراً في فرنسا أيام نابليون بونابرت^(٤) ، وكان ظهوره مصدر قلق للشعب الفرنسي بسبب النهب الاقتصادي المنظم الذي مارسه اليهود وغزوهم ميادين التجارة والسمسرة والإقراض بالربا^(٥) . وحيث أن « السنهررين » كان ضئيل الأثر في ظهوره المستجد في فرنسا ، أيام بونابرت ، فقد حل محله ما يُعرف بـ « القهيل » ، أو « القهيلة » ، وتستعمل الكلمة بمعنى « الاجتماع » أو « الجماعة » ، وأصبح مفهومها عند اليهود يعني الهيئة التي تُدعى عند الأمور المهمة ، وهي في الواقع بديل عن « السنهررين » ، تمارس مهامه كاملة في تنظيم شؤون اليهود

(١) د. حسن ظاظا - الشخصية الإسرائيلية - ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) كلمة يونانية الأصل « سوندريون » وتعني المجلس أو الجمعية أو الهيئة .

(٣) المرجع السابق ص ٥١ .

(٤) المرجع نفسه ص ٥٣ .

(٥) المرجع نفسه - حاشية ص ٥٤ .

الداخلية ، فهي حكومة سرية واجبة الطاعة . وقد وسَّعَ الكثير من مجالس القهل نشاطهم فجعلوا لهم سياسة علنية تعلم بها الحكومات ، وأخرى سرية مقصورة على اليهود تهدف إلى تقوية العنصرية وتشديد العزلة الدينية والحضارية للمجتمع الإسرائيلي^(١) .

ويمكن القول إن مجالس « السنهردين » ، ثم « القهل » ، كانت في الواقع حكومات يهودية حقيقة داخل الدول القائمة التي كان يعيش اليهود فيها . وفي القرن التاسع عشر بدأت أوروبا تشعر بخطر تنظيمات « القهل » على الدولة ، فأصدرت روسيا وبولونيا قانوناً بإلغاء القهل سنة ١٨٤٤ مما حدا باليهود إلى تنظيم الصهيونية . وقد ظلت حكومة « القهل » تمارس نشاطها في أوروبا الشرقية سراً حتى سنة ١٨٩٣ ، أي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي بأربع سنوات فقط^(٢) .

ومما تقدم يتبيّن لنا أن أساليب العمل اليهودي كانت متشابهة في جوهرها وغاياتها عبر التاريخ ، وإن اختلفت أسماؤها وأشكالها . وكانت السرية دائماً هي السمة البارزة في النشاط اليهودي على إختلاف العصور ، وسنحاول ، فيما يلي ، التعرّف على وسائل وأساليب العمل التي توسلّها اليهود من أجل تحقيق مخططاتهم سراً وجهاً .

ويمكن إدراج هذه الوسائل والأساليب ضمن العناوين

(١) الشخصية الإسرائيلية ص ٥٨ - ٦٢ وهنري فورد « اليهودي العالمي » ، تعرّيف خيري حماد ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) الشخصية الإسرائيلية ص ٦٣ - ٦٤ .

الآتية : المال اليهودي (الربا) وتأثير الحركة الصهيونية في قيادة النشاطات اليهودية في العصر الحديث ، والاغتيالات السياسية والسيطرة على وسائل الإعلام .

وقد بدأنا هذا الفصل بلمحنة عن مفهوم الحكومة اليهودية السرية لأن ما سرناه ، بعد ، من النشاطات اليهودية تحت العناوين المذكورة ، يثبت أن وراءها خطة مدبرة ، وعمولاً مخططة ولا يمكن أن يتأثر ذلك إلا بوجود هيئة يهودية عليا تخطط لنشاطات اليهود في العالم .

المال اليهودي - الربا :

يزعم اليهود أن الشريعة الموسوية تنهى عن أخذ الربا من إخوتهم ، وتسمح لهم بأخذه من الغرباء ، أي من غير اليهود : « لا تقرض أخاك بربا في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يفرض بالربا ، بل الأجنبي أياه تقرض بالربا ، وأخاك لا تقرضه بالربا لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها »^(١) . وهذا ما أقرّهم عليه التلمود بتعاليمه السرية التي أجازت لليهود إقراض « الأكوم » بالربا . ولفظة « آكوم » يقصد بها غير اليهود ، وإن كان معناها اللغطي يطلق على المسيحيين ، وهي مشتقة من الأحرف الأولى لكلمات العبارة الآتية : « أوبدي كوخابكيم يومزالوت »^(٢) (Obbdekohabkim) . وتعني بالعبرية عبد النجوم والكواكب Umazzaloth .

(١) سفر تثنية الاشتراك ١٩/٢٣ - ٢٠ .

(٢) الأب برانايتس - فضح التلمود - ص ١٣٤ وص ٨٠ .

ومما جاء في التلمود : « غير مصري لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا » وقرر ذلك أيضاً عدد من الحاخامات ، وقال أحدهم عن الأمي (غير اليهودي) « حياته بين أيديكم فكيف بأمواله ؟ »^(١) .

وقال الرابي يهودا « إنه مصري لليهودي أن يغير أولاده وأهل بيته بالربا ليذوقوا حلاوته ويقدروه حق قدره »^(٢) . ويقول الحاخام « أباربائيل » : إنه من الجائز ، حسب الشريعة اليهودية ، ارتفاع الفوائد على حساب إرادة المقرض^(٣) . ويحظر التلمود على اليهود أن يقدموا هبات أو هدايا إلى غير اليهود (Gentiles) ، ولكن يمكن في أحوال معينة أن يقدم اليهودي هبة ، أو هدية ، إلى غير اليهودي إذا كان يتمنى من ذلك منفعة في المقابل . وفي هذه الحال لا ينبغي اعتبار هذه التقدمة هبة وإنما شكلاً من أشكال الاستثمار^(٤) . ويجمع معظم الرا比ين على ضرورة أخذ أكبر قدر ممكن من الفائدة على القرض المعطى لغير اليهود^(٥) .

ولقد اقترنت تاريخ اليهود الاقتصادي بالربا حتى أن كلمة « يهودي » أصبحت مرادفة لكلمة « مراب » ، وحتى باتت الملكية اليهودية ثمرة العمليات الربوية والتجارية^(٦) . غير أن أعمالهم

(١) أوغست روهنج - اليهودي على حساب التلمود - ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣ .

Israel Shahak- The Jewish Religion and its Attitude to non- Jews.

(٤)

Khamsin Journal N°9 P.35.

(٦) أبراهام ليون ص ٨١ - ٨٢ .

Ibid. P. 35. (٥)

التجارية غالباً ما كانت تتم بطرق غير مشروعة .

فالإمبراطور الروماني يوستينيانوس الأول (٤٨٣ - ٥٦٥ م) أصدر القانون المعروف باسم « القوانين المدنية » ، وحاول فيه وضع حد للأعمال اللامشروعة التي كان التجار اليهود يلجأون إليها في التجارة والمبادلات . وتمثلت هذه الأعمال في تجارة العبيد ، واحتكار تجارة المخدرات ، والدعارة ، وتهريب المسكرات والعطور والجواهر والبضائع الثمينة ، وكانوا يلجأون إلى الرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار من أجل حماية نشاطاتهم المشبوهة ، حتى أن يوستينيانوس ، إمبراطور روما القوي ، لم يكن بالقوة الكافية لوضع حد لتلك النشاطات^(١) . ويقول المؤرخ البريطاني « إدوارد جيبون » Edward GIBBON : إن المرابين اليهود كان لهم دور بارز في انحطاط وسقوط الدولة الرومانية^(٢) . وبعد ذلك بدأت تظهر بوادر السيطرة المالية اليهودية على الشطارات الاقتصادية في أوروبا ، وكانت الحرب الصليبية أبرز نتائج هذه السيطرة ، في القرون الوسطى ، حيث خاضت أوروبا حملات متالية ضد الشرق الإسلامي انتهت بفشلها في إخضاعه ، وخرجت الجيوش الأوروبية منه مدحورة ، ولكن خرج المرابون اليهود وحدهم بالغنم ، من هذه الحروب ، فأصبحوا بعدها أكثر قوة وثراء عما كانوا من قبل^(٣) .

(١) غاي كار ص ٥٣ - ٥٤ .

Eduard Gibbon- *The Decline and Fall of the Roman Empire*. Book (I) P.P. 385- (٢)
391 and 446- 448.

(٣) غاي كار ص ٥٦ .

وفي عام ١٢١٥ عقد المؤتمر المسكوني الرابع للكنيسة الكاثوليكية ، وأصدر قرارات للحد من الربا الفاحش الذي كان اليهود يمارسونه . ويُمْكِنُ توجُّبُ هذه القرارات منع اليهود من استخدام المسيحيين كفطاء لعقد الصفقات اللامشروعة ، كما حظر عليهم استخدام المسيحيات حيث كان اليهود يغوغون الفتيات ويجعلونهن إلى عاهرات يستعملونهن في الحصول على المال والنفوذ . وفي عام ١٢٥٣ ضاقت فرنسا ذرعاً بتجاذبات اليهود فطردتهم جميعاً لمخالفتهم القوانين ، فلجأوا إلى إنكلترا حيث تمكنا من السيطرة على عدد من كبار رجال السلك الكنسي الإنجليزي ، وعلى الكثير من النبلاء والإقطاعيين ، غير أن ممارسات اليهود الاستغلالية ما لبثت أن كشفت أمرهم فأُعدم الملك هنري الثالث ، سنة ١٢٥٥ ، ثمانية عشر يهودياً ثبت ضلوعهم في عمليات مشبوهة لتقويض سلطة الكنيسة وفصلها عن الدولة . وفي عام ١٢٧٢ أصدر الملك إدوارد الأول أمراً حرم بموجبه على اليهود ممارسة الربا . ثم أصدر البرلمان الإنجليزي ، سنة ١٢٧٥ ، قوانين عرفت باسم «الأنظمة الخاصة باليهود» من أجل تقليص سيطرتهم الاقتصادية على الشعب الإنجليزي^(١) .

وسارع ملوك أوروبا إلى اتخاذ تدابير شبيهة بتدابير الملك إدوارد ، فطردت فرنسا اليهود عام ١٣٠٦ ، ثم تبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨ ، وهنغاريا عام ١٣٦٠ ، وبولندا عام ١٣٧٠ ، وتشيكوسلوفاكيا عام ١٣٨٠ ، والنمسا عام ١٤٢٠ ، والأراضي

(١) المرجع السابق ص ٥٧ - ٥٨ .

المنخفضة عام ١٤٤٤ ، وإسبانيا عام ١٤٩٢ ، كما طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥ ، ومن البرتغال عام ١٤٩٨ ، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠ ، ومن بافاريا عام ١٥٥١ حتى أن هناك من يقول بأن أمم أوروبا لم تستطع البدء بعصر النهضة والازدهار إلا بعد أن تمكنـت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الاقتصادية اليهودية^(١) .

وعلى أي حال فإن اليهود تمكنـوا من العودة إلى هذه البلدان الأوروبية ، التي طردوا منها خلال فترات متقاربة في القرن التالي ، وعادوا إلى محاولاتهم الأولى في السيطرة على المقدرات السياسية والاقتصادية في أوروبا بمختلف الوسائل وفي مقدمتها المال . واستطاع اليهود إنشاء أمبراطورية للمال في أوروبا على يد عائلة « روتشفيلد » ، التي انطلقت من مدينة فرنكفورت في ألمانيا ، منتصف القرن الثامن عشر ، وذلك بواسطة تاجر يهودي يدعى ماير أمشيل (Meyer Amschel) وزوجته غوتا شنابر (Gutta Schnapper) ، وكانا يعلقان في متجرهما درعاً أحمر للدلالة على أن هذه العائلة تتمتع بالحماية الرسمية في فرنكفورت ، على نحو ما كان معمولاً به في « الغيتو » اليهودي آنذاك ، ويعرف الدرع الأحمر ، باللغة الألمانية ، بعبارة (Rothschild) ، ومن هنا اكتسبت العائلة اسم « روتشفيلد » .

وقد بدأ « أمشيل » نشاطه المالي وهو على مقاعد الدراسة حيث وظفه والده في مهنة الصرافة ، وكان في العاشرة من عمره حينـذ ، كما تلقـى في المدرسة تعاليم الديانة اليهودية . وبعدما

(١) المرجع نفسه ص ٥٨ - ٦٠ .

ترك المدرسة التحق بمصرف «أوبنهايم» ، في «هانوفر» ، حيث بقي ثلاط سنوات يتدرّب على الأعمال المصرفية الربوية . وهناك تعرّف على فريديريك الثاني ، الأمير البروسي^(١) ، الذي كان يمتلك ثروة خيالية فتولى «أشيل» إدارة عملياته المالية المربيّة . وفي سنة ١٧٧٠ عاد «أشيل» إلى فرنكفورت وتزوج «غوتا شنابر» فأنجبا خمسة صبيان وخمس بنات . وبحلول سنة ١٨١٠ كان «أشيل» أحد اليهود العشرة الأكثر ثراء في فرنكفورت^(٢) . وعندما حضرته الوفاة سنة ١٨١٢ دعا جميع أبنائه إلى فرنكفورت فقرأ عليهم التلمود وقال لهم : «تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود ، وأن غير اليهود يجب أن لا يملكون شيئاً»^(٣) . وقد أقسموا أمام أبيهم على أن يعملوا متضامنين ولا ينفرد أحدهم بعمل دون الآخرين . وقسم «أشيل» ميراثه بين العواصم الأوروبيّة بين أبنائه الخمسة : فتولى الابن الأكبر «أنسليم» مكان والده في مصرف فرنكفورت ، وتوجه «سالومون» ، الابن الثاني ، إلى فيينا ، وذهب «ناثان» إلى لندن ، و«كارل» إلى إيطاليا ، و«جيمز» إلى فرنسا^(٤) ، وعملوا بنصيحة أبيهم فكانوا يديرون أكبر أمبراطورية للمال في أوروبا ، ويتدخّلون في السياسة الدوليّة ، ويحرّكون الثورات والفتن والحروب بأساليب خفية تعود عليهم بالأرباح الفاحشة ، وتجعل كبار رجال السياسة الأوروبيّة دمى

The Rise of the house of Rothschild P. 3- 4- 5.

(١)

Ibid. P. 28

(٢)

(٣) سبيريدوفيتش ص ٤٨ - ٥٠ .

Encyclopedia International Book 15 P. 577.

(٤)

تحرّكها قوة المال اليهودي بشكل أو آخر^(١) ، وكمثال على طريقة الروتشيلديين في العمل نورد ما فعله ناثان ، أحد أبناء أمشيل الخمسة ، عندما أيقن أن الهزيمة واقعة بجيشه نابليون بونابرت في معركة «واترلو» . وقبل أن تتبين نتائج المعركة أسرع إلى بلجيكا ، ومن هناك استأجر أحد الملاحين لينقله إلى إنكلترا ، وسط بحر هائج ، حيث حرك عماله في لندن ليشعوا في البورصة أن جيوش «بلوشير» و «ويلينغتون» على وشك الانكسار أمام جيش بونابرت ، فاضطربت السوق المالية في بورصة لندن ، وانهارت أسعار الأسهم والسنادات فسارع عمالء «ناثان» إلى شرائها بأسعار متدنية . وفي اليوم التالي وصلت الأنباء الصحيحة عن انتصار «ويلينغتون» فارتفعت الأسعار بصورة لم يسبق لها مثيل ، وربح ناثان خمسة ملايين جنيه في يوم واحد ، وفي سنة ١٨١٥ كان ناثان قد سيطر على المالية الإنكليزية^(٢) .

ويمثل هذه الأساليب الملتوية استطاع آل روتشفيلد أن يهيمنوا على النشاط الاقتصادي في عواصم أوروبا ويتدخلوا في صنع القرارات السياسية الكبرى التي تصب في مصلحتهم من أجل تحقيق الحلم اليهودي البعيد بالسيطرة على مقدرات البشرية وإخضاعها لحكومة اليهود العالمية . غير أن الدور اليهودي كان دائماً خفياً عن الأنظار إذ كان يتحرك من وراء ستار ، ويتوارى خلف الأحداث ، مستخدماً العمالء والأدوات في تنفيذ مخططات

(١) سبيريدوفيتش ص ٥٨ - ٥٩ وغاي كار ص ٧٦ .

(٢) غاي كار ص ٦٠ - ٦١ .

« الحكماء اليهود » .

ولا يكاد حدث هام في التاريخ الأوروبي الحديث يخلو من آثار لليد اليهودية الخفية ، وكان المال هو المحرك الأكبر في صنع الأحداث . وقد أنشأ المربابون اليهود من أجل ذلك شبكات خفية تعمل في السر ، وأوجدوا ما عُرف باسم « نظام السوق السوداء » ، ومارسوا في هذه السوق كل أنواع التجارات والمبادلات المحرمة ، وفق منهج الشركة الاحتكارية الخفية ، مما أتاح لهم أن يسيطروا على الأسواق في نطاق من السرية يجعل دورهم خافياً عن الأنظار^(١) .

ونستطيع ، بقراءة متبصرة واعية لمجريات التاريخ الأوروبي ، منذ القرن السابع عشر ، والتاريخ الأميركي أيضاً ، أن نتلمس وقائع وقرائن تؤكد دور القوة المالية لليهود في تحريك النشاطات السرية على الساحة الدولية من أجل تحقيق مصالح اليهود في العالم . وسوف نأتي على ذكر التأثير المالي لليهود في كل من : إنكلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية .

أ - في إنكلترا :

من المعروف أن الماسونية الحديثة المعروفة بـ « الرمزية » انطلقت من إنكلترا ، حيث تأسس أول محفل لل MASONIE الحديثة في لندن سنة ١٧١٧م^(٢) ، وفي ذلك مؤشر هام على مدى النفوذ الذي بلغه اليهود في إنكلترا آنذاك ، فكيف تأتى لهم ذلك ؟ إن

(١) المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) جرجي زيدان - تاريخ الماسونية العام ص ٧٦ .

الواقع تشير إلى تأثير قوي لأموال المرابين اليهود كان في أساس قيام هذا التفوذ وتدعيمه ، حيث بدأ المرابون اليهود استخدام أموالهم لترسيخ أقدامهم في إنكلترا مع قيام ثورة أوليفر كرومويل (Oliver Cromwell) ، في أواسط القرن السابع عشر . إذ دفع المرابون اليهود معاونة مالية إلى « كرومويل » مقابل الحصول على إقرار من السلطة الإنكليزية بقبول اليهود كمواطنين في إنكلترا . وقد كان وجود الملك شارل الأول على العرش عقبة تحول دون حصول اليهود على الاعتراف بوجودهم في البلاد ، لذلك فقد كان لهم دور في إعدام الملك شارل الأول ، على يد « كرومويل » ، بعد محاكمة شكلية قام فيها يهودي أجنبي يدعى « إسحق دوريسلاوس » بدور المدعي العام ضد الملك ، بعدما رفض أي قاض إنكليزي أن يتولى هذه المهمة ضد ملك بلاده^(١) . على أن هناك من يلاحظ تأثيراً قوياً لمذهب « كالفن » (Calvin) ، المصلح الديني البروتستانتي ، على مذهب المتشددين البيوريتانز (Puritanism) الذي أرسى دعائمه كرومويل في إنكلترا بالحديد والنار^(٢) . وثمة من يرى أن « كالفن » من أصل يهودي وأن اسمه الحقيقي « كوهين » ، ولما انتقل من سويسرا إلى فرنسا للتبشير بمذهبه غير اسمه إلى « كاوفين » ، وعندما انتقل إلى إنكلترا أصبح اسمه « كالفن »^(٣) . وعلى أي حال فالذي

(١) غاي كار ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) Encyclopedia of Religion and Ethics Vol. 3.P.148. راجع أيضاً - ريجينا الشريف - الصهيونية غير اليهودية - جذورها في التاريخ الغربي - عالم المعرفة (ديسمبر ١٩٨٥) ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣) غاي كار ص ٦٤ .

يهمنا هنا أن « كرومويل » قد تعاطف مع اليهود من جهة وتأثر بمذهب « كالفن » من جهة ثانية^(١) .

وبعد ثورة كرومويل وعوده الملكية إلى إنكلترا ، على عهد الملك تشارلز الثاني (Charles II) سنة ١٦٦٠ م ، كان اليهود قد رسخوا نفوذهم في سوق المضاربات ، وتمكنوا من السيطرة على مقدرات البلاد المالية^(٢) . وكانت الأحداث السياسية ، في عهد هنري الثامن ثم في عهد « كرومويل » ، قد أضفت الخزينة الإنكليزية واستنفذت موارد الطبقة الأرستقراطية ، فاضطررت إلى أن تستنجد بالأثرياء اليهود لتقترض منهم المال اللازم ، فلبى

(١) ولد كالفن سنة ١٥٠٩ م ، في فرنسا ، ودخل « السوربون » وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ثم ذهب إلى أورليان ودرس القانون . وفي عام ١٩٣١ عاد إلى باريس . وصدر قرار حرماني بحق والده بسبب اضطرابات في حسابات الكنيسة التي كان يشرف عليها ، وقد ترك ذلك القرار تأثيراً قوياً ضد الكنيسة في نفس كالفن . ولم يكن كالفن قد أبدى أي تعاطف نحو البروتستانت قبل سنة ١٥٣٣ . وحيث أنه بدأ نشاطه الديني ، فيما بعد ، ضد الكنيسة الكاثوليكية ، فقد اضطر إلى الهرب من باريس إلى ستراسبورغ تحت وطأة الحملة الدينية ضد البروتستانت . ثم انتقل إلى « بازل » بسويسرا حيث استقر نهائياً وعكف على دراسة اللغة العبرية ونشر كتابه « تعاليم الدين المسيحي » في سنة ١٥٣٦ ، وفيه هجوم شديد على الكاثوليكية . ويدعو « كالفن » إلى إقصاء الكنيسة عن الدولة ، وإلى رضوخ المسيحي رضوخاً تاماً للحكومة الزمنية . وتتسم تعاليمه بالشدة والصرامة ، وهما ما تميزت بهما حركة « كرومويل » في إنكلترا . ويعتبر مذهب « كالفن » أصل مذهب البيوريتانيز (Puritans)المتشددين ، الذي أرسى دعائمه « أوليفر كرومويل » في إنكلترا فيما بعد كما أشرنا . (Encyclopedia of Religion and Ethics Vol. 3 P. 148).

(٢) س . ناجي - المفسدون في الأرض - ص ٢٦٧ .

المقرضون اليهود الطلب لقاء فوائد فاحشة . وعندما عجز أكثر المقترضين عن سداد ديونهم اضطر بعضهم للتخلص من ممتلكاته ليهود ، وأرغم بعضهم الآخر على تسوية ديونهم بقبول مصاورة اليهود والاندماج الاجتماعي بهم ، بعد أن كانوا يحتقرونهم ويعزفون عن الاقتران بالبنات اليهوديات ، فكثراً بذلك عدد النساء اللاتي تزوجوا من يهوديات وهكذا دخلت اليهودية أعرق البيوت الإنكليزية وأصبحت الأميرة الناهية فيها وأم أطفالها ، الذين أصبحوا فيما بعد كبار المسؤولين في الدولة^(١) . وهكذا سيطر اليهود على مقدرات هذه الطبقة تحت ضغط النفوذ المالي للיהود . وفي سنة ١٧١٧ بلغ نفوذ اليهود في إنكلترا حدّاً مكّنهم من إنشاء أول محفل ماسوني في لندن وأسندوا رئاسته للعاهر الإنكليزي ليستغلوا نفوذه في تحقيق غياباتهم^(٢) . وفي السنوات اللاحقة أنشئت محافل فرعية في اسكتلندا وإيرلندا ، ومن ثم انتشرت المحافل في أوروبا الغربية وجميع أنحاء العالم^(٣) .

وبعد حكم « كرومويل » حاول ملك إنكلترا ، « جيمس الثاني » (James II) (١٦٣٣ - ١٧٠١) ، إعادة الكاثوليكية إلى إنكلترا فخشى اليهود على نفوذهم وعملوا مع التيار الرافض لعودة الكاثوليكية ، حيث تم استدعاء أمير « أورانج » الهولندي ، الذي تزوج الأميرة ماري ابنة جيمس الثاني ، إلى إنكلترا . فجاء من هولندا إلى لندن على رأس قوة من ١٥ ألف رجل ، وارتقى عرش

(١) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٩ وص ١٤٧ .

(٣)

إنكلترا تحت اسم «وليام الثالث» (William III) (١٦٥٠ - ١٧٠٢) فيما هرب جيمس الثاني إلى فرنسا وبقي هناك ضيفاً على الملك لويس الرابع عشر^(١). وبعد ارتقائه عرش إنكلترا، أقع الملك وليام الثالث، الهولندي الأصل، الخزينة الإنكليزية باستدانة مليون وربع مليون جنيه من الصيارة اليهود، الذين كانت لهم اليد الطولى في إيصاله إلى العرش. وقد وضع هؤلاء الصيارة شروط القرض ومنها أن تبقى أسماؤهم سرية، وأن يحصلوا على ترخيص بتأسيس مصرف إنكلترا. وهذا ما حصل حتى تضخم هذا القرض، على مدى السنتين اللاثقة، لمصلحة المرابيين اليهود حتى بلغ، في سنة ١٩٤٥ ، أكثر من ٢٢ مليار جنيه^(٢) ولاحظ أنه خلال الحقبة ، ما بين إعدام شارل الأول سنة ١٦٤٩ وإنشاء مصرف إنكلترا سنة ١٦٩٤ ، كانت الديون الوطنية الإنكليزية في تصاعد مستمر ، وتورطت إنكلترا في سلسلة حروب دينية ضد فرنسا وهولندا ، كما بدأت الاضطرابات السياسية في المستعمرات الأمريكية فانتشرت البطالة وعمت المجاعة وكان المرابون اليهود هم المستفيدون من ذلك كله^(٣) .

ولم يكن وليام الثالث محظياً من الشعب الإنكليزي . . ومما زاد النقاوة عليه أنه ورط إنكلترا في حروب استنزفت اقتصادها ضد فرنسا^(٤) . وحيث خشي المرابون اليهود من تبرم الشعب

Ibid. Book (9) P. 526- 527.

(١)

(٢) غاي كار ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ .

(٤)

الإنكليزي بتنصيب ملك أجنبي عليهم ، فقد ساهموا في استصدار وثيقة من البرلمان الإنكليزي تنص على أن وليام الثالث وزوجته ماري (ابنة الملك جيمس الثاني) هما حاكمان متّحدان للبلاد^(١) ، وهذا يعني أن شرعية الملك وليام إنما كانت مستمدّة من كونه زوج ابنة ملك إنكلترا ليس إلا . وقد عمل وليام الثالث لمصلحة المرابين اليهود فورّط إنكلترا في الحروب الدينية التي كانت تدور بين الكاثوليك والبروتستانت^(٢) . وينبغي هنا التبصر ملياً في أسلوب المرابين الدوليين ، وتحركهم الخفي السريع ، لضمان نفوذهم المالي عندما أصبحت مصالحهم في خطر من جراء مشروع الملك جيمس الثاني الذي أراد إعادة الكاثوليكية إلى إنكلترا وإنهاء الصراع مع فرنسا ، فجاء تحرك اليهود سريعاً باستدعاء أمير « أورانج » الهولندي وليس له من الشرعية سوى أنه زوج ابنة الملك جيمس الثاني .

وقد تجلّى النفوذ اليهودي في إنكلترا ، خلال العصور اللاحقة ، بشكل واضح ، وحسينا دلالة على ذلك ما قاله الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن أمام المؤتمر الصهيوني العشرين في زوريغ صيف ١٩٣٧ ، حيث اعترف بأن إنكلترا هي الدولة الوحيدة التي قامت بمحاولة جادة لحل المسألة اليهودية^(٣) . وإظهار مدى المكانة التي بلغها اليهود في بريطانيا ، حسينا أن

Ibid. P. 375.

(١)

(٢) غاي كار من . ٧٠

(٣) الفكرة الصهيونية - النصوص الأساسية - خطاب وايزمن أمام المؤتمر الصهيوني العشرين في زوريغ ، ٤ آب (أغسطس) ١٩٣٧ - .

نذكر كيف استطاع اليهودي الإيطالي الأصل «بنجامين دزرائيلي» (Disraeli) (١٨٠٤ - ١٨٨١)، بخبطيط من «حكماء اليهود» (١)، أن يصل إلى منصب رئيس وزراء بريطانيا . فقد جرى إعداده لهذا الدور منذ كان صبياً ، إذ جرى تعميده بإيعاز من «الحكماء اليهود» في سنة ١٨١٨ ، وكان في الثانية عشرة من عمره عندما أصبح «مسيحيًا» ، ولو لم يتم هذا التعميد المسيحي لما كان بإمكان دزرائيلي اليهودي أن يصبح رئيساً لوزراء «صاحبة الجلالة» (٢). وعلى أي حال فقد سجل اسمه في قيود الكنيسة ولكنه «لم يصر مسيحيًا .. كأنه ، على الرغم من مياه التعميد ، لا تزال فيه بذرة الكفر» (٣). وكان ولاؤه لصاحبة الجلالة موضوع شك لدى الكثيرين بالرغم من تملقه الملكة فكتوريا ومداهنته لها إلى حد أنها كانت تبدي إعجابها الشديد به (٤). ولعل معاصره السياسي البريطاني (و. غلاستون) قد عبر عن اهتمامات دزرائيلي الحقيقة عندما قال : «إن هناك شيئين يكترث لهما اللورد بيكونسفيلد (٥) ولا شيء غيرهما : زوجته وجنسه» (٦).

وبالرغم من مسيحيته ، فقد أظهر سلوك دزرائيلي السياسي ومؤلفاته ، ولا سيما كتابه عن اليهود (Tancred) ، أنه لم يقطع

(١) سبيريدوفيتش ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩.

(٣) أندريله سوروا - حياة دزرائيلي - نقله إلى العربية حسن محمود ص ١٦ - ١٧ - ١٨.

(٤) سبيريدوفيتش ص ٢٠١ - ٢٠٠.

(٥) لورد بيكونسفيلد هو لقب دزرائيلي أنمطت به عليه الملكة فيكتوريا .

(٦) المرجع السابق ص ٢٠١.

صلته بمعتقدات أجداده اليهود . والجدير بالذكر أن دزرائيلي شارك في صنع القرار الذي أدى إلى استيلاء بريطانيا على أسهم مصر في قناة السويس سنة ١٨٧٥ لقاء أربعة ملايين جنيه استرليني ^(١) . وكان الخديوي إسماعيل قد وعد جماعة من الفرنسيين ببيع الأسهم المصرية في القناة لقاء اثنين وتسعين مليون فرنك فرنسي ، وقد علم دزرائيلي ، من ممثل بريطانيا في مصر ، أن الخديوي يرغب في بيع الأسهم إلى بريطانيا ولكنه في حاجة إلى المال في الحال . وكان البرلمان الإنكليزي في غير دور الانعقاد لإبرام الصفقة ، فما كان من دزرائيلي إلا أن سارع إلى شراء الأسهم وكتب إلى الملكة يقول : « ليس لدينا الوقت للتنفس ، لكن يجب القيام بهذا العمل » ^(٢) . وبفضل اتصالات دزرائيلي بالمرابين اليهود تنازلت المصارف الفرنسية عن حقها في شراء الأسهم ، ولم يبق سوى تدبير مبلغ أربعة ملايين جنيه فتكفل روتشيلد (Rothschild) بتقديمها إلى الحكومة البريطانية ^(٣) .

(١) بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ج٤ ص ٥٧ . راجع أيضاً موروا - حياة دزرائيلي - ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

[في كتابه «حياة دزرائيلي» يسجل الأديب الفرنسي أندريه موروا وقائع تؤكد الميل إلى العمل السري في شخصية دزرائيلي ؛ ومنها أن دزرائيلي ظل يأخذ دروساً في الملاكمه سراً لمدة ثلاثة سنوات لكي يضرب زميلاً له في المدرسة كان يسخر منه (ص ١٩) . وكان في مرحلة دراسته شغوفاً بقراءة تاريخ الدسائس في «فينيسيا» ، ويسرّ لكل ما عليه مسحة من الأسرار ، وكان دائم البحث في التفصيات الجديدة عن الجمعيات السرية (ص ٢١) . وعندما عمل في الصحافة انتفع بوسائل الجمعيات السرية ، فاستخدم اصطلاحات سرية في =

وقد غدا مركز اليهود في بريطانيا ، خلال القرن التاسع عشر ، بفعل النفوذ المالي لليهود ، بالغ الأهمية ، وصارت لندن المركز الأول للحركة اليهودية العالمية نظراً لثراء اليهود وقدرتهم على التأثير في بلد كان يعتبر مركز أمبراطورية عظمى آنذاك^(١) .

ولم يكتف اليهود بهذا النفوذ لحكومتهم المالية في إنكلترا ، بل إن أهدافهم البعيدة تعدّت هذا الحد في القرن التالي وأصبحت الحركة الصهيونية هي التي تقود الأطماع التاريخية في أرض فلسطين . وعندما تولت بريطانيا سلطة الانتداب على فلسطين ، بعد الحرب العالمية الأولى ، أصبح ليهود إنكلترا دور هام جداً في الحركة الصهيونية ، خلال الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت الحركة الصهيونية ، التي أسست « دولة إسرائيل » ، تتحذى من إنكلترا منطلقاً لنشاطاتها^(٢) .

ومن مظاهر تأثير الأموال اليهودية في إنكلترا أن أمير الغال (Prince de Galles)^(٣) كان يفترض الأموال من أثرياء اليهود مقابل الوعد بتحقيق المصالح اليهودية عندما يتسلّي العرش . وعندما أصبح ملكاً لإنكلترا سنة ١٩٠١ تحت إسم إدوارد السادس (Edward VI) ، اضطر لأن يفي بوعده ومنح أكثر دائنيه الألقاب (ward VII

= الكتابة (ص ٢٧) . وكتب أحد أصدقاء ذرائيلي عنه أنه « جدير بكل ثقة لأن الكتمان من صفاته » . وقد تزوج ذرائيلي من أرملة إنكليزية ثرية من النساء في وقت كان مثقالاً بالديون ويلاحقه الدائون . وهناك من يعتبر هذا الزواج وسيلة لوفاء ديونه وتعزيز طموحه السياسي (ص ١٠١ - ١٠٣) [١] .

(١) Lloyd P. Gartner- the Jewish Immigrant in England (1870- 1914) P. 281.

(٢) Ibid. P. 281.

(٣) Prince of Wales هو أمير « ويلز »

الضخمة ، مثل اليهودي « ليفي لوسون » (Levy Lawson) ، الذي منح لقب « لورد » وأصبح يُعرف باسم اللورد « بورنهام » (Burenham) ، كما منح اليهودي « أرنست كاسل » (Ernest Gassel) لقب « بارون » ، وزوج ابنته هذا الأخير لأحد البلاط الإنجليز ، وعين « كاسل » أميناً لشؤون البلاط المالية^(١) .

وفي عهد الملك جورج الخامس ، الذي حكم إنكلترا من سنة ١٩١٠ إلى ١٩٣٦ ، بلغ نفوذ اليهود في إنكلترا ذروته ، وأصبح مجلس العرش البريطاني يضم تسعة أعضاء يهود من أصل اثني عشر عضواً . كما أن المجلس الاستشاري الأعلى كان يضم عدداً كبيراً من اليهود ويرأسه اليهودي « موريس هانكى » (Morris Hanky) ، وفي مجلس اللوردات كان لليهود أحد عشر لورداً^(٢) . وهكذا استمر النفوذ اليهودي على أشده في السياسة البريطانية ، خلال القرن العشرين ، حتى أن المرشحين الوحيدين لرئاسة بلدية لندن عام ١٩٤٢ كانوا من اليهود ، وهما « ضموميل جوزف » (Samuel Joseph) و « فرنك بوليتزر » (Frank Politzir) ، وكذلك فرض اليهود على رئيس وزراء بريطانيا السير ونستون تشرشل سنة ١٩٥١ تعين اليهودي « شارفيل » (Charwelles) وزيراً لشؤون الطاقة الذرية رغم المعارضة التي واجهها بسبب هذا التعيين^(٣) .

والمهم في الأمر أن أصل النفوذ اليهودي في بريطانيا إنما نشا

(١) المفسدون في الأرض ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٠ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

بفعل الأموال اليهودية ، وتحت ضغط الديون التي أغرق بها المرابون اليهود النساء الإنكليز قبل قرنين من الزمان كما ذكرنا .

بعد هذا العرض السريع لبعض جوانب التأثير اليهودي ، في السياسة البريطانية ، يسهل علينا أن نفهم سلوك الحكومة البريطانية تجاه العرب والمسلمين في فلسطين ، والدافع التي أدت إلى إعلان « وعد بلفور » تحت سمع وبصر الانتداب البريطاني .

ب - في فرنسا :

بعد مضي حوالي أربع سنوات على تأسيس المحفل الماسوني البريطاني الأكبر ، في إنكلترا ، أنشأ اليهود ، سنة ١٧٢١ في فرنسا ، محفل « الأخوات التسع » الذي أنشأ محافل فرعية في مختلف أنحاء فرنسا . وخلال المدة ما بين سنة ١٧٢١ ونشوب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ شارك اليهود في تأليب الرأي العام الفرنسي على الملكية تحت شعار « حرية - إخاء - مساواة »^(١) وهو الشعار نفسه الذي تجاهر به الماسونية^(٢) .

ومثلما مول المرابون اليهود ثورة « كرومويل » الدامية في إنكلترا ، واستخدموها لتنفيذ أغراضهم ، كذلك كان لهم دور خفي في تمويل الثورة الفرنسية واستغلالها واصطدام رجالها .

بدأ نشاط العمالء السريين لليهود ، هذه المرة ، بالتقرب من

(١) المفسدون في الأرض ص ١٤٧ - ١٥٠ .

(٢) الأب لويس شيخو - أسرار الماسونية (السر المقصون في شيعة الفرمون) ص ٢٥ . راجع أيضاً محمد علي الزعبي - حقيقة الماسونية - ص ٦٥ .

المركيز « ميرابو » (Mirabeau) (١٧٤٩ - ١٧٩١) ، الذي كان يتميّز إلى طبقة البلاط ، وينتسب بنفوذ كبير في أوساط البلاط الملكي . وحيث إن حياته الخاصة مليئة بالفواحش فقد وقع تحت ديون كبيرة مما أتاح للعملاء اليهود أن يعرضوا عليه المساعدات المالية ، ثم حولوا ديونه إلى الممول اليهودي « موسى مندلسون » الذي عرّفه إلى حسناء يهودية^(١) ، وانتهى الأمر بـ « ميرابو » إلى أن أصبح خاصّاً لدائنه اليهودي من جهة ، ولسحر معشوقته اليهودية من جهة ثانية . ومن خلال « ميرابو » توصلت جماعة المرابين اليهود إلى السيطرة على الدوق « دوروليان »^(٢) وإدارة ممتلكاته ، وتحويلها إلى أدوات لتدبير الثورة الفرنسية بحجّة الإصلاح ، ووعدهو بأن يرتقي العرش بعد خلع الملك لويس السادس عشر^(٣) . وبواسطة الدوق « دوروليان » تمكّن حكماء الشرق الأكبر للماسونية اليهودية من دمج الماسونية الوطنية الفرنسية ، التي كانت تعرف باسم « الماسونية الزرقاء » ، بمحافل الشرق الأكبر . وبعد ذلك جرى تأليف لجان ثورية سرية داخل المحافل الماسونية الفرنسية^(٤) ، وهذه اللجان السرية هي التي قادت ، فيما بعد ، المجازر الجماعية أثناء نشوب الثورة الفرنسية مستخدمة أدوات أخرى مثل « روبسيبيير » و « دانتون »^(٥) .

(١) غاي كار ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) ابن عم ملك فرنسا لويس السادس عشر وقد أدخلوه في الحركة الماسونية الفرنسية آنذاك .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

(٥) المرجع نفسه ص ٩٢ .

وتحت شعار الثورة الفرنسية (حرية - إخاء - مساواة) تمكّن اليهود ، بواسطة عملائهم الماسون الفرنسيين ، داخل الجمعية الوطنية الفرنسية ، من إقرار قانون يمنح اليهود جميع الحقوق الممنوعة للفرنسيين^(١) ، وهذا ما وفر لليهود حرية التحرك فاستغلوا نسمة الشعب الفرنسي على الملك والإكليروس وشرعوا في الاستيلاء على كنوز وتحف القصور الملكية والكنائس^(٢) ، ثم حرضوا المجلس الوطني للثورة لإصدار قوانين اقتصادية ومالية جديدة تناسب مصالحهم . وهكذا تمكّنا من امتلاك أطيان النبلاء المغضوب عليهم بأبخس الأثمان ، وأصبحوا ، بعد فترة وجيزة من قيام الثورة ، أغنى أهل البلاد بعد أن كانوا لا يملكون شبراً واحداً من الأرض^(٣) . وقد أدرك نابليون بونابرت بعد استلامه السلطة أن الملكيات اليهودية المكتسبة تمت بشكل غير مشروع ، فقال في خطاب ألقاه أمام مجلس وزراء حكومته في ٣٠ نيسان (أبريل) سنة ١٨٠٦ : « إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقير (أي اليهود) في بلادنا هو وضع دولة ضمن دولة يعمل ما يرغب ويشاء ، ولذلك أرى أن تسارع الدولة إلى تجريده من ملكية هذه المقاطعات الغالية ، ومنع مرابيبه من تعاطي مهنة ارتهان الأراضي ، هذه المهنة الرهيبة التي مكنته من الاستيلاء على أكثر الأماكن الفرنسية .. أيها السادة ، إن هناك قرى عديدة أخلت من سكانها وسلمتها القضاء إلى اليهود مقابل دريهمات قليلة كان أصحابها قد استدانوها منهم بفوائد خيالية ، ولما عجزوا عن

(١) المفسدون في الأرض ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٥ - ١٥٦ .

سادها ، في الوقت المحدد ، قاضاهم اليهود وسلخوا عنهم أملاكمهم ومن ثم طردوهم من أرض آبائهم وأجدادهم ^(١) .

ولكن الأوضاع السياسية لم تتمكن نابليون من اتخاذ إجراء حاسم بحق اليهود ، إذ أن حاجته الملحة إلى المال لتمويل حملاته العسكرية في أوروبا أرغمناه على التراجع عن موقفه من اليهود فاضطر إلى مهادنتهم لقاء مده بالأموال . ولكن اليهود لم ينسوا عداهم له فصمموا على إزاحتة عن السلطة ، وعملوا لذلك سراً تحت ستار المحافل الماسونية المنتشرة في فرنسا وأوروبا ، ثم قطعوا المعونات المالية عن جيشه ، وباعوا الأسرار العسكرية ، التي حصلوا عليها من قواده الماسون ، إلى أعدائهم الأوروبيين ، رغم أن اليهود كانوا يتظاهرون بالولاء له ^(٢) .

ويلاحظ المليونير الأميركي « هنري فورد » في كتابه « اليهودي العالمي » أن العصبة التي تألفت لمحاربة نابليون كانت يهودية ، وقد اتخذت لها مركزاً في هولندا ، وعندما غزا نابليون هذه البلاد انتقل المركز إلى « فرنكفورت » في ألمانيا ^(٣) .

ومثلكما استغل اليهود إفلاس الخزينة البريطانية ، كما ذكرنا من قبل في هذا الفصل ، فإنهم استغلوا الضائقة الاقتصادية في فرنسا الناتجة عن حروب نابليون في أوروبا ، حيث أفلس أكثر أغنياء فرنسا وبنلائها ، فبادر اليهود إلى تزويع بناتهم من أبناء أعرق العائلات الفرنسية . وبهذه الطريقة هُوَ اليهود الكثير من

(١) المرجع السابق ص ١٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٣) - فورد - اليهودي العالمي - ص ٢٢٩

العائلات الفرنسية العريقة^(١) . ويقول الكاتب الفرنسي « أوغست شيراك » : إن اليهودي « ناثان ماير روتشيلد » كان من أقدر رجال المال في أوروبا ، وكان يراقب وضع نابليون السياسي ساعة فساعة . . . ولما شعر بدنو انهيار الأمبراطورية سارع إلى شراء كل أنواع السنادات التي كان مقرراً لها أن ترتفع بمجرد سقوط نابليون . ولما وقع ما تنبأ به ربح من هذه السنادات ، في غضون أربع وعشرين ساعة ، ما يزيد على ثلاثة وخمسين مليون فرنك من الذهب ، كما هيأ لإخوته فرصة ربح مماثلة في ظرف أسبوع واحد فقط^(٢) . وقد أدت سياسة نابليون العسكرية إلى إغراق الخزينة الفرنسية بالديون لمصلحة أثرياء اليهود . ولما زال حكمه كان في فرنسا ألف من اليهود الذين يملكون الملايين أمثال « روتشيلد » و « بلايشرودر » (Bleichrader) ، و « س. آمار » (S.Amar) ، و « كوهن » (Kohen) ، و « دريفوس » (Dreyfus) و « باروخ » (Baruch) ، و « ستيرن » (Stern) ، و « لازار » (Lazard) ، و « زاخاروف » (Zaharoff) ، و « سليكمان » (Sleigman) ، و « فاربورغ » (Warburg) . . وهؤلاء الذين أطلق عليهم العالم ، فيما بعد ، اسم « ملوك الذهب »^(٣) . ولم يتوقف التأثير اليهودي في الشؤون الفرنسية منذ ذلك الوقت ، ويكفي للدلالة عليه أن هناك من يثير الشكوك حول نسب نابليون الثالث ويعتبره ربيب آل روتشيلد^(٤) .

(١) المفسدون في الأرض ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٨٣ .

(٤) سبيريدوفيتش ص ١٠٨ - ١١١ .

ومن الملاحظ أن المال اليهودي العالمي يركز اهتمامه على الشورات والحروب لتحقيق أرباح ضخمة تصب في جيوب اليهود^(١). يقول العالم البريطاني « السير فرنسيس غالتون » Sir Francis Galton : إن اختصاص اليهود هو تحقيق وجودهم الطفيلي على حساب الشعوب الأخرى^(٢) ، وهناك دلائل على أن الماليين اليهود كانوا وراء استمرار التورط الفرنسي في الهند الصينية بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث تحالفت الرأسمالية اليهودية مع بعض السياسيين الفرنسيين من صنائعها أمثال « رامادييه » (Ramadiée) ، واليهودي « جول موك » (Jules Moch) ، و « ماير » (Mayer) ، و « بيدو » (Bidault) ، و « موتز » (Mutter) فأطالوا أمد الحرب حتى فرغوا من سحب آخر « قرش سايغوني » (Piastre Saigonaise) وتهريبه باعتباره من النقد النادر المكافول من قبل المصادر اليهودية^(٣) .

ويقول الكاتب الفرنسي « توسميل » (Toussenel) : « إن في فرنسا مصرفًا أطلق عليه اسم مصرف فرنسا المركزي ، وهو مخول بচك النقد وإصدار أوراق النقد والسنادات المالية باسم فرنسا ، كما منح حق استثمار كافة الأعمال المصرفية من تداول النقد النادر وسواء ، مع العلم أن الدولة الفرنسية والشعب الفرنسي ، أو أي فرد من أبناء هذا الشعب الذي يعمل المصرف باسمه ، لا يملك فيه شيئاً ولا يستفيد منه بنساً واحداً ، فهو وما يجنيه من

(١) فورد - اليهودي العالمي - ص ٢٢٩ .

Rafael Patai - Journey into the Jewish mind P. 456.

(٢)

(٣) المفسدون في الأرض ص ١٨٣ - ١٨٤ .

الأموال الكثيرة ملك خاص لأثرياء اليهود . وكلما تكدرست فيه الأموال يسارع أصحابه إلى تحويلها إلى «نيويورك» أو «أوتاوا» فتقع البلاد في البللة المالية ، ويسيطر الجزء على الأوساط الحكومية ، فيقوم صنائع اليهود من حكام فرنسا إلى تدارك الأمر بفرض ضرائب جديدة لتغطية العجز المالي الحاصل بسبب تلاعب اليهود بمقدراتنا المالية ، فيدفع الشعب المسكين صاغراً الضرائب الجديدة من عرق جبينه وكذا يمينه ، عندها يعود اليهود من جديد إلى أساليبهم القدرة لسلب الأموال الفرنسية مرة أخرى «^(١) .

وتشير إحصاءات ، أجريت في النصف الثاني من القرن العشرين ، إلى أن اليهود يملكون في فرنسا ما يعادل (٪٩٢) من صناعة المعادن الثقيلة ، و (٪٩٠) من تجارة التحف الأثرية ، و (٪٩٨) من أموال سوق المضاربات (البورصة) ، و (٪٧٩) من أموال المصارف ، و (٪٧٥) من مؤسسات الترانزيت والوساطة ، و (٪٥٥) من المرافق التجارية المختلفة و (٪٥٠) من الصناعات الثقيلة^(٢) .

ومن جراء هذا النفوذ الاقتصادي استطاع اليهود أن يوطّدوا نفوذهم السياسي في فرنسا ، ويتولوا مراكز قيادية مرموقة ، لا سيما على الصعيد الاقتصادي داخل الحكومة الفرنسية . وعلى

(١) المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٥ وراجع أيضاً : Patai P. 465.

(٢) المرجع نفسه ص ١٩١ ؛ المفسدون في الأرض .

سبيل المثال عين اليهودي «فلوران فابيوس»^(١) في حكومة «بيار موروا» بتاريخ حزيران ١٩٨١ بمنصب مساعد وزير الاقتصاد والمالية ، وكلف بوضع ميزانية الدولة الفرنسية . ثم أصبح «فابيوس» فيما بعد رئيساً لوزراء فرنسا^(٢) . وتولى يهود آخرون مراكز مرموقة في الوزارة نفسها فعين «بيار دراييفوس» وزيراً للصناعة ، و «روبير بادنتر» وزيراً للعدل ، و «جاك لانغ» وزيراً للثقافة ، و «جاك أتالي» مستشاراً خاصاً لرئيس الجمهورية وقد عرف جاك هذا في أوساط الصحافة الفرنسية بأنه العقل المفكر للرئيس فنسوا ميتران^(٣) .

ج - في روسيا :

إن وجود اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية ، منذ القرون الوسطى ، يعود منشأه إلى دولة الخزر اليهودية التي قامت في منتصف القرن التاسع على يد أحد أمراء الخزر المهددين بولون (Boulon) ، وامتدت ما بين نهري «الفولغا» و «الدنبيبر» على

(١) كان يدير مكتب فابيوس المذكور يهودي آخر هو «سيرج واينبرغ» مع العلم أن والد هذا الأخير معروف بنشاطه الصهيوني في فرنسا ويدعى سالومون واينبرغ .

(٢) راجع الصحف الصادرة في ذلك التاريخ .

(٣) المرجع السابق .

[أقام «اللوبي» الصهيوني علاقات وثيقة ببعض القوى السياسية الفرنسية وأهمها الحزب الاشتراكي الفرنسي ، الذي يعبر عن عدائه للعرب والمسلمين كلما تسلم السلطة على نحو ما جرى في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ بإيعاز من الضغوط الصهيونية ، وكان الحزب الاشتراكي في السلطة آنذاك ممثلاً بالثلاثي غي موليه - ميتران - دوفير . وحتى بعد وصول الجنرال ديغول إلى السلطة استمر التعاطف الفرنسي مع إسرائيل ، واعتبر ديغول إنشاء وطن قومي لليهود «تعويضاً لكثير من الآلام التي قاسوها عبر التاريخ» . (مذكرات الأمل - للجنرال ديغول ص ٢٩٢) .

سواحل بحرى الخزر (قزوين) والأسود^(١) . وخلال هذه الحقبة بلغت مملكة الخزر من القوة ما جعلها تفرض ضريبة مرور ، قدرها عشرة بالمائة ، على القوافل التجارية القادمة من روسيا باتجاه الجنوب حتى بغداد^(٢) . ولكن بعد أن قضى الأمير الروسي «أندريه» على دولة الخزر ، في القرن الحادى عشر ، تحول اليهود إلى التجارة والعمل خفية للثأر من الروس ، وقد أغروا القائد المغولي جنكيز خان بالأراضي الروسية الغنية فغزاها عام ١٢٣٦ . وبعد زوال الاحتلال المغولي توحدت الإمارات الروسية ، وقامت الفيصرية عام ١٦١٣ تحت زعامة ميشيل رومانوف^(٣) ، ومنذ ذلك الحين لم يكُف اليهود عن السعي لاسترجاع دولتهم المفقودة ، أو إقامة كيان خاص بهم ، دون أن يوفقا إلى ذلك حتى ظهور الحركة الصهيونية واستيلائها على

= وفي أيار ١٩٨١ تسلم الاشتراكيون السلطة في فرنسا بزعامة فرنسا ميتران ، وقبل أن تمر سنة على وجوده في السلطة قام ميتران بزيارة الشهير إلى «إسرائيل» ، في آذار ١٩٨٢ ، وهي أول زيارة لرئيس فرنسي إلى الدولة الصهيونية ، وذلك تكريساً للعلاقات التاريخية المتينة بين الاشتراكيين الفرنسيين والحركة الصهيونية . وفي حديث إذاعي ، بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٨٢ ، إلى راديو الجالية اليهودية في باريس قال «أبا ابيان» ، أحد أبرز أعضاء حزب العمل الاشتراكي الإسرائيلي : «إن فرنسا ميتران صديق حميم ومخلص لإسرائيل» . وفي أيار ١٩٨٧ ترأس ميتران الاجتماع العام للمجالس الماسونية في فرنسا ، وهذا ما أكدته متحدث باسم وفد المجلس الماسوني اللبناني بعد لقاء مع الرئيس أمين الجميل في قصر بعبدا بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٧ (راجع الصحف اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٧) [١] .

(١) المفسدون في الأرض ص ٢٢٣ .

Bernard Pare- A History of Russia, P. 42.

(٢)

(٣) المفسدون في الأرض ص ٢٢٦ و ٢٢٧ .

أرض فلسطين . وكان اليهود الروس قد تمركزوا منذ القرون الوسطى في المقاطعات الروسية الواقعة شرقي بولندا^(١) ، وخلال القرن الثالث عشر اكتسب الوجود اليهودي في هذه المقاطعات أهمية بالغة نظراً لهيمتهم على النشاطات الاقتصادية ، حيث انحصرت في أيديهم الشؤون المالية وعمليات الإقراض بالربا الفاحش^(٢) . وقد تمتع اليهود بحرية كبيرة ، خلال هذا القرن ، ومنحتهم التدابير ، التي صدرت سنة ١٢٦٤ في المقاطعات البولندية ، حرية المعتقد الديني وعقد الاجتماعات الدينية (Synagoques) ، وحرية التقاضي أمام محاكم خاصة باليهود ، وحرية إنشاء مقابر خاصة بهم^(٣) . ولكن لم يستمر الوضع على هذه الحال طويلاً ، إذ يبدو أن الوسائل اليهودية في إدارة الأموال أدت إلى شعور بالنقطة بين مواطنיהם المسيحيين ، فصدرت في بولندا ، سنة ١٣٤٧ أيام كازيمير الكبير (Kazimir The Great) ، أنظمة اقتصادية جديدة تحظر على اليهود تقاضي نسب عالية من الربا لقاء القروض التي كانوا يقدمونها للمواطنين^(٤) . وبالرغم من الحرية النسبية التي تمت بها اليهود ، في المقاطعات الروسية الغربية الجنوبية ، إلا أن ممارساتهم الاقتصادية عرضتهم للنقطة التي كانت تعبر عن نفسها بشكل موجات جماهيرية غاضبة تثور بين حين آخر فتدمر ممتلكات اليهود وتعتدي عليهم ، وهي الموجات التي عرفت في روسيا باسم « البوغروم » (Pogroms) .

Seton Watson- The Decline of Imperial Russia. P.33

(١)

Bernard Pare- P.88.

(٢)

Ibid. P.89. (٤)

Ibid. P.88. (٣)

وبعد حملة نابليون بونابرت على روسيا سنة ١٨١٢ أعاد القيسار ألكسندر الأول تنظيم بلاده ، فألغى بعض التدابير المجنحة بحق اليهود علىأمل دمجهم في المجتمع الروسي . وفي هذه السنة ضم الروس مقاطعة «بصربيا» الشمالية (Bessarabia) إلى أراضيهم ، فانتشر اليهود هناك بأعداد كبيرة . وعلى امتداد الأراضي الواقعة بين بحر البلطيق والبحر الأسود انتشر اليهود في المدن فكانوا تجارة وأصحاب متاجر وحرفيين ، وكان البعض منهم أثرياء ولكن معظمهم كان في فاقة^(١) . وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر تغلغل اليهود بسرعة في الاقتصاد الروسي مستفيدين من القوانين التنظيمية التي أصدرها القيسار ألكسندر الأول ، ولكن ذلك لم يرق خلفه القيسار نيكولا الأول ، الذي اعتلى العرش سنة ١٨٢٥ ، لخشته من عواقب السيطرة اليهودية على الاقتصاد الروسي ، وردود الفعل الغاضبة من المسيحيين حيال ذلك ، فأصدر قوانين من شأنها المساعدة على دمج اليهود في المجتمع الروسي ، مثل إجبار اليهود على إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية ، وسمح لهم بحرية الانتقال والسكن ، وتولى المناصب الحكومية^(٢) ، ولكن النتيجة جاءت عكس المتوقع فقد أدت هذه التدابير إلى زيادة النفوذ اليهودي في الحياة الروسية دون أن تؤدي إلى دمج اليهود بالمجتمع الروسي ، وتطبيع علاقاتهم الاقتصادية بالمسيحيين^(٣) . وبالرغم من ذلك فقد تمعن اليهود ، في

(١) Watson P.P.33-34.

(٢) غاي كار ص ١٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٠ .

السنوات اللاحقة ، بأوضاع مريحة نسبياً ، فسمح في سنة ١٨٥٩ للتجار اليهود بأن يتاجروا في جميع أنحاء الأمبراطورية الروسية ، وفي عام ١٨٦١ فتحت مدينة «كيف» أمام التجار اليهود ثم ألغيت عنهم القيود السابقة^(١) .

وبسبب من أساليب اليهود في النشاطات المالية غير المشروعة فقد شهد الرابع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين سلسلة من أعمال التنكيل الشعبية الغاضبة (Pogroms) ضد اليهود في المدن الروسية^(٢) .

وعلى أثر الموجات الشعبية الغاضبة ضد المرابن اليهود ، في شهر نيسان وأيار من سنة ١٨٨١ ، تألفت في آب ، من السنة نفسها ، لجان للتحقيق وتحديد السبل الكفيلة بحماية السكان المسيحيين من النشاطات المالية والاقتصادية التي يقوم بها اليهود ، وعلى أثر ذلك صدرت قوانين تحذر من حرية اليهود التجارية ، ومنعوا من الإقامة خارج المدن والتجمعات السكنية

Watson P.34. (١)

(٢) في نيسان وأيار من سنة ١٨٨١ تعرض اليهود لسلسلة أعمال عنف على يد الجماهير الروسية الغاضبة في مدن «إليزافتراد» و«كيف» و«أوديسا» فأعتدى عليهم بالضرب ودمروا ممتلكاتهم . وفي سنة ١٩٠٣ نشب أعمال تنكيل أخرى بلغت ذروتها في مدينة كيшинيف (Kishinev) وهومل (Homel) . وفي حزيران ١٩٠٥ قُتل خمسون يهودياً وسقط عدد أكبر من الجرحى بأعمال مماثلة في مدينة «باليستوك» (Bialystok) . وفي العام التالي ١٩٠٦ قُتل ثمانية يهود في المدينة نفسها . وفي تشرين الأول ١٩٠٥ شهدت مدينة «أوديسا» أسوأ موجة أعمال التنكيل ضد اليهود حيث قُتل أكثر من ٣٠٠ يهودي . وكانت الفترة الأولى من حكم الكسندر الثالث قد شهدت عمليات نهب حوالي ألف منزل =

الكبيرة^(١) . ومن التدابير التي فُرضت عليهم منعهم من التجارة يوم الأحد^(٢) . وتنفيذ الواقع أن اليهود استخدمو المال للتهرب من القيود الاقتصادية التي فرضت عليهم ، ومنها تقديم الرشاوى إلى رجال البوليس للحصول على الرخصات الازمة^(٣) . غير أن أوضاع اليهود تحسّنت ، إلى حد كبير ، بعد إصلاحات سنة ١٩٥٥ ، حيث أعطيت لهم حرية ملحوظة^(٤) ، ولكن لم تثبت في العام نفسه أن انفجرت مشاعر الغضب الشعبي ضد اليهود في مدينة «كيف» ، فطردت منها ١٢٠٠ عائلة يهودية^(٥) للأسباب الاقتصادية إليها . لقد كان عدد اليهود الروس يمثل ٤٪ بالمائة من عدد السكان ومع ذلك فقد بلغ ثراوهم حداً كان يهدد الاقتصاد القومي بالكوارث نظراً للوسائل المتواترة التي يستخدمونها لمضاعفة ثرواتهم .

على أن ثمة جانباً آخر من جوانب النشاط اليهودي في روسيا ، إذ كان لليهود الروس اتصالات باليهود الآخرين المنتشرين في أوروبا وأميركا . فعلى سبيل المثال فرض أصحاب المصارف العالميين ، برأياعز من روتشيلد ، في أواخر القرن التاسع عشر ، عقوبات اقتصادية على الأمبراطورية الروسية ، وفرضوا حظراً على التجارة معها وأوصلوها إلى الإفلاس

لليهود في «بالتا» (Balta) ، فضلاً عن قتل ثمانية وجرح مائتين من اليهود .

.(Rاجع Watson P.P. 244-158 و Pare P. 467 ..)

Ibid. P.159. (١)

Ibid. P.468. (٢)

Pare P.467. (٣)

Ibid. P.309. (٥)

Watson P.309. (٤)

تقريباً^(١) ، وكان ذلك تضامناً من يهود الخارج مع اليهود الروس ، واحتجاجاً على القوانين الصادرة في أيار سنة ١٨٨٢ ، للحد من سيطرة اليهود على الاقتصاد الروسي . وفي العام ١٩٠٤ نكثت مؤسسة « روتشيلد » بوعودها ورفضت إمداد روسيا بالقروض المالية في حربها ضد اليابان ، بينما قامت شركة « كوهن - لوب » بإمداد اليابان بكل القروض التي طلبتها^(٢) . وتبيني الإشارة هنا إلى أن أوضاع اليهود في روسيا قد تعززت على أثر مؤتمر « بازل » الصهيوني سنة ١٨٩٧ بفضل المساعدات التي تلقوها من يهود الغرب ، وقررت الحركة الصهيونية تفويض أحد أعضائها ، « يعقوب شيف » (Jacob Schiffe) ، في الشؤون الروسية ، كما عينت البارون « هيرش » (Hirsch) معتمدًا مالياً للشأن الروسي^(٣) ، وقد رصد هذا الأخير مبلغ ٢٧٥ مليون فرنك ذهبًا لتمويل الثورة في روسيا^(٤) . وقام « شيف » من جهته بتمويل الحركات الإرهابية الثورية في روسيا منذ سنة ١٨٩٧^(٥) . وهناك من يرى أن أصحاب المصادر العالميين هم الذين أثاروا الحرب الروسية - اليابانية سنة ١٩٠٥ بهدف إيجاد مناخ مناسب لقيام حركة ثورية تطيح بالحكم القيصري في روسيا^(٦) .

(١) غاي كار ص ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٣) يعتبر « هيرش » الممول رقم واحد للمستعمرات اليهودية في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

(٤) المفسدون في الأرض . ص ٢٣٦ .

(٥) غاي كار ص ١٥٦ .

(٦) المرجع السابق ص ١٥٧ .

وقد أفصح « شيف » ، بعد نجاح الثورة السوفياتية ، عن دور اليهود في دعم الثورة ضد القبصيرية ، فنشر على صفحات الجرائد أنه وزملاءه الأثرياء اليهود وقفوا جمِيعاً مع الثورة السوفياتية ، وقدموا لها المال وما تحتاجه من الدعم لتنجح^(١) . أما المليونير اليهودي « بروفوس هلفاند » (Pervus Helphand) فقد تدخل لدى السلطات الألمانية أثناء الثورة السوفياتية لتسهيل مرور الثوار اليهود إلى الأراضي الروسية ، ويقال إنه دفع للمستشار الألماني « بتمان هالفيك » (Betman Hallweg) رشوة طائلة مقابل ذلك ، وكان « بروفوس » هذا قد جمع ثروته من عمليات تهريب الفحم الدنماركي^(٢) .

ومن الواقع التي تظهر مدى تأثير الأموال اليهودية في توجيه الحركة الثورية الروسية أن ثورة « المنشفيك » ، ضد القبصير نقولا الثاني سنة ١٩٠٥ ، قد انتهت إلى الفشل لأن أصحاب المصارف العالميين أحجموا عن تمويلها بسبب تفرد جماعة « المنشفيك » في اتخاذ القرارات^(٣) . وكان أصحاب المصارف العالمية قد اتصلوا بـ « لينين » ، خلال إقامته في سويسرا سنة ١٨٩٥ ، فألف جمعية ماركسية أسموها « جمعية تحرير العمال » ، وكان معظم أعضائها من اليهود ، فضلاً عن أن زوجة « لينين » كانت يهودية أيضاً . وقد تدخل المرابون العالميون لإيصال لينين إلى السلطة

(١) المفسدون في الأرض . ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٩ .

(٣) غاي كار ص ١٥٧ .

على رأس «البلشفيك» بعد فشل ثورة «المنشفيك» كما ذكرنا . وضغط هؤلاء المرابون على مصرف إنكلترا ليضغط بدوره على الحكومة الإنكليزية لحذف مقاطع من وثيقة «الكتاب الأبيض - روسيا رقم ١» ، الذي صدر سنة ١٩١٩ ، كانت تشير إلى دور المصرفيين اليهود في الثورة السوفياتية^(١) . وبذلك اختار المرابون العالميون «لينين» ليقود الثورة وأرسلوه إلى روسيا بعد أن زوده الشري اليهودي «ماكس واربورغ» (Warburg) بعشرة ملايين دولار لتمويل الثورة^(٢) . أما «شيف» فكان قد بادر إلى جمع المعامرين اليهود ، الذين سبق أن طردوا من روسيا ، وأنشأ لهم في أميركا مراكز للتدريب على السلاح وأعمال القتل والاغتيال ، ثم افتتح اكتتاباً مالياً لمساعدة الثورة ، فتبرع أثرياء اليهود الأميركيين بمبالغ كبيرة ، لاسيما وأن «شيف» زعم لهم أن روسيا ستصبح ، بعد نجاح الثورة ، دولة يهودية ، فانهالت التبرعات اليهودية على مؤسسته ، وتقدم آلاف الشباب اليهود للتطوع من أجل القتال مع الثوار في روسيا ، فكان «شيف» يدرب هؤلاء الشباب ويزودهم بجوازات سفر أميركية وبأموال طائلة ، وبالتعليمات الازمة ، ويرسلهم إلى البلاد الروسية ليعملوا في صفوف تروتسكي وأنصاره^(٣) . وبعد انتصار الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وزوال الحكم القيصري سرعان ما انكشفت علاقات

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ و ١٨٠ .

(٢) سبيريدوفيتش - حكومة العالم الخفية ص ١٥١ .

(٣) المفسدون في الأرض ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

« تروتسكي » اليهودي وجماعته بالغرب وتحالفهم مع الرأسمالية اليهودية ، فوجئوا إليهم التهم بالخيانة وأحيلوا إلى القضاء بينما هرب « تروتسكي » إلى خارج البلاد^(١) .

(١) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

إن هذه المعلومات التاريخية تساعدنا على فهم وتفسير ما يجري اليوم (١٩٩٠) في الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشيوعية من تغيرات سياسية ودستورية كبيرة تحت شعارات براقة تستهوي الجماهير المضللة نحو « الحرية » و « الديمقراطية » . ولكن أصحاب هذه الشعارات في الدول المشار إليها يتوجهون حرية الشعب الفلسطيني وديمقراطية تمثيله في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، بل نرى المسؤولين في الاتحاد السوفيتي وبعض دول أوروبا الشرقية يضطرون في تنفيذ مخطط هجرة اليهود السوفيات إلى فلسطين المحتلة على نطاق واسع .

الفصل الخامس

تأثير الأموال اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية

لا شك في أن النشاط اليهودي العالمي يتمركز اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية ويتمثل في المؤسسات المالية والتجارية اليهودية القائمة في كبريات المدن الأمريكية . وكان اليهود قد بدأوا يفدون بأعداد قليلة إلى أميركا في منتصف القرن السابع عشر ، ثم زادت هذه الهجرة بعد الحرب العالمية الأولى لتحول إلى « طوفان ضخم »^(١) ، ولتحل نيويورك محل لندن كمركز للنشاط اليهودي العالمي ، ولتصبح الولايات المتحدة مركز النفوذ والسلطان اليهودي^(٢) ، وبذلك تحول اليهود عن الأمبراطورية البريطانية ، التي كان نجمها قد بدأ في الأول ، وتوجهوا إلى القارة الأمريكية الفتية المهيأة لتقديم ما ينشده اليهود من مال وسلطة .

الموجة الأولى من المهاجرين اليهود أخذت تصل إلى « الأرض الجديدة في الخمسينات والستينات من القرن السابع عشر ، وتكونت في معظمها من يهود إسبان وبرتغاليين ، ثم تبعهم

(١) هنري فورد - اليهودي العالمي . ص ٢٥٣ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٥٣ .

اليهود الألمان في أواسط القرن التاسع عشر ، ثم تدفق يهود أوروبا الشرقية ، ابتداء من سنة ١٨٨١ ، على مدى أربعة عقود متتالية^(١) . وقد وصلت أول مجموعة مهاجرة من اليهود في أيلول (سبتمبر) من سنة ١٦٥٤ إلى ميناء «نيو أمستردام» ، التي تحول اسمها فيما بعد إلى نيويورك ، وكانت تتكون من ٢٣ شخصاً ، أربعة رجال وست نساء وثلاثة عشر شاباً^(٢) . وكتب حاكم المستعمرة الهولندية إلى رؤسائه ، في شركة الهند الغربية الهولندية ، يطلب تخلص المستعمرة من «هؤلاء الناس المنفررين .. إنهم شعب كذاب وهم أعداء بغيضون ويكرفرون باسم المسيح»^(٣) . وجاءه الجواب من الشركة بأنهم كانوا يودون تحقيق طلبه ولكن بعد درس المسألة قررت الشركة السماح بدخول المهاجرين اليهود إلى المستعمرة الهولندية «بسبب رأس المال الضخم الذي ما زالوا يوظفونه في أسهم الشركة»^(٤) .

ومع أن القوة المالية العالمية كانت في القرن الثامن عشر تتمرّك في أوروبا ، ولم تكن قد انتقلت إلى أميركا بعد ، إلا أن المرابين العالميين وجدوا في حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨١) فرصة لمضاعفة أرباحهم عدّة مرات حيث عملوا إلى تمويل الحرب . وتولّت مجموعة روتسيلد المالية إمداد الحكومة البريطانية بالجنود المرتزقة من مقاطعة «هس» الألمانية ، وقد حققت مجموعة روتسيلد أرباحاً طائلة من وراء

(١) ستيفن إيزاكس - اليهود والسياسة الأمريكية . ص ٦٧ و ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢١٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ٢١٧ .

(٤) المرجع السابق . ص ٢١٨ .

ذلك^(١) ، كذلك تاجروا بالأسلحة وتجسسا لحساب الطرفين وعمدوا إلى تمويل الجبهتين بالمال والمعلومات بغية إطالة أمد الحرب لتزيد أموالهم^(٢) . وبعد استقلال الولايات الأميركية ، عن الناج البريطاني ، لم يتورّع المرابون العالميون عن التدخل في الاقتصاد الأميركي بواسطة مصرف إنكلترا الذي كان تحت سيطرة المرابين اليهود ، كما سبق وأشارنا . وقد عين مدير و مصرف إنكلترا مندوياً لهم في أميركا هو « ألكسندر هاملتون » (A.Hamelton) الذي أحاط بهالة من الدعاية جعلت منه زعيماً وطنياً . وبهذه الصفة تقدم باقتراح لإنشاء مصرف أميركي فيدرالي تابع للقطاع الخاص . غير أن الفكرة السائدة في أوساط الشعب الأميركي آئنذ كانت تقضي بأن يبقى حق إصدار النقد والإشراف عليه بيد الحكومة التي كانت تتخبـب مباشرة من قبل الشعب^(٣) ، غير أن المرابين العالميين لم يتخلوا عن الفكرة ، واستطاع هاملتون وعميل آخر لهم يدعى « روبرت موريس » (R.Morris) إنشاء « بنك أوف أميركا » سنة ١٧٨٣ ، ولم يكن مدراء هذا البنك سوى علماء لدى مدراء مصرف إنكلترا ، وكان المرابون العالميون يسيطرون على الجماعتين معاً^(٤) .

وقد تنبه « بنجامين فرنكلين » (B.Franklin) ، أحد زعماء الاستقلال في أميركا ، إلى الخطر اليهودي على مستقبل الولايات المتحدة وأطلق تحذيرات في خطابه الشهير ، الذي ألقاء أمام

(١) غاي كار . ص ١٢٣ .

(٢) المفسدون في الأرض . ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٣) غاي كار ص ١٢٤ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٢٤ .

المجلس التأسيسي لوضع الدستور الأميركي (The Constitution) al Convention سنة ١٧٨٩ ، وطلب موافقة المجلس على طرد اليهود من الولايات المتحدة . ومما قاله في هذا الخطاب^(١) :

« أيها السادة ، في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها ، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم ، وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً ، كما هي الحال في البرتغال وإسبانيا (. . .) . إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويعيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا ومتلكاتنا وحرياتنا الفردية ، ولن تمضي مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود ، على حين يظل اليهود في البيوت المالية يفركون أيديهم مغتبطين » .

« إنني أحذركم أيها السادة . إنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم . إن اليهود لن يتخدوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال »^(٢) .

غير أن المجلس لم يوافق على اقتراح « فرنكلين » بطرد اليهود من الولايات المتحدة . وهناك من يرى أن بعض أعضاء

(١) المفسدون في الأرض . ص ٣٢٤ - ٣٢٥ - حكومة العالم الخفية ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) عن وثيقة رسمية محفوظة في معهد « فرنكلين » بمدينة « بنسلفانيا » في ولاية « فيلadelفيا » .

المجلس كانوا من « الماسون » ، والبعض الآخر كان قد ارتشى مسبقاً لرفض الاقتراح ، فضلاً عن أن الحكومة الاتحادية كانت بحاجة ماسة إلى المال بعد حرب الاستقلال ، وقد وعدها اليهود بتلبية حاجاتها المالية إذا حالت دون إقرار مشروع فرنكلين^(١) .

ولم يخطئ « فرنكلين » التقدير ، ولكن مهلة المائتي سنة ، التي حددتها لاستكمال اليهود سيطرتهم على الولايات المتحدة ، كانت أطول من المهلة التي حددتها اليهود لأنفسهم ، فلم تكمل تمر مائة سنة على تحذيرات فرنكلين حتى أصبحت قوة المال اليهودي « حكومة خفية » تصنع الرجال والأحداث في « العالم الجديد » ، ولا تتورع عن إزاحة الرجال العظام الذين يشهرون مبادئ الحق والعدالة في وجهها ، مثلما حدث عندما اغتال عمالء « الحكومة الخفية » الرئيس الأميركي إبراهام لينكولن في سنة ١٨٦٥ ، بعدما أفشل مخطط الروتشيلديين في تقسيم الولايات المتحدة الأميركية وإعادة غزوها بالاتفاق مع بريطانيا وفرنسا^(٢) .

وعلى أي حال فإن « فرنكلين » توفي سنة ١٧٩٠ ، أي في العام الذي تلا اجتماع المجلس التأسيسي ، دون أن يوفق إلى استصدار نص دستوري يحمي الولايات المتحدة من الأخطار اليهودية المستقبلية . وبعد وفاته مباشرة نجح عمالء المرابين اليهود في إيصال « هاملتون » إلى منصب وزير المالية ، وبذلك استطاع « هاملتون » أن يحصل على موافقة من الحكومة الأميركية تمنح مصرف « بنك أوف أميركا » حق إصدار النقد . وهكذا سقط

(١) المفسدون في الأرض . ص ٣٢٥ .

(٢) حكومة العالم الخفية . ص ١٤٨ .

الشعب الأميركي ضحية الهيمنة المالية لليهود تماماً مثلما حصل بالنسبة للشعب الإنكليزي عندما استصدر المربابون اليهود الموافقة على إنشاء مصرف إنكلترا ، كما ذكرنا من قبل^(١) .

وعلى إثر هذا الإجراء الخطير صدرت ردود فعل غاضبة عن عدد من كبار القادة الأميركيين ترفض منع حق إصدار النقد إلى الأشخاص والهيئات الخاصة ، طالما أن الدستور أناط هذا الحق بالكونغرس^(٢) .

وعندما نشب الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب قدم أصحاب المصادر العالميون قروضاً محدودة للقوات الجنوية ، كما أفرضوا نابليون الثالث أكثر من ٢٠١ مليون فرنك لتمويل حملته على المكسيك . وكانت الخطة تقضي بإعادة تقسيم الولايات المتحدة بين بريطانيا من الشمال وفرنسا من الجنوب . وفي عام ١٨٦٣ عرض المربابون على نابليون الثالث ولايتي لوبيزيانا وتكساس لمساعدة الجنوبيين^(٣) . وحيث فشلت خطة تقسيم الولايات المتحدة فلم يتمتع المربابون العالميون عن إقراض الولايات الشمالية ، ولكن بفائدة مرتفعة بلغت ٢٨ بالمائة . وكان يمكن أن تنتهي الحرب في أشهر معدودة لو لم يكن المربابون يقدمون القرض تلو القرض للطرفين^(٤) .

وقد كان لقيصر روسيا إسكندر الثاني اليد الطولى في مساعدة الولايات المتحدة الأميركية وإبطال مؤامرة أساطين المال اليهود ،

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(١) غاي كار ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ .

فتعُرض لمحاولة اغتيال فاشلة في 6 حزيران سنة ١٨٦٥ ، وهي السنة نفسها التي شهدت اغتيال الرئيس الأميركي «لينكولن»^(١) . وكان «لينكولن» قد أدرك الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة من جراء هيمة المرابين اليهود ، وتأكد له ذلك بشكل واضح من جراء السياسة المالية التي اتباعوها في إذكاء نار الحرب الأهلية الأميركية بين الشمال والجنوب .

وأعرب «لينكولن» عن مخاوفه من الهيمنة المالية للمرا比ين العالميين على بلاده ، وقال في أحد خطاباته إلى الأمة : «إنني أرى في الأفق نذر أزمة تقترب شيئاً فشيئاً ، وهي أزمة تشيرني وتجعلني أرتجف من الخشية على سلامته بدني ، فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى ، وسوف يتبع ذلك وصول الفساد إلى أعلى المناصب . . . وستصبح ثروة البلاد كلها تحت سيطرة فئة قليلة»^(٢) . وقد حاول «لينكولن» تطبيق نص الدستور الأميركي الذي يعطي «الكونغرس» وحده حق إصدار العملة ويحظر ذلك على أية جهة أخرى . وكان «لينكولن» يعتزم تطبيق إجراءات اقتصادية حاسمة بعدما جدد له الشعب الأميركي لولاية ثانية ، ولذلك سارع عملاء المرا比ين العالميين إلى اغتياله سنة ١٨٦٥^(٣) . وستتطرق إلى هذا الموضوع عند الحديث عن

(١) حكومة العالم الخفية ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) غاي كار ص ١٣٦ .

(٣) اغتيل لينكولن على يد اليهودي الأميركي جون ويلكس بوث (John W. Booth) في مسرح «فورد» يوم ١٤ نيسان (أبريل) سنة ١٨٦٥ ، وتمكن الجاني من الفرار ، ولكن بعد مطاردته في «فرجينيا» ألقي القبض عليه وهو مصاب بجروح قاتلة . ويقال إن أحد الرجال المطاردين أطلق عليه النار ، فيما يقول آخرون إنه =

الاغتيالات وجرائم القتل .

وحيث أن التدخل الروسي البحري ، أثناء الحرب الأمريكية الأهلية ، ساهم في إفشال خطة تقسيم الولايات المتحدة ، فقد أدرك قادة الحكومة اليهودية العالمية ، بنتيجة هذه التجربة ، أن التقارب الروسي الأميركي يشكل خطراً كبيراً على المخططات اليهودية السرية في العالم ، وكان ذلك أحد أهم الأسباب التي دفعت اليهود إلى دعم ثورة البلاشفة في روسيا ، والقضاء على الحكم القيصري ، وغرس بذور الصراع السوفياتي - الأميركي لمنع أي تقارب بين الدولتين في المستقبل^(١) .

ومن المعروف أن اليهودي الأميركي « يعقوب شيف » قدم مساعدات مالية إلى اليابان في حربها مع روسيا عام ١٩٠٥ ، واستغل الفرصة لنشر المبادئ البلشفية بين الأسرى الروس في معسكرات اليابان مع العلم أنه كان يقيم في الولايات المتحدة الأميركية^(٢) .

ويلاحظ « هنري فورد » أن الشعب الأميركي لم يكن راضياً عن الخطة اليهودية العالمية في نقل أسواقها المالية إلى الولايات المتحدة ، لأن تجارب التاريخ السابقة قد أثبتت أن الدول ، التي

انتحر بإطلاق النار على نفسه ، وقد تبين فيما بعد أن عملية الاغتيال كانت نتيجة مؤامرة مدبرة .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ عن خطاب ألقاء الحاخام « إيمانويل رابينوفيش » أمام المؤتمر الاستثنائي للجنة الطواريء لحاخامي أوروبا الذي عقد في بودابست في ١٢/١/١٩٥٢ .

(٢) هنري فورد - ص ٢٣٢

استضافت المال اليهودي ، كانت موضع شك ولو من العالم كله بسبب ما ارتكبه رجال المال اليهود^(١) . ويضيف قائلاً : « كثيراً ما نسمع اليوم ، من جميع أنحاء العالم ، مثل هذه الكلمة من اللوم تقال : لقد فعلت الولايات المتحدة هذا ، ولو لم تكن الولايات المتحدة لكان العالم أحسن شكلاً ووضعاً ، فالأميركيون قوم كثيرو الطمع والشراسة والغرابة . ولكن لم يقال هذا القول ؟ إن السبب واضح ، وهو أن سلطان المال اليهودي مركز هنا وهو يستغل ما في أميركا من مناعة ، وما في أوروبا من تعasse وشقاء ، لاعباً بنا وبغيرنا »^(٢) .

وهناك دلائل على تفاهم الصيارةالأميركيين مع الصيارة في أوروبا لافعال الأرمات الاقتصادية بسحب السيولة من الأسواق المالية ، مما يدفع المقترضين إلى تمديد آجال قروضهم ، وبذلك تتضاعف أرباح المربفين^(٣) .

ومن المعروف أن « نظام الاحتياطي الفيدرالي » أقره الكونغرس الأميركي بناء لاقتراح تقدم به أحد كبار المربين اليهود « واربورغ » (Warburg) ، في سنة ١٩١٣ . وقد أدى هذا النظام إلى وضع الاقتصاد الأميركي والاقتصاد الأوروبي تحت سيطرة أصحاب المصارف العالميين ، فتمكنوا بذلك من المساهمة الفاعلة في تفجير الحرب العالمية الأولى ، ثم التسبب بقيام الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧ . وبلغت أرباح المربين من جراء

(١) المرجع السابق ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣٢ .

(٣) غاي كار ص ١٣٧ .

نظام الاحتياطي الفيدرالي أكثر من ٢٣ مليار دولار حتى تاريخ ٢٩/٥/١٩٣٩ . أما عملياتهم المالية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد ناهزت أرباحها أربعين مليار دولار^(١) . ومن الجدير بالذكر أن رئيس الولايات المتحدة ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، كان « فرنكلين روزفلت » ، وهو يهودي الأصل من أسرة يهودية هجرت إسبانيا سنة ١٦٢٠ وتشردت في أوروبا ثم هاجرت إلى أميركا . وكانت زوجة روزفلت يهودية أيضاً ، تدعى « سارة دولانو » ، وعرف عنها طيلة حياتها التزامها بالعمل لمصلحة اليهود في الولايات المتحدة^(٢) . كما كان كبار مساعدي روزفلت من اليهود^(٣) ومن هؤلاء الثري اليهودي « برنارد باروخ » (Bernard Baruch) ، الذي كان يطلق عليه لقب « قصل يهودا في أميركا » ، وقد أشار مرة إلى نفسه قائلاً : « أنظروا إلى ذرائيلي الولايات المتحدة ! »^(٤) .

وخلال النصف الأول من هذا القرن كان يهود الولايات المتحدة قد أحكموا سيطرتهم على نسبة كبيرة من الاقتصاد الأميركي بالتعاون مع يهود الخارج ، حيث احتكروا صناعة السينما والسكر والتبغ ، وسيطروا على خمسين بالمائة من صناعة اللحوم المعلبة ، وأكثر من ستين بالمائة من صناعة الأحذية ، وعلى معظم صناعات الأدوات الموسيقية والمجوهرات والحنطة والقطن والزيوت والفولاذ ، وإصدار الصحف والمجلات ، وتوزيع الأنباء والمشروعات الروحية ، ومنح القروض سواء في

(١) المرجع السابق ص ٣٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) هنري فورد ص ٢٣٣ .

(٤) المفسدون في الأرض ص ٣٢٦ .

الحقلين القومي أو الدولي^(١) .

أما اليوم فإن السيطرة اليهودية على الاقتصاد الأميركي باتت أدهى وأمر . فالتقديرات تشير إلى وجود ما يزيد عن ستة ملايين يهودي في الولايات المتحدة الأميركية ، ٤٠ بالمائة منهم في ولاية نيويورك . وقد بلغت المداخيل السنوية لليهود عام ١٩٦٥ نسبة تتجاوز الضعفين وتصل إلى خمسة أضعاف الدخل السنوي لـ ٤ بالمائة من مجموع السكان الأميركيين^(٢) . ونتيجة لهذه السيطرة الاقتصادية فقد بلغ النفوذ اليهودي قدرًا يتتجاوز بكثير تأثيره السابق في مطلع هذا القرن ، والذي عبر عنه المليونير الأميركي « هنري فورد » بقوله : « إن الحكومة اليهودية في نيويورك تولف الجزء الأساسي في الحكومة اليهودية للولايات المتحدة »^(٣) .

المال اليهودي والسياسة الخارجية الأميركية

والواقع أن المال اليهودي يمارس نفوذه في السياسة الأميركية ويركز جهوده في السياسة الخارجية ، بشكل خاص ، من أجل دعم القضية الصهيونية . ومع أوائل الأربعينات أخذ الضغط الصهيوني يتضاعف تمهيداً لإعلان قيام دولة « إسرائيل » في فلسطين . وعندما أعلن الرئيس الأميركي . « هاري س . ترومان » سنة ١٩٤٧ معارضته المبدئية لإنشاء دولة يهودية في

(١) هنري فورد ص ٢٢ .

(٢) أي . ج . نابدو - التأثير اليهودي في السياسة الخارجية الأميركية - ص ٢١ .

(٣) فورد - ص ١٠٨ .

فلسطين كثُف الصهاينة جهودهم ، ونظموا حملة إعلامية دعائية عن «محرقة اليهود» على يد النازية لاستدرار عطف الشعب الأميركي وتأييده لفكرة إنشاء وطن قومي يهودي . ولما بقي ترومان على موقفه المبدئي جاءه التحذير اليهودي المبطن في برقية من يهود «نيوجرسى» تقول : «سياستك إزاء فلسطين ... تخلفك التأييد الذي أوليناك»^(١) . ولأن الانتخابات كانت على الأبواب فقد خالف «ترومان» جميع مستشاريه العسكريين والدبلوماسيين وعمل بنصيحة صديقه اليهودي القديم وشريكه السابق «إد جاكسون» فاعترف على الفور بدولة «إسرائيل» ، عند إعلانها عام ١٩٤٨ ، بالرغم من معارضة وزير خارجيته «جورج س. مارشال» . وكانت المكافأة اليهودية مجزية فقد نال «ترومان» في الانتخابات ٧٥ بالمائة من أصوات اليهود ، مما ضمن له الفوز بفارق بسيط ، كما صدرت طوابع بريد إسرائيلية تحمل صورته . أما كبير حاخامي «إسرائيل» فقد زار «البيت الأبيض» شاكراً عام ١٩٤٨ وكان مما قاله لترومان : «إن الله وضعك في رحم أمك لتولد على يدك إسرائيل من جديد بعد ألفي عام»^(٢) .

غير أن الأمور تغيرت بعض الشيء أيام الرئيس دوايت د. آيزنهاور ، الذي امتاز حكمه بمقاومة ضغوط «اللوبى» الصهيوني ، ولعله الرئيس الأميركي الوحيد الذي أوقف المساعدات عن «إسرائيل» وأرغمهَا ، في ثلاثة مناسبات ،

(١) بول فندي - من يجرؤ على الكلام - ص ١٩٧

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨

على التخلّي عن سياسات رئيسية كانت قد التزمت بها علانية وبكل قوتها ، المرة الأولى سنة ١٩٥٣ عندما شرعت « إسرائيل » في تحويل مياه نهر الأردن ثم أعلنت وقف المشروع تحت وطأة الموقف الحازم للرئيس أيزنهاور ، وفي سنة ١٩٥٦ عندما شاركت إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر ، وفي عام ١٩٥٧ عندما رفضت الانسحاب من الأراضي المصرية المحتلة ، ثم رضخت للأمر الواقع^(١) .

ويبدو أن « اللوبي » اليهودي تعلم الكثير من هذه التجربة مع الرئيس أيزنهاور ؛ ففي إطار الحملة الانتخابية للرئيس « جون ف. كندي » قدمت مجموعة من أثرياء نيويورك اليهود عرضاً غريباً للمرشح الشاب يتعهدون فيه بتقديم « المساعدات بمقدار كبير » مقابل أن يتبعهم « كندي » ، عندما يصبح رئيساً ، أن يتولوا هم رسم السياسة الأميركيّة للشرق الأوسط خلال السنوات الأربع المقبلة . وحدث الأمر نفسه مع المرشح الديمقراطي للرئاسة سنة ١٩٥٦ « إدلي ستيفنسون »^(٢) .

وعندما وصل « لندون ب. جونسون » إلى الرئاسة ، بعد اغتيال « كندي » ، بلغ نفوذ « اللوبي » الصهيوني ذروته في « البيت الأبيض » ، فرفعت مستويات المساعدات وصدرت الترخيصات بكل أنواع العتاد الحربي تقريباً ، ولاقت « إسرائيل » كل أشكال الدعم الأميركي^(٣) .

أما خليفته « ريتشارد م. نيكسون » فقد أنقذ « إسرائيل » من

(١) فنلي ص ١٩٨ - ٢٠٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٣ - ٢٠٤ .

كارثة عسكرية عندما أمر بإقامة الجسر الجوي لإنقاذ الجيش الإسرائيلي من الهزيمة في حرب العبور سنة ١٩٧٣ . ولكن « نيكسون » ، بعد ذلك ، أخذ ينتقد عدم التجاوب الإسرائيلي من أجل إبرام تسوية شاملة في الشرق الأوسط ، وأمر بوقف المساعدات إلى أن تبدي « إسرائيل » التجاوب المطلوب . ولكن أوامرها لم تنفذ ، ثم كان أن وضعت « فضيحة ووترغيت » نهاية مؤسفة لحياته السياسية . ويقول نيكسون في مذكراته إنه نادم لأنه لم يأمر بقطع الشحنات العسكرية عن إسرائيل من قبل^(١) .

ويعتبر « اللوبي » اليهودي أقوى جماعات الضغط التي تركز اهتمامها على السياسة الخارجية الأمريكية ، وهو أكثرها نفوذاً في « واشنطن » حيث توجد ٣٢ منظمة يهودية رئيسية تدعى تمثيل اليهود الأميركيين ، وتعمل اللجنة الأميركية الإسرائيلية للشؤون العامة (AIPAC) كرأس حربة للوبي اليهودي^(٢) ، وهي تملك ميزانية سنوية بلغت سنة ١٩٨٠ أربعين ألف دولار ، ويبلغ عدد أعضائها حوالي خمسة عشر ألف عضو ، وتقوم بجباية التبرعات لدعم القضايا اليهودية^(٣) . ويساعدلجنة (AIPAC) مركز أبحاث الشرق الأدنى ، التابع للوبي اليهودي ، ويسصدر المركز دورية أسبوعية (The Near East Report) لها حوالي ثلاثون ألف مشترك . وتدفع اللجنة تكاليف توزيع حوالي أربعة آلاف نسخة من هذه المطبوعة بالبريد إلى كل عضو في الكونغرس وإلى

(١) المرجع نفسه ص ٢٠٥ .

(٢) نابدو ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

السفارات والوفود في الأمم المتحدة^(١) .

ومن المعروف أن نفوذ المال اليهودي يمارس ضغوطه السياسية داخل الحزب الديمقراطي على أوسع نطاق . يقول الكاتب اليهودي الأميركي « ستيفن د. إيزاكس » إن النمو الاقتصادي لليهود في الولايات المتحدة الأميركية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، ووعيهم السياسي المت남م قد تطابق مع تغيير كبير في الحزب الديمقراطي . ويقول إن التبرعات اليهودية في الحزب الديمقراطي لها وقع يضاهي وقع أية أموال أخرى^(٢) . وهذا لا يعني أن اليهود لا يتبرعون لمرشحى الحزب الجمهوري بل المعروف عن « اللوبي » الصهيوني أنه « لا يضع كل البيض في سلة واحدة » ، بل يوضع في حساباته كل الاحتمالات ، غير أن اتجاه الأثرياء اليهود ، بشكل عام ، إلى الحزب الديمقراطي له سبب جوهري وهو أن تأثير المال اليهودي في الحزب الديمقراطي أكثر ظهوراً منه في الحزب الجمهوري ، نظراً لأن الأخير يمتلك عدداً أكبر من مصادر المال المستقرة ويسطر على معظم الصناعات^(٣) .

والسؤال الآن : لماذا يقدم اليهود هذه التبرعات ويساهمون في تمويل الحملات الانتخابية الأميركية لمصلحة هذا المرشح أو ذاك ؟

يحاول « إيزاكس » تفسير ذلك بقوله إن « الإحسان » كان دائماً أمراً أساسياً بالنسبة للشعب اليهودي ، حتى أن اللغة العبرية

(١) المرجع نفسه .

(٢) إيزاكس ص ١١٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ١١٣ .

لا تتضمن الكلمة خاصة بالإحسان ، وبدلًا من ذلك فإن الكلمة صدقة (Zedakah) تعني الصلاح والعدل الاجتماعي^(١) .

ومع أن هذا « الإحسان » اليهودي أمر واقع إلا أنه لا يتعدى نطاق اليهود أبدًا ، فلم يحدث أن أعطى يهودي إلى غير اليهود من دون مقابل ، فالصدقات اليهودية محصورة بين اليهود أنفسهم . فلماذا إذن يتبرعون للحملات الانتخابية ويستخدمون أموالهم في السياسة ؟ والجواب على ذلك يقدمه « إيزاكس » إذ يقول إن لذلك هدفين داخلي وخارجي . فعلى الصعيد الداخلي يوظف اليهود أموالهم في الحملات الانتخابية لقاء الحصول على عقود وتعهدات حكومية ومضاربات ، وعلى الصعيد الخارجي لقاء التعهد بتأييد « إسرائيل » ودعمها^(٢) . ويعرف « إيزاكس » بأن الرشوة تؤلف جزءاً جوهرياً من التاريخ اليهودي ، وأن « أخلاق الرشوة » أكثر انتشاراً في مدينة نيويورك ، حيث يعيش فيها من اليهود أكثر من أية مدينة أميركية أخرى^(٣) . أما الالتزام بدعم « إسرائيل » فهو في النهاية الهدف الأهم للمال اليهودي . فعلى سبيل المثال جمع اليهود في بضعة أيام ، على إثر حرب العبور سنة ١٩٧٣ ، مائة مليون دولار لإسرائيل . أما مجموع الأموال والتبرعات التي تلت ذلك في سنة ١٩٧٤ فقد قاربت المليار دولار^(٤) .

(١) إيزاكس ص ١٠٥ .

(٢) إيزاكس ص ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٥ و ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٧ - ١٠٨ .

ويعرف باحث أمريكي معاصر بأن جماعات الضغط ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، باتت صاحبة اليد الطولى في التأثير على « الكونغرس » في ما يتعلق برسم السياسة الخارجية الأمريكية . وت تكون جماعات الضغط هذه من « اللوبيات » (Lobbies) ، وهي في معظمها مؤسسات مالية ربوبية يسيطر اليهود على القسم الأكبر منها ، حتى أن « الكونغرس » أصبح أقرب ما يكون إلى تمثيل مصالح هذه الجماعات منه إلى تمثيل إرادة الشعب الأمريكي في ما يخص السياسة الخارجية^(١) .

وتتقن « اللوبيات » مهارات وأساليب الاتصال الحديثة بالسياسيين والرأي العام الأمريكي ، ولديها الكثير من المال الذي تحسن استخدامه في هذا المجال . ولعل أكثر هذه الجماعات الضاغطة قوة وازدهاراً « اللوبي » الصهيوني المؤيد للدولة « إسرائيل » ، الذي يستخدم منظمات يهودية فاعلة لتنفيذ سياساته^(٢) . وأبرز هذه المنظمات اللجنة الأمريكية الإسرائيلية American Israel Pub- lic Affairs Committee (AIPAC) للشؤون العامة المعروفة باسم « إيباك » (Eipac) التي بلغت ميزانيتها سنة ١٩٧٨ نحو ٧٥٠ ألف دولار^(٣) .

Seth P. Tillman, *the United States in the Middle East*, P.64.

(١)

Ibid. P.65.

(٢)

(٣) ذكرنا قبل قليل أن ميزانية اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (AIPAC) بلغت في سنة ١٩٨٠ نحو ٤٠٠ ألف دولار ، بينما نذكر هنا أن ميزانية اللجنة المذكورة بلغت في سنة ١٩٧٨ نحو ٧٥٠ ألف دولار . وهذا ما وجدته في المرجعين المشار إليهما . وقد يكون الرقمان غير دقيق ، وربما هما يقدمان دليلاً على أسلوب اليهود في إخفاء المعلومات الحقيقة عن مؤسساتهم أمام الرأي العام .

ومن المؤسسات التي أنشأها «اللובי» اليهودي ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، «مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى» Conference of Presidents of Major Jewish Organizations (الذي ينفذ سياسة «اللובי» اليهودي ، ويركز جهوده على البيت الأبيض والإدارة الحكومية ، بينما تمارس لجنة «إبياك» نفوذها داخل الكونغرس^(١) . وكثيراً ما يكون تأييد «اللوفي» اليهودي مقابل المال الذي يدفعه اليهود في دعم الحملات الانتخابية للمرشحين للمناصب السياسية الرفيعة في الدولة . أما المسؤولون الأميركيون اليهود فإنهم يقدمون خدماتهم لمصلحة إسرائيل بلا مقابل مالي بل بدافع من تعاطفهم مع الدولة اليهودية^(٢) . ومن الملاحظ أن المرشحين باتوا يتسمون الدعم والتأييد من المؤسسات المالية الربوية ، التي يدير معظمها اليهود ، وليس من الرأي العام الأميركي^(٣) .

وأما الطريقة التي يتم بها تمويل الحملات الانتخابية في الولايات المتحدة فإنها تميز بسرية أسماء المtributionين ، وقيمة تبرع كل منهم ، والجهة التي قدمت لها هذه التبرعات ، وبعض النقود جرى تسليمها في أكياس من «الجنجيفيس» من دون تسجيل قانوني^(٤) .

أما من أين يأتي هذا المال اليهودي الطائل ، فهذا سؤال

Ibid. P.65.

(١)

Ibid. P.66.

(٢)

Ibid. P.64.

(٣)

(٤) إيزاكس ص ١٠٩ .

يتناول جميع أوجه النشاط الاقتصادي التي اشتهر بها اليهود عبر التاريخ . وهي تمثل في مجلتها أساليب الكسب الطفيلي الذي يربو على حساب الآخرين . ويعرف « إيزاكس » بأن ضروب معيشة اليهود ورذقهم هي « على غرار ضروب معيشة المافيا ، أي أنها تقوم على الوساطة والمضاربات »^(١) ، وليس هذه « الضروب » سوى أشكال مختلفة للربا والكسب غير المشروع وأكل أموال الناس بالباطل .

خاتمة

إن الكسب الطفيلي (Parasitism) ، الذي أدمنه اليهود عبر تاريخهم الطويل ، أصبح صفة تلازم نشاطهم الاقتصادي في جميع المجتمعات التي احتضنهم ، وهذا ما كان يدفع الشعوب إلى مناصبهم العداء والانتقام منهم على شكل ثورات شعبية غاضبة تحطم ممتلكاتهم ولا تروع عن إزهاق أرواحهم ، كما سبق أن ذكرنا بشأن موجات الغضب الشعبي التي كانت تعصف بأحياء اليهود في المدن الروسية وهي ما عرف باسم « البوغروم » .

ويرى الكاتب الفرنسي « ألفونس توسينيل » (Toussenel) : « أن اليهودي المحترق اسم يطلق على كل من يمتهن تداول المال ، وكل طفيلي غير متخرج يعيش على عمل يقوم به الآخرون .. ولنلاحظ جيداً أنه ليس هناك يهودي واحد قدمت يدها عملاً نافعاً منذ بداية الزمان »^(٢) .

(١) إيزاكس ص ١١٥ . (٢) Raphael Patai- Journey into the Jewish Mind P.465.

ويقول المفكر الاشتراكي الفرنسي «برودون» (Pierre Joseph Proudon) : «إن اليهودي بطبيعة غير منتج ، فهو ليس مزارعاً ولا صناعياً حتى إنه ليس تاجراً حقيقة ، إنه وسيط طفيلي»^(١).

ويرى المفكر الفرنسي الشيوعي «أوغست شيراك» (August Chirac) «أن اليهود هم أول من مارس الكسب الطفيلي وأجادوه إجادة تامة»^(٢).

أما العالم الإنكليزي «السير فرنسيس غالتون» (Sir Francis Galton) فيقول : «إن اليهود مختصون بتحقيق وجودهم الطفيلي على حساب الأمم الأخرى ، وثمة شك في قدرتهم على القيام بواجبات الأمة المتحضرة»^(٣).

ويقول هنري فورد : «إن الشؤون المالية الضخمة في العالم هي في أيدي اليهود ، وذلك لأن المالي اليهودي لا يرتبط مطلقاً بالأوهام الوطنية والقومية ، وليس ارتفاعات فرص السلام وال الحرب بين الدول وعبوتها في نظر المالي اليهودي العالمي إلا تبدلات في الأسواق المالية العالمية»^(٤).

هذه النظرة اليهودية إلى المال ودوره ليست وليدة اتجاه محدث في الخلق اليهودي وإنما هي صفة قديمة لازمتبني إسرائيل على امتداد تاريخهم الطويل . وقد سجل القرآن الكريم من الواقع ما يؤكّد شغف اليهود بالمال وتکالبهم عليه واستعماله

Ibid. P.P. 456- 457. (٣)

Ibid. P.456. (١)

(٤) اليهودي العالمي - هنري فورد ص ٢٢٨.

Ibid. P.456. (٢)

للإفساد في الأرض ، وكمثال على ذلك ما كان من أمر قارون : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصبيك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبتغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾^(١) . وقد تمنى بنو إسرائيل أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون لأنه - بزعمهم - « ذو حظ عظيم » .

ولم يتورع اليهود عن التفاخر بأموالهم إلى حد التطاول على العزة الإلهية نحو ما نقرأ في سورة آل عمران^(٢) : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ .

ومن أخلاق اليهود القائمة على أكل أموال الناس بالباطل أن ﴿ كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت ﴾^(٣) . ومن مظاهر ضلالهم وانجرافهم وراء المال ما أودى بهم إلى الكفر وإثارة الحروب والإفساد في الأرض . قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يدُ الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ولزيدهن كثيراً منهم ما

(١) سورة القصص : الآية ٧٦ - ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٦٢ - السحت هو الكسب الحرام .

أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة كلما أقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ^(١) . وقولهم « يد الله مغلولة » - سبحانه - قريب من قولهم « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، وهما يصوران افتتان اليهود بالمال ورضوخهم له حتى أعمامهم عن عقيدة التوحيد التي يزعمون أنهم من أتباعها . قال صاحب « تفسير المنار » في قوله تعالى : « غلت أيديهم » « بأنه دعاء من الله عليهم بالبخل ، وما زالوا أبخل الأمم ، فلا يكاد أحد منهم يبذل شيئاً إلا إذا در عليه ربحاً ^(٢) .

هذا البخل المتأصل في الشخصية اليهودية عبر عنه القرآن الكريم أصدق تعبير في قوله تعالى : « ألم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً » ^(٣) .

وإذ عرضنا جوانب من الخلق اليهودي المرتبط بحب المال فلا بد أن نستنتج منها بعض صفات الشخصية المالية اليهودية المتمثلة في ما يأتي :

- السعي لتحصيل المال بكل الوسائل غير المشروعة . وأكل أموال الشعوب الأخرى بالأساليب الملتوية والطرق غير المستقيمة .

- التباهی بقوة المال والتعالی بها وتقديسها إلى حد الكفر بالله

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) إسرائيليات القرآن ص ١٧٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٣ - التقرير هو النقطة التي في نواة الشمرة ، والمعنى أنهم لا يعطون الناس شيئاً (راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٣) .

سبحانه ، وإطلاق ما لا يجوز من الصفات على الذات
الإلهية .

— البخل الشديد ، والحرص على المال ، ومنع الناس من الإفادة
منه إلا بما يؤدي في النهاية إلى مصالح اليهود دون سواهم .
— تسخير المال من أجل إثارة الفساد في الأرض واستثمار
الحروب والثورات والفتن لمضاعفة الثروات اليهودية في
العالم .

الفصل السادس

تأثير المنظمة الصهيونية في قيادة النشاطات اليهودية في العصر الحديث

ليس كل اليهود صهاينة بالتأكيد ، ولكن لكي ندرك مدى تأثير المنظمة الصهيونية العالمية World Zionist Organization ، في قيادة وتجهيز نشاطات اليهود في العصر الحديث ، ينبغي الإجابة عن هذا السؤال : هل هناك جماعة أو جماعات يهودية فاعلة في « إسرائيل » أو في أي مكان آخر من العالم ، تمارس نشاطها بمعزل عن القيادة الصهيونية ؟

إن الفكرة الصهيونية ، في الواقع ، فكرة قديمة ترتبط بفهم اليهود لأسفار العهد القديم ، وفيه وعد مزعوم للأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب (عليهم السلام) بأن تصبح أرض فلسطين إرثاً دائمًا لهم^(١) . وحسب المعتقد اليهودي فإن اسم صهيون (Zion) ، الذي اشتقت منه الكلمة الصهيونية Zionism يطلق على هضبة في أورشليم (القدس) كان يقع عليها هيكل سليمان^(٢) .

(١) د. أمين عبد الله محمود - مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى - ص ١٣ - (فبراير) شباط ١٩٨٤ .

(٢) أثبتت الأبحاث الأثرية خطأ الاعتقاد اليهودي بأن تلة « صهيون » تقع جنوب غربي =

وكان الاعتقاد السائد ، خلال القرون الوسطى ، أن «صهيون» تقع على المرتفع الجنوبي الغربي لمدينة أورشليم حيث أقيمت كنيسة . ويعتقد المسيحيون أن هذا الموقع هو المكان الذي شهد «العشاء الأخير» لل المسيح وتلاميذه^(١) . وعلى أي حال فالواضح أن مدلول الكلمة «صهيونية» ينطوي على مفهوم يهودي قديم يعود إلى ما قبل «هرزل» (Herzl) ، وقبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في «بازل» بسويسرا سنة ١٨٩٧ . ولكن الصلة بين اليهود وفلسطين ، قبل نشوء الحركة الصهيونية ، كانت صلة عاطفية دينية ، وكانت فكرة قيام الدولة اليهودية في فلسطين ترتبط بمعجمي المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء «هيكل سليمان»^(٢) . إذن كان هناك حلم يهودي قديم بالعودة إلى «أرض الميعاد» ، ولكن الظروف السياسية والاقتصادية الدولية لم تسمح بالإعلان عن هذا الحلم وبرمجته سياسياً إلا ابتداء من أواسط الثلاثينات من القرن التاسع عشر^(٣) ومع ذلك فقد بقىت الفكرة الصهيونية ، بإنشاء وطن يهودي في فلسطين ، مجرد مشروع نظري لم يحظ بأي قبول جدي لدى الدول الكبرى في بادئ الأمر . وقد وصفها المستشار الألماني أوتو بسمارك (Bismarck) بأنها «فكرة حمقاء» ، أثناء انعقاد مؤتمر برلين سنة

= أورشليم لأن مدينة داود (City of David) كانت تقوم على المرتفع الجنوبي الشرقي من المدينة .

راجع : (١) (Encyclopedia International- Book. 19, P.597)

Encyclopedia International Book 19,P.597.

(٢) أمين عبد الله محمود - ص ٥٧ .

(٣) المرجع السابق ٥٧ .

(١) ، ولكن الفكرة كانت تنضج يوماً بعد يوم لأسباب عديدة أهمها :

١ - السيطرة المالية اليهودية على جوانب هامة من الاقتصاد الأوروبي وتأثيرها الفاعل على سياسات الدول الأوروبية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مما أتاح لأثرياء اليهود الإعلان عن نواياهم حيال فلسطين ورغبتهم في تحقيق الهجرة اليهودية إلى « أرض الميعاد »^(٢) .

٢ - ارتباط المصالح الاستعمارية الأوروبية بالأهداف الصهيونية حيث عمدت البرجوازية اليهودية في فرنسا إلى تمويل المستعمرات الفرنسية في فلسطين لدعم المصالح الاستعمارية لأمبراطورية نابليون الثالث ، كذلك ساهم اليهود في دعم مصالح بريطانيا الاستعمارية في منطقة الشرق^(٣) ، وفي الوقت نفسه تمويل مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين ، « بغية إيجاد أقلية يهودية قوية يمكن لبريطانيا الاعتماد عليها في تثبيت دعائم مصالحها

Isaiah Friedman- Germany, Turkey and Zionism 1897- 1918. P.5.

(١)

(٢) س. ناجي - المفسدون في الأرض - ص ٤٣٩ .

(٣) مثلما فعل آل روتشيلد مثلاً عندما مولوا شراء بريطانيا أسهم قناة السويس من الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٥ ، وكانوا في الوقت نفسه يمولون المشاريع الاستيطانية في فلسطين (عالم المعرفة - ص ٥٨ - عدد فبراير (شباط) ١٩٨٤ . مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى) (راجع أيضاً موروا - حياة ذرائيلي - عيون الأدب الغربي - ص ٢١٣) .

الاستعمارية في المنطقة»^(١). أما ألمانيا فقد تحركت بدورها عندما وجدت أن لها مصالح اقتصادية وسياسية في دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين ، حيث أعلن الأمبراطور ويلهالم الثاني (Wilhelm II) ، في سنة ١٨٩٨ ، حماية ألمانيا للاستيطان اليهودي في فلسطين ، بل زاد على ذلك استنتاجه بأن تركيا يمكنها أن تجني مكاسب اقتصادية من الاستيطان اليهودي ، فيما يمكن لألمانيا أن تحصل على موطأ قدم قوية في الشرق وتسهل ، في الوقت نفسه ، إيجاد حل للمشكلة اليهودية (Jewish Problem)^(٢) .

٣ - وجدت طبقة الأثرياء اليهود ، في إنشاء وطن يهودي في فلسطين ، وسيلة للتخلص من عبء فقراء اليهود ، الذين بدأوا يفدون إلى دول أوروبا الغربية ، بأعداد متزايدة من روسيا وبعض أجزاء أوروبا الشرقية ، وهذا ما يفسر التمويل اليهودي لحركة الاستيطان في فلسطين رغم أن الرأسمالية اليهودية بقيت متمركة في دول الغرب الكبرى^(٣) . فقد خشيت البرجوازية اليهودية من مشاركة فقراء اليهود في الحركات الثورية والأحزاب اليسارية المناهضة للأنظمة الرأسمالية الغربية ، وهذه الظاهرة كانت مبعث قلق لأثرياء اليهود لأنها تؤثر على مواقعهم الاقتصادية والسياسية في أوروبا الغربية ، وهذا ما دفعهم إلى البحث عن «وطن»

(١) أمين عبد الله محمود - ص ٥٨ .

Friedman P.6.

(٢)

(٣) أمين عبد الله محمود - ص ٥٨ - ٥٩ .

يهودي خارج القارة الأوروبية يستوعب فقراء اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية^(١).

وبالرغم من هذه الأسباب وغيرها بقي المشروع الصهيوني في فلسطين يواجه معارضة شديدة من اليهود أنفسهم ، وتعرض مشروع الدولة اليهودية (Der Judenstaat) ، الذي وضعه « تيودور هرتزل » (Herzl) ، لهجوم شديد . ووُجد « الرايبون » اليهود في ألمانيا أن المشاريع الصهيونية تخالف التعاليم الدينية اليهودية^(٢) ، وأن المساعي التي يقوم بها دعاة الصهيونية تناقض الوعد التلمودي لليهود^(٣) ، كما أن التعاليم اليهودية المعلنة تفرض على أتباعها الولاء للأوطان الأم التي يتسبون إليها مما دفع بعض اليهود إلى القول إن الصهيونية هي خيانة بحق هذه الأوطان^(٤) . ومن اللافت أن يهود ميونيخ رفضوا آئذ استضافة المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد في مدينة « بازل » السويسرية ما بين ٢٩ و ٣١ آب ١٨٩٧^(٥) ، وطلت الصهيونية تواجه المعارضة من أغلبية اليهود ، ولا سيما يهود أوروبا الشرقية ، وكان ثمة رفض لفكرة الهجرة إلى فلسطين ، واستمرت هذه المعارضة قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية^(٦) . ولم

(١) المرجع السابق - ص ٥٩.

Friedman P.18.

(٢)

(٣) حسب الوعد التلمودي فإن العودة إلى « أرض الميعاد » في فلسطين ترتبط بعودة المسيح المنتظر (Messiah) راجع : Friedman, P. 16 .

Ibid.

(٤)

Ibid.

(٥)

(٦) إسحق دويتشر - اليهودي اللايهودي - ص ٤٦ - ٤٧ .

تكن بدعة العداء للسامية التي ابتكرها الصهاينة تعني ، لدى يهود أوروبا الشرقية ، العداء للصهيونية ، لسبب بسيط وجاهي سبق أن ذكرناه في الفصل الثاني ، ومؤداته أن يهود أوروبا الشرقية لاساميون وهم حديثو عهد باليهودية إذا ما قورنوا باليهود الآخرين^(١) . يقول الكاتب اليهودي « إسحق دويتشر » : « غالباً ما ينظر الرأي العام اليهودي في الغرب إلى العداء للصهيونية بأنه عداء للسامية . ولكن يهود أوروبا الشرقية ، بموجب هذه النظرة ، لاساميون ، وهو أمر سخيف بالطبع »^(٢) .

ولكن هل استمرت هذه المعارضة اليهودية للفكرة الصهيونية ؟ لقد كانت هذه المعارضة تتلاشى شيئاً فشيئاً ، إذ كانت النظرية الصهيونية تحظى بدعم الممولين اليهود الدوليين مالياً وسياسياً ، وساهم في ذلك زهاء مائة ألف نسمة من كبار أثرياء اليهود في العالم ، أمثال البارون إدمون روتشيلد Li-(E.Rothschild) ، والبارون هرش (Hirsch) ، وليليان بلوم (Leon Blum) ، وليون بنسcker (Moses Montefiore) وغيرهم . وبدا أن خضوع اليهود النهائي للحركة الصهيونية ليس إلا مسألة وقت . يقول « دويتشر » : « إن هذه المعارضة اليهودية للصهيونية انتهت إلى الفشل وأسفرت عن هلاك روحى لليهود »^(٣) .

(١) يرفق يهود أوروبا الشرقية إلى شعب الخزر المونغولي الأسيوي ، الذي تحول من الوثنية إلى اليهودية في القرن الثامن الميلادي ، على يد ملك الخزر « بولان ». وهذا الشعب ليس ساماً ، كما يرى بعض الباحثين من اليهود أنفسهم . راجع ما سبق عن هذا الموضوع في الفصل الثاني .

(٢) دويتشر - ص ٤٧ .
(٣) المرجع السابق .

لقد كانت المنظمة الصهيونية تعمل ، في إطار أهدافها غير المعلنة ، على أن تجعل من كل يهودي في العالم صهيونياً ، وهذا ما عبر عنه بن غوريون (Ben Gaurion) عندما وصف اليهود غير الصهاينة بأنهم «أمميون بلا جذور وطنية لا يمكن أن يوجد ما هو أسوأ من هذا»^(١) . ويلاحظ «دويتشر» أن «بن غوريون» يدين بشكل غريزي للصهيونية ويشجب كل أولئك اليهود غير الصهاينة الذين لا تشكل فكرة الاتمام إلى اليهودية فكرة مركبة أو شعوراً متسلاً لديهم . . . »^(٢) .

إذن ، انتهت المواجهة بانتصار الصهيونية على معارضيها من اليهود ، وصار الهدف الأساسي المعلن للصهيونية ، بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، يلقى المزيد من القبول في أوساط اليهود يوماً بعد يوم . وهكذا لم تر الحركة الصهيونية مانعاً من أن تتعاون ، بادئ الأمر ، مع منظمات يهودية أخرى غير صهيونية ، ومن هذه المنظمات مثلاً «الوكالة اليهودية» (Jewish Agency) ، التي لم تثبت أن خضعت للحركة الصهيونية فسيطرت هذه عليها^(٣) . ثم لم تثبت الحركة الصهيونية أن أصبحت تهيمن على نشاطات اليهود كافة وبذلك تسلمت الصهيونية قيادة اليهود في العالم وبادرت ، منذ مطلع هذا القرن ، إلى تحقيق مشروع العودة إلى «أرض الميعاد» في فلسطين بكل الأساليب والوسائل المتوفرة لديها . وكان التأثير الصهيوني واضحاً في كل ما قام به

(١) دويتشر - ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣)

اليهود على هذا الصعيد ابتداء من مؤتمر « بازل » سنة ١٨٩٧ ، الذي حضره مئات شخصية من أكبر أثرياء اليهود في العالم وقرروا فيه إنشاء « وطن قومي » لليهود في فلسطين . وكانت الخطوة الأولى دعم المشروع الاستيطاني الذي اقترحه تيودور هرتزل لشراء أراض في فلسطين^(١) ، كما اتخذت مقررات بقيت في إطار السرية ولكن تنفيذها على الأرض ظهر خلال السنوات اللاحقة ، كما سُنّى بعد قليل^(٢) .

بعد مؤتمر « بازل » باشر « هرتزل » تحركه فوسيط دوق بادن « فريدرיך الكبير » لدى القيصر الألماني فيلهالم الثاني (Wilhelm II) ، فتمكن « هرتزل » من مقابلة القيصر في ١٦ أيلول ١٨٩٧ ، في السفارة الألمانية في فيينا ، وطلب منه التوسط لدى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني للموافقة على منح اليهود استقلالاً ذاتياً في فلسطين^(٣) .

وعندما زار القيصر الأستانته توجّه وفد صهيوني برئاسة هرتزل إلى هناك حيث قابل القيصر الألماني بالأستانة ، يوم ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٩٨ ، وطلب مجدداً إثارة موضوع الوطن القومي اليهودي مع السلطان العثماني ، بعدما أبدى « هرتزل » موافقته على أن يكون المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين تحت الحماية الألمانية^(٤) . وأثناء لقاء القيصر بالسلطان العثماني

(١) أمين عبد الله محمود - ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) المفسدون في الأرض - ص ٤٤١ .

(٣) علي محافظة - العلاقات الألمانية - الفلسطينية ١٨٤١ - ١٩٤٥ ص ١٤٨ .

(٤) المرجع السابق - ص ١٤٨ .

فوجيء القيسر بأن السلطان قابل اقتراحه ، بشأن الوطن اليهودي في فلسطين ، بفتور إلى درجة أنه لم يمكنه المضي في بحث هذا الموضوع أكثر من ذلك^(١) .

وعندما استقبل السلطان عبد الحميد الثاني « هرتزل » في الأستانة ، يوم ١٧ أيار (مايو) سنة ١٩٠١ لمدة ساعتين ، ضرب هرتزل مثل قضية « أندركليس والأسد » ؛ فشبّه نفسه بأندركليس وشبّه السلطان بالأسد ، أما الشوكة التي ينبغي انتزاعها من يد الأسد فهي الضائقّة المالية التي تنوء بها خزينة الدولة العثمانية^(٢) . لقد عرض هرتزل على السلطان إقراض الدولة العثمانية مليين من الليرات الذهبية العثمانية مقابل الموافقة على منح اليهود الاستقلال الذاتي في فلسطين^(٣) . وقد قوبل هذا العرض برفض قاطع من السلطان الذي أدرك حقيقة النوايا الصهيونية حيال فلسطين وعبر عن ذلك في مذكراته إذ يقول : « لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين ، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة وانتخاب ممثليين سياسيين لهم . وإنني أفهم جيداً معنى تصوراتهم الطامحة هذه ، وإنهم لستُج إذا تصوّروا أنني سأقبل محاولاتهم هذه . . . إن هرتزل يريد أرضاً لإخوانه في دينه ولكن الذكاء ليس كافياً لحل كل شيء »^(٤) .

أدركت الصهيونية أن مشروعها في « الأرض الموعودة » لن

Friedman P.97- 98. (٢)

Friedman P.76-77. (١)

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد - مقدمة الكتاب - ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد - ص ١١ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد - ص ١١ .

يرى النور طالما أن السلطان عبد الحميد قائم في الحكم ، فبدأت تعمل ، بوسائلها الخفية والعلنية ، لاستقاطه عن العرش . يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته : « .. وانتظم يهود العالم وسعوا - عن طريق المحافل الماسونية - في سبيل الأرض الموعودة . وجاءوا إلى ، بعد فترة ، وطلبا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة ، وبالطبع رفضت »^(١) .

وأدرك السلطان أن الصهيونية بدأت تعمل ضده عن طريق التدخلات الخارجية بواسطة المحافل الماسونية إذ يقول : « ... وكما استغلَ الإنجليز غفلة أعضاء تركيا الفتاة عن طريق المحافل الماسونية أيضاً ، بدأ الألمان يفعلون هذا مع الفريق الآخر منهم ، وعن طريق المحافل الماسونية أيضاً ، وبهذا الشكل سيطر الألمان على تشكيل تركيا الفتاة في سالونيك ، وسيطر الإنجليز على تشكيل تركيا الفتاة في مناستر » .

وظلت الصهيونية تعمل في هذا الاتجاه حتى تم خلع السلطان عبد الحميد عن العرش سنة ١٩٠٩^(٢) .

نماذج عن النشاطات السرية للحركة الصهيونية

هذه بعض الواقع التي سجلها التاريخ كأمثلة ظاهرة على دور الحركة الصهيونية في اغتصاب فلسطين ، وإقامة دولة يهودية على أرضها . وهناك وقائع أخرى تلقى المزيد من الأضواء على أساليب العمل السرية ، التي كانت تتم بتوجيه من قيادة الحركة الصهيونية ، كإجراءات تمهيدية جرى تدبيرها مسبقاً استعداداً

(٢) المرجع السابق - ص ٦٩ .

(١) المرجع السابق - ص ٦٥ .

إعلان الدولة اليهودية . وقد اقتطعنا من موسوعة « الصهيونية وإسرائيل » هذه الواقع التي أثبتها اليهود أنفسهم ، والتي تبين بعض جوانب نشاطهم السري الذي كانوا يقومون به في لبنان وسوريا في أوائل هذا القرن بتوجيه من الصهيونية العالمية تمهدًا لعودتهم إلى « أرض الميعاد ». جاء في الموسوعة المذكورة ما يأتى :

« إن النشاطات الصهيونية في سوريا ولبنان ، مطلع القرن العشرين ، كانت تتم تحت ستار النشاط الديني وتتخذ شكل النشاط الثقافي ، كما كانت تعطى دروس لتعليم العربية وتلقى محاضرات عن الصهيونية أمام مجموعات شبه سرية ومهاجرين إلى فلسطين »^(١) .

« وقد استخدمت اللغة العبرية دون سواها لتعليم اليهود المبادئ الصهيونية ، ولذلك جرى تدريس العبرية في مدارس « الأليانس » الإسرائيلية في لبنان وسوريا (Alliance Israelite Universal Schools) ، وكانت مناهج هذه المدارس معدة وفق مناهج المدارس العبرية في فلسطين^(٢) ». وفي عام ١٩١٠ وصل إلى دمشق ، آتياً من فلسطين ، اليهودي « إبراهيم المالح » وأسس في العاصمة السورية أول روضة للأطفال ، واستحضر جميع المدرسين فيها من فلسطين . وعلى إثر ذلك باشرت الحركة الصهيونية تنفيذ نشاطات واسعة مترجمة في سوريا . واستكمالاً لبرامج هذه الروضه أنشئت مدرستان لتعليم اللغة

Encyclopedia of Zionism and Israel P.1086. Col (2) L.19- 23.

(١)

Ibid. P.1086. Col. (2) Lines 26-30.

(٢)

العبرية يشكل أساسياً ، وقد كان الأطفال ينشدون الأناشيد الصهيونية باللغة العبرية ، ومع تزايد تمكنتهم من اللغة العبرية كانت الدروس ، ومواضيع ثقافية أخرى ، تلقى عليهم بالعبرية ، حتى باتت اللغة العبرية تسمع داخل « الغيتور » اليهودي في دمشق ، وأصبحت هي الأساس في النشاطات الصهيونية اللاحقة^(١) .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى توسيع النشاط التربوي الصهيوني في سوريا حيث طردت السلطات التركية آنذاك عدداً كبيراً من اليهود من فلسطين ، فلجأوا إلى دمشق ، وبين هؤلاء المبعدين « دافيد إيللين » وابنه « إفizer » وإبراهيم المالح ، والكاتب والشاعر « أوفاديا كيمحي » . هؤلاء الأربعة ساعدوا في نشر اللغة والثقافة العبريتين ، ووضعوا مؤلفات في تاريخ فلسطين وجغرافيتها . وتحت ستار النشاطات الثقافية نفذت الروح الصهيونية إلى المجموعة اليهودية في دمشق وكذلك في حلب ولو بقدر أقل^(٢) .

وبعد الحرب العالمية الأولى تمددت شبكة المدارس اليهودية ، وتوسعت برامج التعليم بحيث تلقى ألف من الطلاب اليهود التعليم العربي والصهيوني^(٣) . وفي سنة ١٩٢٨ زار دمشق « يهودا كوبيليفتز » (Kopilevitz) ، وكان عضواً في مجلس إحدى المستعمرات الزراعية في فلسطين (Kibbutz) حيث ذكر ، وساهم في

Ibid. Col 2. Lines 31-41.

(١)

Ibid. Col 2. Lines 45- 54.

(٢)

Ibid. Col 2. Lines 55- 58.

(٣)

إنشاء منظمة هالوتز (Halutz) ، وهي كلمة عبرية تعني «الرائد» . وكانت هذه المنظمة قد بدأت من قبل العمل في لبنان ، وساعدت على نشر المبادئ الصهيونية بين اليهود العرب ، وكان هدفها الرئيسي تشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين . ورغم أن السلطات الوطنية في لبنان وسوريا منعت ، في ذلك الوقت ، الهجرة اليهودية ، إلا أن سلطات الانتداب الفرنسي كانت تعلم بالهجرة غير الشرعية لليهود اللبنانيين والسوريين إلى فلسطين وكانت تتجاهل الأمر^(١) . وتسجل «الموسوعة الصهيونية» أن الموارنة في لبنان تعاطفوا مع الصهيونية آنذاك ، وأن المطران الماروني مبارك ، كان من مؤيدي الصهيونية^(٢) . والجدير باللاحظة أن معظم حالات الهجرة اليهودية من لبنان وسوريا إلى فلسطين كانت تتم بشكل مخالف للقانون^(٣) . وقد انخرط اليهود في سوريا ، كغيرهم من يهود البلدان الأخرى ، في منظمات كانت تعمل بشكل سري من أجل إعلان استقلال دولة إسرائيل^(٤) .

الاحتواء الصهيوني للنشاطات اليهودية :

ومن العسير أن نجد فاصلاً بين النشاطات اليهودية ، منذ مطلع هذا القرن ، وبين المخططات الصهيونية . ومن الأمثلة على هذه الحقيقة ما كتبه «ناحوم غولدمان» Nahum

Ibid. P. 1087. Col. 1. Lines 8- 18.

(١)

Ibid. P. 1087. Col. 1. L. 19- 22.

(٢)

Ibid. P. 1088. Col. 1. L. 27- 28, 42- 43.

(٣)

Ibid. P. 1088 Col. 2. L. 46- 48.

(٤)

(Goldmann) ، الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي ، في مذكراته عن علاقاته بقيادة الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة . هذا مع العلم أن الدعاية الإعلامية كانت تصف « غولدمان » بأنه معارض للصهيونية ، وقد تقبل الكثيرون ، لا سيما في العالم العربي ، شخصية غولدمان بأنه يهودي معتدل معارض للصهيونية . ولكن بعض الواقع التي يرويها « غولدمان » نفسه في مذكراته تؤكد تعاطفه مع وسائل العمل التي يتبعها الصهاينة ، بل إنه شارك أحياناً في نشاطات صهيونية . يقول « غولدمان » إنه بعد وصوله إلى الولايات المتحدة ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، طلب إليه القادة الصهاينة في أميركا ، والمكتب الصهيوني التنفيذي في القدس آنذاك ، أن يتولى إدارة لجنة الطوارئ الصهيونية ، التي كان من مهامها أن تعمل بالنيابة عن جميع الجماعات الصهيونية في أميركا ، وقد قبل غولدمان هذه المهمة الصهيونية^(١) .

ونلاحظ ، في سياق مذكرات « غولدمان » ، ما يؤكّد تعاطفه مع الصهيونية حيث يعتبر مثلاً أن الأساليب التي يتبعها الصهيونيون ، في ممارسة الضغوط السياسية في الولايات المتحدة ، تأتي في إطار الممارسة الديمocrطية ، ويرى أن هذه « الديمocrطية » إنما تتكون من قوى ضاغطة كثيرة تحاول كل منها إبراز نفسها ، وإنه من غير الإنفاق أن يكون الضغط الصهيوني وحده موضع اللوم^(٢) . وفي اعتقادنا أن الخلاف المزعوم الموحى

Nahum Goldman Memories. P. 200.

(١)

Ibid. P.P. 206- 207.

(٢)

به ، بين «غولدمان» والقادة الصهيونيين ، إنما هو من قبيل تقاسم الأدوار في سبيل تحقيق هدف واحد . وإذا صدقنا مزاعم «غولدمان» عن وجود خلافات عديدة في وجهات النظر مع «الرملاء الصهيونيين»^(١) ، فليس بإمكاننا أن نكذب الواقع التي تشهد بأن هذه «الخلافات» كانت هامشية ، وتتناول أساليب العمل ، وليس الأهداف الكبرى المشتركة ، بل يورد «غولدمان» نفسه مثلاً من هذه «الخلافات» حيث يقول إنه كان ضد الإفراط في استعمال أساليب القوة والعنف في التعاطي مع السياسة الأمريكية ، وكان يشدد دائماً على أهمية إقامة صداقات وعلاقات شخصية مع رجال الدولة في أميركا^(٢) ، فهو لم يكن ضد الأهداف الصهيونية وإنما كان الخلاف ، في معظمها ، يدور حول أساليب العمل اليهودي الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف . ويحدثنا «غولدمان» عن الشخصيات اليهودية ، التي كان على اتصال دائم معها في الولايات المتحدة الأمريكية ، مبدياً إعجابه بالإنجازات التي حققها ، وقد كان معظم هؤلاء من قادة الحركة الصهيونية . فهو يحدثنا مثلاً عن «لويس برانديس» Louis (Brandeis) ، الشخصية الأكثر أهمية في زمانه بين الشخصيات الصهيونية في أميركا ، والذي كان عضواً في المحكمة العليا ومن الأصدقاء المقربين للرئيس «ويلسون» ، ثم للرئيس «روزفلت»^(٣) . ويرى «غولدمان» أنه لو لا الضغط الذي مارسه «برانديس» على الرئيس «ويلسون» ، الذي مارس بدوره

Ibid. P. 207. (١)

Ibid. P. 207- 208. (٣)

Goldman P. 207. (٢)

الضغط على الحكومة البريطانية ، ما كان ليصدر ، على الأرجح ، وعد بلفور (Balfour Declaration)^(١) ، كما يحدثنا عن صديق صهيوني آخر هو « فليكس فرنكفورتر » (Felix Frankfurter) ، أستاذ القانون في جامعة هارفارد وعضو المحكمة العليا وأحد أبرز النافذين في إدارة الرئيس « روزفلت »^(٢) . ويمضي « غولدمان » في تعداد أهم أصدقائه الصهيونيين في أميركا أمثال « هنري مورغنتاو » (Henry Morgenthau) ، وزير المالية في إدارة الرئيس روزفلت^(٣) ، و « لويس ليبسكي » (Louis Lipsky) ، الذي جمع بين مناصب عديدة في منظمات يهودية وأخرى صهيونية فكان رئيساً للمؤتمر اليهودي الأميركي والناطق باسم المؤتمر المذكور ، وعضوًا في الهيئة التنفيذية للصهيونية العالمية . ويصفه « غولدمان » بأنه كان « صديقاً وشريكًا في العمل لا يمكن الاستغناء عنه »^(٤) ، و « ماير ويسغال » (Meyer Weisgal) « الصحافي والصهيوني المتحمس منذ شبابه »^(٥) ، والرائي « سولومون غولدمان » (Solomon Goldman) الذي حرمت الحركة الصهيونية بمותו المبكر أحد المناضلين لإقامة الدولة اليهودية ، و « روبرت زولد » (Robert Szold) أحد أقدم الصهيونيين في أميركا^(٦) .. الخ .

ويتبيّن لنا مما تقدّم أن النشاطات اليهودية تدور في فلك واحد سواء كانت صادرة عن منظمات صهيونية أو يهودية غير صهيونية ،

Goldman P.P. 210- 211.

(٤)

Ibid. P. 208.

(١)

Ibid. P. 211.

(٥)

- Goldman P.P. 208- 209.

(٢)

Ibid. P. 212.

(٦)

Ibid. P. 210.

(٣)

وهذه الحقيقة عَبَرَ عنها الصناعي الأميركي هنري فورد ، الذي خبر الكثير من الجوانب الخفية للنشاطات اليهودية في أميركا ، إذ يقول : « لا ريب في أن الكهيللا^(١) هي الرد الصحيح على الأقوال المضللة التي تقول بأن اليهود منقسمون على أنفسهم اليوم مما يجعل من المتuder قيام عمل منسق بينهم . فمثل هذا القول لا يقصد منه إلّا الاستهلاك في أوساط الأغيار (أي غير اليهود) . فجميع التجارب تظهر ، حتى لأقل المراقبين دقة للأوضاع وللنـشـاط اليهـودـي ، أن الرأسـمـالي والـبـلـشـفي ، وأنـالـحـاخـامـ والـزـعـيمـ النـقـابـيـ ، يتـحدـونـ جـمـيعـاًـ فيـ ظـلـ رـايـةـ يـهـوـذـاـ ، ولوـ حـاوـلـتـ أنـ تـمـسـ الرـأـسـمـالـيـ الـمـحـافـظـ ، إـذـ كـانـ يـهـودـيـاـ ، بـأـذـىـ ، لـرـأـيـتـ الشـيـوعـيـ الأـحـمـرـ ، إـذـ كـانـ يـهـودـيـاـ ، يـسـارـعـ إـلـىـ نـجـدـتـهـ وـالـدـفـاعـ عنـهـ » .

ويمضي فورد قائلاً : « ولعله منظر غريب ومؤثر ، يبدو في « الكهيللا » ، إذ ترى شعباً ذا أصل عنصري واحد^(٢) وله إيمان واضح في نفسه وفي مستقبله ، يتتجاهل خلافاته الداخلية ، ويتحـدـ سـرـاًـ فيـ منـظـمةـ قـوـيـةـ تـرمـيـ إـلـىـ تـقـدـمـ هـذـاـ الشـعـبـ عـنـصـرـياـ ومـادـيـاـ وـديـنيـاـ عـلـىـ حـسـابـ الآخـرـينـ »^(٣) .

ولعلنا نستطيع الآن ، من خلال ما أوردنـاهـ ، أن نجيب على

(١) الكهيللا - (Kehila) تعني الجمعية أو الحكومة التي ينضوي تحتها اليهود في بلدان المنفى (الدياسبورا) .

(٢) سبقت الإشارة إلى بطلان القول بالأصل العنصري الواحد لليهود اليوم بدليل أن يهود أوروبا الشرقية ينحدرون من شعب الخزر غير السامي .

(٣) فورد - اليهودي العالمي - ص ١٥٩ .

السؤال الأول ، الذي طرحته آنفًا ، فنقول إنه من الصعب علينا التسليم بوجود نشاطات يهوديةاليوم تتم بمعزل عن التخطيط اليهودي السري الذي تقوده الحركة الصهيونية العالمية في هذه الحقبة من تاريخ اليهود ، وحسبنا الإشارة إلى عبارة أوردها كاتب يهودي أميركي فقال : « إن يهود أمريكا قد أصبحوا فجأة ، على نحو جماهيري حاشد ، صهيونيين فوريين »^(١) .

ولقد كان الهدف المعلن للصهيونية ، في أوائل هذا القرن ، إنشاء وطن يهودي في فلسطين ، فلما تحقق هذا الهدف ، بإعلان قيام دولة إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، بدأت الصهيونية تتحرك في اتجاهات أخرى . إنها لم تكتف بقيام الدولة اليهودية بل أخذت تجاهر بأن نشاطها صار مكرسًا لتشجيع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، وتنمية الروابط الثقافية بين الدولة اليهودية واليهود في كل مكان من العالم^(٢) .

خاتمة

وهكذا يتبيّن لنا أن الحركة الصهيونية إنما تريد ، بمشروعها التوسيع في فلسطين ، أن تستوعب الدولة اليهودية كل اليهود في العالم ، وهي بذلك تضع وزير الاضطهاد الذي لقيه اليهود في أوروبا المسيحية على عاتق العرب والمسلمين . هذا الموقف الصهيوني ينطوي على متهى الجحود والنكران حيال الشرق الإسلامي الذي فتح أبواب التسامح أمام اليهود الهاجرين من

(١) ستيفن . د . إيزاكس - ص ٢٤١ .

Encyclopedia International Book 19. P. 597.

(٢)

الاضطهاد المسيحي في أوروبا ، مثلما حدث عندما استقبلت الدولة العثمانية اللاجئين اليهود من إسبانيا ، في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر^(١) . إن الجاليات اليهودية نعمت ، في ظل الحكم الإسلامي ، بعهود ذهبية (-Jew ish Golden Age) لا سيما في الأندلس وشمالي إفريقيا وبغداد^(٢) لم تظفر بمثلها في أوروبا باعتراف اليهود أنفسهم ، وحسبنا دلالة على ذلك أن « الغيتو »^(٣) هي لفظة أوروبية المنشأ ، ولم يكن هناك ما يماثلها في الشرق العربي^(٤) .

يقول الكاتب اليهودي « داغوبيرد رونيس » في كتابه « اليهودي والصلب » (The Jew and the Cross) : « إن السلام حلّ على اليهود في الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا مع مجيء الحكم الإسلامي ، ولم يحل بهم الدمار إلا على يد الصليبيين في فلسطين »^(٥) . ويدرك « رونيس » أن « حملة الصليب » عندما احتلوا القدس ، في سنة ١٠٩٩ م ، حشروا من بقي من اليهود في المدينة داخل المحفل اليهودي (Synagogue) وأضرموا فيه النار . وبعد تلك السنة وعلى امتداد الحكم المسيحي للمنطقة لم يوجد أي يهودي على وجه الأرض في الأراضي المقدسة^(٦) .

Friedman P.P. 20- 21.

(١)

(٢) الشخصية الإسرائيلية ص ٨٢ .

(٣) « الغيتو » : كلمة من أصل إيطالي على الأرجح كانت تطلق على الحي المخصص لسكن اليهود في المدن الأوروبية بحيث لم يكن يسمح لهم الاختلاط بالمسيحيين .

(٤) المرجع السابق - ص ٧٤ - ٧٥ .

Ibid. P. 76. (٦)

Runes. *The Jew and the Cross* P. 76. (٥)

لقد كانت الصهيونية خيانة كبرى ارتكبها اليهود بحق الشرق العربي ، الذي عاملهم بسماحة منقطعة النظر على مدى قرون ، وبدلًا من أن يعالجوا أسباب اضطهادهم في أوروبا وجدوا أن الحل الأسهل أن تلتقي مصالحهم الاستيطانية في فلسطين مع المصالح الأوروبية الاستعمارية في الشرق العربي ، وهكذا كان حل المشكلة اليهودية في أوروبا (Jewish Problem) على حساب العرب والمسلمين في فلسطين . إن قضية اليهود في العالم أصبحت اليوم في يد الصهيونية ، وهذه الأخيرة أصبحت ترتبط ارتباطاً عضوياً بالاستعمار الغربي حتى أصبح التيار الخفي للحضارة والثقافة الغربية ملوثاً بالأساطير الصهيونية ، سواء الدينية منها والعلمانية^(١) .

(١) ريجينا الشريف - ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز - الصهيونية غير اليهودية - ص

جرائم القتل والاغتيالات السياسية

لم يقترن تاريخ شعب من الشعوب بالقتل مثلما اقترن به تاريخ بني إسرائيل . فهو تاريخ مخضوب بالدماء منذ أيام «إسرائيل» حيث يخبرنا العهد القديم مثلاً أن ابنه شمعون ولاوي أعملا السيف في أهالي مدينة «شكيم» في أرض كنعان وقتلا كل ذكر فيها^(١) ، أما يهوديت الأرملة فقد حزّت رأس «أليفانا» ، عدو بني إسرائيل ، وعلقتها على أسوار أورشليم^(٢) . وأما «أستير» فقد أمكنت قومها اليهود من أن يقتلوا «هامان» وخمسمائة رجل من أعدائهم^(٣) . ونقرأ في العهد القديم أيضاً أوصفاً لموقع عديدة تبين شهوة القتل والانتقام الكامنة في صدور بني إسرائيل ، وشغفهم برؤية الدماء تسيل ، فهم لا يوفرون أحداً من القتل عندما يقدرون فيقتلون «كل رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»^(٤) . ويروي سفر

(١) سفر التكريم الفصل ٣٤ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سفر يهوديت - الفصل ٨ وما بعده ص ٨٦٦ - ٨٧٤ .

(٣) سفر إستير - الفصل ٩ ص ٨٨٩ .

(٤) سفر يشوع ٦ - ٢٠ : ٢١ .

القضاة أن اليهود قتلوا من المؤابيين نحو عشرة آلاف رجل ولم ينج منهم أحد ، كما قتلوا من الفلسطينيين ستمائة رجل^(١) ، كما أنهم قتلوا كل النساء والأطفال وكل ذكر من سكان « يابيش جلعاد » ولم يبق حياً سوى العذاري اللواتي لم يعرفن رجلاً بالاضطجاع^(٢) . وفي سفر يشوع أن الله - سبحانه - أوقف له الشمس ليتمكن من النهب والإبادة وقتل الأطفال والنساء^(٣) . وفي « العهد القديم » أمثلة كثيرة على شهوة القتل عند اليهود وتمسکهم بفكرة إبادة الأمم الأخرى عن وجه الأرض .

أما التلمود ففيه دعوة صريحة إلى قتل كل من يحاول معرفة أسرار الديانة اليهودية ؛ إذ نقرأ في سانهدرين (Sanhedrin 59a) : « يقول الرابي جوشanan : الغوي (غير اليهودي) الذي يتفحص بفضول « القانون » ، أي النصوص الدينية اليهودية ، مجرم يستحق الموت »^(٤) . ونقرأ في « شوشين هاميشبات » (Choschen Hammischipat) : « الذين ينكرون التوراة وأنباء إسرائيل ، القانون يقول إن الجميع يجب قتلهم ، وعلى الذين بيدهم زمام الحياة والموت قتلهم ، وإذا لم يكن ذلك بالإمكان ، يجب تقديمهم إلى الموت بطرق مخادعة »^(٥) . وفيه نقرأ أيضاً : « إذا ثبت أن شخصاً معيناً ضلل « إسرائيل » ثلاث مرات ، أو أعطى مال الإسرائيلىين إلى الآكوم (أي غير اليهود أو

(١) سفر القضاة - ٣ و ٤ : ٢٩ - ٣١ .

(٢) سفر القضاة - ٢١ : ١٠ - ١٢ .

(٣) سفر يشوع - ١٠ : ١٢ - ١٣ .

(٤) الأب برانايتس - فضح التلمود ص ١٤٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤٢ .

المسيحيين) فيجب إيجاد طريقة ، على أساس تفكير حصيف متذر ، لمحوه عن وجه هذه الأرض «^(١) .

وفي «أيور ديه» (Iore Deah) ورد الآتي : «الأكوم ، الذين هم ليسوا خصومنا ، يجب أن لا يقتلو في الحال ، ومع ذلك ، فيجب أن لا ينقذوا من خطر الموت . فإذا رأيت أحدهم ، على سبيل المثال ، يغرق في البحر فلا تنتشه إلا إذا تعهد بمنحك مالاً»^(٢) .

ومن تعاليم التلمود قوله : «إذا رأيت الأคอม في ضيق أو بلاء أو غارقاً في مياه لا تساعد ، وإن كان يواجه خطر الموت لا تنقذه من الموت»^(٣) .

ويعتبر قتل اليهودي ، حسب العقيدة اليهودية ، جريمة كبرى من الكبائر الثلاث . أما الاثنان الآخريان فهما عبادة الأوثان وفاحشة الزنا^(٤) . أما اليهودي الذي يسبب موت يهودي آخر فهو مذنب بارتكاب ما يدعوه التلمود «خطيئة ضد شرائع السماء» (Laws of Heaven) ، وعقابه يعود إلى الله وليس إلى الإنسان^(٥) .

أما إذا كان الضحية من غير اليهود (Gentile) فيختلف الأمر . إن اليهودي الذي يقتل شخصاً غير يهودي هو مذنب كونه ارتكب خطيئة تخالف تعاليم السماء ولكن لا يمكن تقديمها إلى

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٩ .

(٤) Israel Shahak- Khamsin № 9 P. 25.

(٥) Ibid. P. 25.

المحاكمة^(١) ، أما إذا تسبّب اليهودي بموت الأغيار ، بشكل غير مباشر ، فهو ليس مذنباً البة لأن التسبب بموت غير اليهودي لا يعتبر خطيئة ، ولكن يحظر التلمود على اليهودي القيام بمثل هذا العمل إذا كان من شأنه أن يؤدي إلى أعمال عدائية ضد اليهود^(٢) .

ويختلف الأمر إذا كان القاتل من غير اليهود ، ففي هذه الحالة يجب إنزال عقوبة الإعدام به ، سواء أكان الضحية يهودياً أو غير يهودي . ولكن إذا تحول القاتل إلى الديانة اليهودية فلا يتعرض للعقوبة !^(٣) .

ويعتقد اليهود ، وفق تعاليمهم الدينية السرية ، بأنهم قتلوا المسيح (عليه السلام)^(٤) . ومن الألقاب التي يطلقها التلمود على المسيح عبارة « الرجل الذي شنق » وجاء في « سانهدرين » ما يلي : « في ليلة عيد الفصح (الفصح اليهودي) شنقوا يسوع »^(٥) .

Ibid. P. 26.

(١)

Ibid. P. 26.

(٢)

Ibid. P. 26.

(٣)

(٤) أصل الماسونية - تعريب عوض الخوري - ص ٨٠ - ٨١ .

(٥) الأدب برانايتس ص ٦٤ - ٦٢ .

وقد فند القرآن الكريم زعمهم أنهم قتلوا المسيح (عليه السلام) مع تقريرهم لقتلهم الأنبياء من قبل . قال تعالى : « **فِيمَا نَقْضُهُمْ مِنَّا ثَقَلَتْهُمْ وَكَفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَغْيًا وَقَوْلُهُمْ كَلْفًا بِلَ طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ بِهَتَّانًا عَظِيمًا*** وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَلَّتْنَا **الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهُ لَهُمْ وَإِنْ**

ويخبرنا التاريخ عن الفيلسوف والمصلح الروماني « سينيكا » (Seneca) (٤ق. م . - ٦٥ب. م .) ، الذي عاصر المسيح (عليه السلام) ، أنه كان مربياً للأمبراطور الروماني « نيرون » ، وعندما وقع هذا الأخير تحت سيطرة المرايin اليهود تحول إلى واحد من أسوأ حكام التاريخ . فما كان من « سينيكا » إلا أن فضح عمليات المرايin وممارساتهم الفاسدة أمام الشعب^(١) ، فكان أن فقد نفوذه وأرغم على الانتحار ، كما تقول كتب التاريخ^(٢) . وسواء اتحرّم قُتل فالنتيجة واحدة : لقد لقي حتفه بصورة غامضة عندما فضح جرائم المرايin اليهود . ويقال إن اليهود حاولوا قتل « بولس الرسول » لأنّه كان حاخاماً يعرّف أسرار الديانة اليهودية قبل أن يعتنق المسيحية ، كما ورد في أعمال الرسل : ٢٣ - ٢٦^(٣) .

وقد مرت معنا ، في الفصل الثاني من هذا البحث ، روايات مفادها أن اليهود حاولوا مرتين قتل النبي ﷺ إحداهما بواسطة السم ، وأنهم دسوا السم لل الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، وكانت ثمة مؤشرات على ضلوع أحد علمائهم ، كعب الأحبار ، في مؤامرة اغتيال عمر بن الخطاب ، ودلائل على دورهم في تأجيج الفتنة الكبرى بين المسلمين ، وظهور فرقـة مرتلة بين المسلمين عرفت باسم « السبئية » كان يقودها اليهودي عبد الله بن

= الذين اختلفوا فيه لففي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً
بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا [سورة النساء : الآيات ١٥٥ - ١٥٨] .

(١) غاي كار ص ٥٢ .

(٢) غاي كار ص ٥٢ و ٣٤٩ Encyclopedia International Vol. 16. P. 349.

(٣) التوراة - تاريخها وتعاليمها - ص ٩٠ .

سباً . وقد يكون من العسير إحصاء كل ما ارتكبه اليهود من الجرائم في التاريخ القديم ، ولكن الأدلة القائمة تؤكد أن تاريخهم القديم والحديث مخضب بالدماء ، ولذلك وصفتهم أسفار «العهد القديم» بكثير من الصفات المذمومة ، كما مر معنا ، وهو ما أكدته أيضاً الأنجليل المتداولة في أقوال منسوبة إلى المسيح (عليه السلام) . أما في القرآن الكريم فإن الجرائم اليهودية تبلغ ذروتها في قتل الأنبياء بغير حق^(١) . وعنصر الشر هو الغالب على خلق اليهود في حكم القرآن فهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) ، وإن ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣) . وهناك فئة قليلة منهم مقتصدة - أي معتدلة - ولكن أكثرهم مردوا على ارتكاب الشرور ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِّدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) .

أشكال الجريمة وأساليب القتل عند اليهود :

عرف تاريخ البشرية ، قديماً وحديثاً ، شعوراً سفك الكثير من الدماء واستخدمت قوتها المادية في تدمير الشعوب الأخرى ، وأعملت السيف والنار في إنجازات البشرية ، على نحو ما نرى في تاريخ المغول والتار والفاشية والنازية مثلاً . ولكن ظهور هذه القوى المتعطشة للسلطة والنفوذ ، وإخضاع الشعوب ، كان يشبه موجة طاغية من الهمجية لا تلبث أن تزول وتنحسر عن صدر البشرية بعد أن تقوم بدورها التخريبي لفترة من الزمن . أما دور اليهود فهو يختلف عن ذلك من حيث خفائه واستمراره . فالقراءة

(١) سورة النساء : الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٥٥ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٦٦ .

الواعية لتاريخ اليهود ، قديماً وحديثاً ، تظهر لنا أن عمليات القتل والإبادة ، التي ساهم اليهود فيها أو خطط لها العقل اليهودي منذ أقدم العصور ، كانت دائماً تصدر عن نشاط سري له هدف استراتيجي مستمر هو القضاء على جميع مظاهر القوة المعنوية ، والمادية عند الشعوب الأخرى ، لكي تبقى الهيمنة على البشرية للشعب اليهودي وحده ، لأن السلام لن يعم الأرض إلا عندما يحكم اليهود العالم ، كما يزعمون^(١) .

وليست النزعة إلى الجريمة والقتل صفة عارضة في الشخصية الإسرائيلية وإنما هي خلق متصل في هذه الشخصية وله جذور دينية مستمدة من تعاليم اليهود التلمودية السرية التي تقول : « اقتلوا من هم أكثر أمانة من غير اليهود .. ومن يرق دم الغويم يقدم قرباناً إلى الله »^(٢) وقال التلمود : « من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر ، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله » . أما عبارة « لا تقتل » الواردة في الوصايا العشر فقد فسرها الرائي « موسى بن ميمون » بأنها « نهي عن قتل شخص منبني إسرائيل »^(٣) . وبذلك فإن جرائم القتل والاغتيالات السياسية التي نفذها اليهود ، قديماً وحديثاً ، ليست سوى استجابة لما يؤمنون به وتوجّهه عليهم عقidiتهم الدينية السرية .

إن جرائم القتل التي ارتكبها اليهود مباشرة ، أو اتهموا بارتكابها ، أو التحرير علىها ، أو التخطيط لها ، أو المشاركة

(١) المفسدون في الأرض - ص ٣٤٩ .

(٢) سبيريدوفيتش ص ١٠٠ .

(٣) روهلنج - اليهودي على حسب التلمود - ص ٤٦ .

فيها جرى تنفيذها بأشكال مختلفة وأساليب عديدة ، ولكنها تصب كلها في غاية واحدة هي تحقيق سيطرة شعب إسرائيل على جميع الشعوب الأخرى . فالقاسم المشترك بين جميع هذه الجرائم - بالرغم من غموض بعضها وعدم وجود الدليل الكافي على اتهام اليهود في بعضها الآخر - هو أنها كانت تنطوي على مصلحة ما لليهود ، وكفى بهذا دليلاً على تورطهم فيها ، بالرغم من كل ما يتلوخونه من حذر وسرية في العمل ، لأن القرآن والدلالات تشير دائمًا إلى المجرم ، ولأن آثار الفعل ونتائجها تدل على الفاعل . وسنعرض لبعض أشكال وأساليب القتل هذه ، ما ظهر منها للعيان وما خفي عن الأنظار . وهي ، على كل حال ، تبقى وقائع قائمة وشاهد حيًّا على نزعة الجريمة في الشخصية اليهودية ونماذج من الأساليب المتبعة في تنفيذها :

أولاً : الجرائم التي ارتكبها اليهود بشكل مباشر :

على الرغم من الواقع الذي تؤكد ضلوع اليهود في كثير من عمليات القتل والاغتيالات السياسية ، فإن الجرائم التي نفذت بأيدٍ يهودية ، وبشكل مباشر وصريح ، لم تظهر على حقيقتها السافرة إلا على يد الحركة الصهيونية ، ولا سيما بعدما نجحت في إنشاء «دولة يهودية» على أرض فلسطين . فمنذ العصور الوسطى لم يكن بإمكان اليهود أن يفصحوا عن حقيقة نوایاهم ومشاعرهم نحو الشعوب الأخرى ، وخاصة في أوروبا ، حيث تعرضوا لكثير من الاضطهاد وعاشوا ضمن أسوار «الغيتو» كشعب منبوذ لا يحق له الاختلاط الآخرين ، ولا ينال من الحقوق ما يناله المسيحيون . وفي وضع كهذا بقي الحقد اليهودي مكبوتاً حتى

جاءت الصهيونية ، بالتعاون مع الدول الاستعمارية الكبرى ، وفجرته على أرض فلسطين ليدفع الشعب الفلسطيني ثمن جرائم لا علاقة له بها ، بل يسأل عنها اليهود أنفسهم ، بالدرجة الأولى ، والشعوب الأوروبية التي اضطهدتهم ، بالدرجة الثانية^(١) . وعندما أصبح لليهود دولة ، وأمنوا خطر الاضطهاد ، ظهرت نزعة الجريمة في الشخصية الإسرائيلية بشكل أكثر وضوحاً من ذي قبل ، وكثرت الجرائم التي ارتكبوها بشكل مباشر ، كما سرى بعد قليل ، ومع ذلك فقد سجل التاريخ ، قبل إعلان دولة « إسرائيل » ، الكثير من أعمال القتل التي نفذها اليهود ، ولم تكن هذه الجرائم من النوع العادي ، الذي يحصل في جميع المجتمعات ، بل كانت جرائم مميزة ، وكان الدافع إليها في الغالب أسباباً سياسية ودينية تخص اليهود ، دون سواهم ، يهدفون من ورائها تحقيق ما يعتقدون فيه مصلحتهم الخاصة على حساب الآخرين . وهناك جرائم كثيرة وقعت قبل وبعد إعلان دولة إسرائيل سنشتعرض منها ما يلي :

١ - أظهرت مراسلات القنصلية البريطانية في القدس ، ما بين سنتي ١٨٣٨ و ١٩١٤ ، حدوث جرائم قتل ارتكبها يهود . وهذه نماذج منها :

أ) عندما انتشر وباء الطاعون في القدس ، سنة ١٨٣٩ ، انتشر معه ذكر طبيب يهودي يدعى إسحق راشي (Isaac Rushee) أزهق من أرواح الناس أكثر مما فعل الطاعون ، حيث كان المرضى يموتون من سوء معالجته ، كما كان يتلقى الرشاوى

من المرضى لينقذهم من الحجر الصحي الذي كان مفروضاً بسبب الوباء . أما إذا كان المريض فقيراً ، أو عجز عن تقديم الرشوة ، فيكون مصيره الموت في الغالب ، إذ كان هذا الطبيب اليهودي يرفع به تقريراً يؤكد إصابته بالطاعون فيؤخذ المريض إلى الحجر الصحي مع المصابين الآخرين وينتهي به الأمر إلى موت شبه محتم^(١) .

ب) في الرابع من آب (أغسطس) ، سنة ١٨٤٧ ، اتهم الحاخام الأكبر في القدس بتدبير جريمة اغتيال يهودي يدعى سولومون أغلاي (Solomon Aglai) لأسباب أخلاقية . وعمد منفذو الجريمة إلى قتل مكاري مسلم من أبناء المدينة استأجره « سولومون » لنقل أغراضه ، ولم يكن له أية علاقة بالخلاف ، مما أثار غضب المسلمين ، ولكن الحماية البريطانية تدخلت لمصلحة اليهود^(٢) . وقد كان اليهودي البريطاني « موسى مونتفiori » (Moses Montefiore) يتدخل باستمرار لمعالجة المشكلات ، التي يشيرها اليهود في فلسطين ، بواسطة القنصلية البريطانية في القدس^(٣) .

ج) في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ قُتل الرابي « دافيد برلينر هيرشل » (Rabbi David Berliner Herschell) بواسطة Abraham . واتهم صهره أبراهام غولدسوين^(٤)

Albert. M. Hyamson. *The British Consulate in Jerusalem in relation of the Jews (١) of Palestine 1838- 1914 Part (1) P. 9.*

Ibid. P. 105. (٢)

Ibid. P. 188. (٣)

(Goldtsweig) وابناء « إسحق » و « جوناه » بارتكاب الجريمة . وكان المجرمون الثلاثة يتمتعون بحماية القنصلية البريطانية في القدس ، فلم يتوصل التحقيق إلى كشف الدوافع الحقيقة للجريمة والمحرضين عليها ، واكتفى بالقول إن الدوافع شخصية ، ونسب إلى الابن الأصغر « جوناه » أنه هو الذي ارتكب جريمة قتل جده لأمه^(١) . وتدخلت الخارجية البريطانية لمنع المحاكمة عن الأب (أبراهام) ، الذي كان يعتبر هو القاتل الحقيقي^(٢) . ومع أن ملف التحقيق بقي مفتوحاً فلم تكشف أبداً الأسباب الحقيقة للجريمة . ولكن عائلة « الرابي » القتيل اتهمت باغتياله « كل أولئك اليهود ذوي السمعة السيئة الذين كانوا يريدون ابتزازه »^(٣) .

٢ - خلال الفترة ما بين شباط (فبراير) وأيلول (سبتمبر) من سنة ١٨٤٠ تناقل الناس في الشام ومصر والعواصم الأوروبية تفاصيل جريمة بشعة ارتكبها عدد من اليهود ، في « حارة اليهود » بمدينة دمشق ، وكان ضحيتها قسيس يسوعي إيطالي الأصل Padre Tomaso de فرنسي الجنسية هو الأب توما الكبوشي (Galangiane) الذي قتل مع خادمه . وكشفت التحقيقات عن عشرة من اليهود قاموا بتنفيذ الجريمة بينهم ثلاثة حاخامات . وقد استمرت عملية التحقيق بضعة أشهر وأشرف عليها شريف باشا ، والي محمد علي في الشام ، وقناصل إيطاليا وفرنسا وبريطانيا .

Hyamson P. P. 180- 183.

(١)

Ibid. P. 182. (٣)

Ibid. P. 188.

(٢)

وثبتت الجريمة على اليهود العشرة وحكم عليهم بالإعدام . وقد اعترفوا بوقائع تفويذ الجريمة وذكروا من تفاصيلها ما تقدّس عن له الأبدان ، إذ جرى تعذيب الأب توما ثم ذبحوه وأخذوا دماءه ليصنعوا بها «الفطير المقدس» ، الذي تنص عليه تعاليم الحاخامتات السرية وتوصي بصنعه عشية عيد الفصح اليهودي . ولإخفاء الجريمة قطعوا الجثة إرباً إرباً وحطموا العظام والجمجمة وألقوا بها في مجاري المياه المبتذلة^(١) .

وحىال الضجة الكبيرة التي أثارتها الجريمة ، بعد اعتراف منفذيها ، تحرك «الاتحاد الإسرائيلي» ، المعروف باسم «الأليانس» (Alliance) ، في أوروبا من أجل لفلفة القضية لأنها باتت تفضح التعالييم الدينية السرية لليهود وتشكل خطراً على وجودهم ومصالحهم في أوروبا المسيحية ، وتأليب الرأي العام ضدهم ، فأوفد اثنين من كبار اليهود الأوروبيين هما : موسى مونتفiore (M.Montefiore) إلى القاهرة حيث قابلاً محمد علي وقدموا له مبلغاً كبيراً من المال (ستين ألف كيس)^(٢) مقابل الإفراج عن اليهود المسجونين وإعطاء الأمان للهاربين ، وهكذا تمكّن المال اليهودي من إطلاق سراح القتلة وتخليصهم من العقوبة العادلة . ولكن السجلات المحفوظة إلى اليوم ما تزال شاهداً على جريمة

(١) نجيب الكيلاني - دم لفطير صهيون - ذكرت تفاصيل الجريمة استناداً إلى الواقع المثبتة في السجلات ومحاضر التحقيق .

(٢) عبد العزيز محمد عوض - الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (١٨٦٤ - ١٩١٤) - ص ٣١٨ .

قتل بشعة ارتكبها اليهود تنفيذاً لتعاليم التلمود السرية .

٣ - بعد خروجه من الحرب الأهلية متصرّاً على مؤامرة تقسيم الولايات المتحدة الأميركيّة ، اغتيل الرئيس الأميركي إبراهام لينكولن سنة ١٨٦٥ بالرصاص على يد يهودي يدعى « جون ويلكس بوث » (J.W.Booth) ، وذكر أن عمالء روثشيلد في أميركا هم الذين دفعوه لارتكاب الجريمة^(١) . وكان لينكولن في بداية ولاية جديدة ، إذ جدد الشعب الأميركي انتخابه رئيساً للجمهوريّة بعد الحرب الأهلية مما سبب قلقاً بالغاً لدى المرابين العالميين لاسيما بعدهما فشلت خططهم لتقسيم الولايات الأميركيّة وإعادة اقتسامها بالاتفاق مع بريطانيا وفرنسا^(٢) . وكان « لينكولن » قد أدرك دور المرابين الدوليين في تمويل الحرب الأهلية الأميركيّة وأبدى عزمه على اتخاذ تدابير اقتصاديّة حازمة لتخليص الشعب الأميركيّ من هيمنتهم .

٤ - في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين اكتسبت أحياي اليهود ، في مدينة نيويورك الأميركيّة ، سمعة سيئة بأنّها أووكار للجريمة والفساد وتحتضن عدداً كبيراً من المجرمين اليهود أمثال : ماكس سوباخ (Max Zweibach) ، وجوزف توبلينسكي (J.Toblinsky) ، وهاري هوروويتز (H.Horowitz) ، وبنجامين فين (B.Fein) ، ونathan كابلان (N.Kaplan) ، ووليام ألبرت (W.Albert)^(٣) . وكان هؤلاء هم الأدمغة المحركة لأعمال

(١) غاي كار ص ١٣٦ .

(٢) سبيري دوفيتش ص ١٥٠ .

Arthur. A. Goren. Newyork Jews and the Quest for Community- P. 137.

(٣)

الجريمة والفساد في المدينة ، وإليهم كانت تنسب جرائم رجال العصابات المشهورين في تلك الحقبة أمثال يوسيكي نigner (Yuski Nigger) الملقب باسم «ملك مسممي الخيول» ، وكيت توست (Kid Twist) ، وبين جاك زلينغ (Big Jack Zelig) ، ودوبي بني (Dopey Benny) الذي كان رئيساً لاتحاد عصابات «اليد القوية» ، وكيت دروبر (Kid Dropper) ، و«جيب» الدموي (Gyp the blood) .^(١)

وأظهرت تحقيقات وتقارير الشرطة ، التي جرت في سنتي ١٨٩٤ و ١٨٩٩ ، تورط اليهود في الجريمة . كما نشرت دراسة عن مدينة نيويورك سنة ١٨٩٧ أكملت وقوع جرائم بشكل منظم في الأحياء اليهودية بالمدينة^(٢) ، ولوحظ أن الجريمة كانت ظاهرة متفسية بشكل خاص بين أبناء اليهود المهاجرين من روسيا^(٣) ، وارتبطت أسماء اليهود بكثير من الجرائم وأعمال الرذيلة والرقىق الأبيض^(٤) .

وعرفت منظمة «تمانني اليهودية» Tammany Organization بأنها المشجع الأكبر على أعمال الفساد والجريمة ، وأنشأت جيلاً يهودياً أميركي المولد من القوادين والمقامرين والقتلة^(٥) .

Ibid. P. 137. (١)

Ibid. P. 134. (٢)

Goren P. 138. (٣)

Ibid. P. P. 138- 139. (٤)

Ibid. P. 138. (٥)

ونشرت مجلة « ماكلورز » (Mcclure's) الأميركية ، الصادرة في نيويورك ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩ ثالث مقالات تبين منها أن منظمة « تاماني » كانت مصدر الجرائم وأعمال الرذيلة التي يضطلع بها عدد كبير من اليهود . وفي إحدى هذه المقالات يذكر مدير الشرطة في المدينة ويدعى بنغهام (Bingham) أن المنطقة الجنوبيّة من الشارع رقم (١٤) كانت بمثابة « مخيم للجريمة على درجة كبيرة من التنظيم مالياً وسياسياً . . . » ووصف رئيس تحرير المجلة منظمة « تاماني » بأنها « خطراً قوميًّا »^(١) .

ولم يكن بإمكان يهود نيويورك إنكار هذه الواقع الشابته ، فاعترف بها قادتهم أمام الرأي العام لأسباب تكتيكية ، وجعلتهم هذه الاتهامات يتখون الحذر من الغضبة الشعبية . عندئذ بدأ دور الحكومة اليهودية السرية المعروفة باسم « القهل » أو « القهيلة » (Kehillah) في إزالة هذه السمعة السيئة^(٢) . وفي اجتماع مجلس « القهل » ، في شباط ١٩١٠ ، تلا رئيس الجمعية نتائج التحقيقات التي أجريت حول أوضاع اليهود في نيويورك ، واعترف بوجود « جوانب من الفساد الاجتماعي مما يسبب لنا مشاكل صعبة ومن واجبنا التصدي لها بقوة »^(٣) .

وعلى الرغم من كل الواقع التي تدين اليهود فقد تدخلت

Ibid. P. 139.

(١)

Ibid. P. 135.

(٢)

Ibid. P. 142.

(٣)

«اعتبارات سياسية» للتغطية على هذه المسألة وإنهاء الجدل بشأنها أمام الرأي العام^(١).

٥ - نفذت عصابة «شترن» الصهيونية الإرهابية (Stern Gang) عملية اغتيال الوزير البريطاني المفوض في الشرق الأوسط لورد موين (Lord Moyne)، في القاهرة في تشرين الثاني ١٩٤٤^(٢)، لأنه «أبى التطرف مع تلك العصابات مع مطالبها الفاضحة الجامحة في اغتصاب فلسطين»^(٣). والمعروف أن عصابة «شترن»، التي بلغ عدد عناصرها المسلحة ألف شخص ، كانت تنفذ المخطط الرامي إلى إخراج سلطات الانتداب البريطاني من فلسطين بالقوة ، ولم تتوعد عن قتل عدد من الجنود البريطانيين ، بل نفذت جرائم قتل البعض من اليهود أنفسهم^(٤) في سبيل تحقيق أهداف الصهيونية في اغتصاب فلسطين وإقامة دولة «إسرائيل» على أرضها . والجدير بالذكر أن مؤسس العصابة «أبراهام شترن» قتل على يد البوليس سنة ١٩٤٢ فأعيد تنظيمها في سنة ١٩٤٧ على يد صهيوني آخر هو «ناثان فريدمان يلين» (Nathan Friedman- Yellin) لتواصل تنفيذ جرائمها ، حيث أقدمت في أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٨ على اغتيال الوسيط الدولي في فلسطين «الكونت برنادوت» ، ابن شقيق ملك السويد غوستاف الخامس . كان برنادوت رئيساً للصلب الأحمر السويدي والمشرف على مخيمات اللاجئين

Ibid. P. 143.

(١)

Encyclopedia International Vol. (17) P. 274.

(٢)

(٣) محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودي - ص ٤٠

Encyclopedia International Vol. (17) P. 274.

(٤)

السويديين أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي سنة ١٩٤٨ عين وسيطاً للأمم المتحدة في فلسطين . ووضع « برنادوت » ترتيبات لإحلال السلام بين العرب واليهود تحت إشراف المنظمة الدولية . قبل ثلاثة أيام من إعلان خطته للسلام سارعت عصابة « شترن » إلى اغتياله^(١) .

٦ - خلال المدة ما بين أيار (مايو) سنة ١٩٣٩ وأواخر سنة ١٩٤٧ نفذت العصابات اليهودية الصهيونية المسلحة سلسلة من المذابح وأعمال الاغتيال والتفجير والسطو المسلح في عدد من المدن والقرى في فلسطين ، وقد استهدفت هذه الجرائم المواطنين العرب ورجال الأمن الفلسطينيين وجندوں الانتداب البريطاني . وأودت هذه العمليات بحياة المئات وأصابت الكثيرين بجروح ، كما أوقعت أضراراً مادية بالغة . ولم تتورع هذه العصابات الصهيونية ، عن قتل بعض اليهود أحياناً من أجل تحقيق مكاسب سياسية ودعائية لمصلحة المخطط الصهيوني ، الذي كان يهدف إلى اغتصاب أرض فلسطين وطرد قوات الانتداب البريطاني منها^(٢) .

أ - ومن عمليات القتل السياسي التي نفذها الصهاينة عملية تفجير فندق الملك داود في القدس ، في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، واستهدفت الجناح الحكومي في الفندق مما أدى إلى مصرع ٨٣ موظفاً حكومياً لدى سلطة الانتداب وخمسة

Ibid. Vol. (2). P. 542- 543.

(١)

Sami Hadawi- **Crime and no punishment. Zionist- Israeli Terrorism (1939- 1972)** (٢)
P. P. 32-46.

من المواطنين^(١) .

ب - ومن الجرائم التي أثارت غضب سلطات الانتداب البريطاني عملية شنق جنديين بريطانيين ، في ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٤٧ ، كانوا يسبحان في البحر على شاطئ مستعمرة ناثانيا (Nathanya) . وقد أعلنت عصابة « إيرغون » الصهيونية (Irgun) مسؤوليتها عن هذه الجريمة^(٢) ، وكان « مناحيم بیغن » قد هدد قبل ذلك بقتل الجنديين إذا نفذت سلطات الانتداب البريطاني الإعدام في ثلاثة إرهابيين صهاينة حوكموا وأدينوا بتهمة قتل جنديين بريطانيين . وعندما نفذت سلطة الانتداب حكم الإعدام بالإرهابيين اليهود الثلاثة ردت عصابة « إيرغون » بشنق الجنديين бритانيين .

ج - في ليل ٩ - ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ نفذت عصابة « إيرغون » مجزرة في قرية دير ياسين الفلسطينية التي كان يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٠٠ نسمة فأزهقت أرواح ٢٥٤ منهم بينهم عدد كبير من الأطفال والنساء ، وألقيت جثث الكثريين من الضحايا في بئر ، كما أصيب ٣٠٠ شخص آخرین بجروح فيما أسر المهاجمون ١٤٠ شخصاً كرهائن^(٣) . ولم تستطع سلطات الانتداب البريطاني تجاهل المذبحة فأعلن وزير المستعمرات البريطاني في تقرير رفعه إلى مجلس العموم ، في ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ ، « أن هذا العدوان البربري لدليل على

Ibid. P. 40.

(١)

Ibid. P. 48. (٣)

Ibid. P. 45.

(٢)

الوحشية^(١) . وحيث بقي الاستنكار البريطاني في إطاره اللفظي أعلنت عصابة «إيرغون» ، في مؤتمر صحافي سري ، مسؤوليتها عن هذه المجازرة وأكدت أن هذا الحدث ليس سوى البداية في غزو فلسطين^(٢) .

ومما يدعو إلى الأسف والاستغراب أن قادة الإرهاب الصهيوني كانوا يتذمرون من لندن مركزاً لإصدار الأوامر والتعليمات إلى العصابات الصهيونية في فلسطين . ومن المعروف أن ثلاثة تنظيمات صهيونية مسلحة كانت تنفذ عمليات القتل والإرهاب هي : «بلامان - هاغانا» Irgun (Palamch Hagana) ، و «إيرغون زفي ليومي» Zvei Leumi (Stern Gang) ، وعصابة «شترن» (Zvei Leumi) الوكالة اليهودية (Jewish Agency) برئاسة ديفيد بن غوريون David Ben Gurion) تتولى التنسيق بين هذه المنظمات الثلاث من خلال التعليمات التي تلقاها من مكتب الوكالة في لندن^(٣) .

وبالرغم من عمليات القتل والاغتيال والتفجير التي نفذتها العصابات الصهيونية ضد ضباط وجنود وموظفي الانتداب البريطاني في فلسطين ، ما بين عام ١٩٣٩ و ١٩٤٧ ، وطاعت أيضاً المصالح البريطانية في أوروبا^(٤) ، فإن رئيس الوزراء البريطاني «ونستون تشرشل»

Ibid. P. 48. (١)

Ibid. P. 48. (٢)

Ibid. P. 21. (٣)

(٤) من الأمثلة على ذلك تفجير قطار عسكري بريطاني في جبال الألب النمساوية في =

(Sir Winston Churchill) لم ير في الجرائم الصهيونية ما يحول دون إتمام المشروع الصهيوني في فلسطين فصرح ، في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ ، بأن تمنيات الحكومة البريطانية في تحقيق أهداف الحركة الصهيونية لا ينبغي أن يقضي عليها دخان مسدسات أولئك الذين ينفذون عمليات الاغتيال . وأعرب تشرشل عنأمل حكومته بأن تلقى تعاوناً « من كل القلب » من جميع فئات الشعب اليهودي . وناشد اليهود بأن يتذدوا من صفوفهم «أعضاء هذه العصابة الهدامة »، يقصد بذلك عصابة « إيرغون »^(١) . ولو عاش « تشرشل » إلى السبعينات لرأى كيف أن اليهود نبذوا نصيحته بدلاً من أن يتذدوا الإرهابيين من صفوفهم ، وكيف أصبح مناحيم بيعن زعيم منظمة « إيرغون » ، المطلوب من القضاء البريطاني ، رئيساً لوزراء الدولة اليهودية !

د - ومن جرائم الصهيونية، خلال هذه الحقبة ، حادث انفجار الباحرة « باتريا » (Patria) ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٠ ، التي كانت تنقل مهاجرين يهودا إلى ميناء حifa مما أدى إلى غرقها ومصرع ٢٥٢ يهودياً وأحد رجال الشرطة البريطانيين . وأثبتت تقرير لجنة التحقيق أن الحادث نفذه « يهود متطرفون » بالتعاون مع شخص واحد على الأقل من ركاب السفينة^(٢) .

آب (أغسطس) ١٩٤٧ . وأظهرت التحقيقات ضلوع أحد أعضاء الحركة الصهيونية ج . هينوش (G. Henouch) وأربعة آخرين من منظمة « إيرغون » في العملية (Hadawi P. 45) .

Ibid. P. 32. (٢)

Ibid. P. 36. (١)

وكان الهدف من هذه العملية إخراج سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين أمام الرأي العام العالمي تمهدًا لطردها من فلسطين . وحاول «موشي شاريت» ، الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء دولة إسرائيل ، تسويغ هذه الجريمة بقوله : «من الضروري أحياناً التضحية بالبعض لإنقاذ الكل»^(١) .

هـ - خلال السنوات القليلة التي سبقت وتلت إعلان الدولة الصهيونية في فلسطين ١٩٤٨ استخدمت الحركة الصهيونية الطرود والرسائل الملغومة في عمليات الاغتيال السياسي ، التي استهدفت عدداً من الشخصيات السياسية وكبار ضباط الجيش في بريطانيا على وجه الخصوص ، مما أوقع العديد من الضحايا . وقد أعادت صحيفة « صندي تايمز » Sun-Times (اللندنية إلى الذاكرة هذه الحادث المؤلمة في معرض تعليقها على اغتيال الملحق الزراعي في السفارة الإسرائيلية في لندن بواسطة رسالة ملغومة في ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ردأً على عمليات مماثلة كان قد بدأها الصهاينة ضد قادة المقاومة الفلسطينية من قبل^(٢) .

و - عندما احتل الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية ، في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، سجلت وقائع عن قيام الجنود اليهود بارتكاب جرائم قتل من أجل السرقة^(٣) . ومن

Ibid. P. 33.

(١)

Ibid. P. 45. (٣)

Ibid. P. 18.

(٢)

الحوادث التي سجلتها التقارير ما حدث يوم الثلاثاء ١٣ حزيران ١٩٦٧ في الضفة الغربية حين كان صبيًّاً أردنيًّا يبيع الشوكولا وعندما شاهد الجنود الإسرائيлиين يقتربون منه تملَّكه الخوف وهرب منهم فأطلق أحدهم عليه النار من الخلف وأصابه في عنقه^(١). وسجلت تقارير الحرب أيضًا أن الجنود الإسرائيлиين كانوا يمنعون الأهالي من إسعاف جرحي القصف ودفن الضحايا^(٢).

وثمة وثائق تؤكد أن الجنود الإسرائيлиين يتلقون تعليمات، سواء من قادتهم أو من الحاخامات، بضرورة قتل جميع السكان في البلدان المعادية. فعلى سبيل المثال أصدرت قيادة المنطقة الوسطى (تشمل الضفة الغربية) في الجيش الإسرائيلي تعليمات بهذا المعنى في كتب موجَّه إلى الجنود في سنة ١٩٧٣^(٣). ومن هذه الوثائق أيضًا رسالة كتبها الرابي «شيمون وايزر» (Shimon Weiser) إلى أحد تلاميذه من الجنود الإسرائيлиين يقول فيها: «أقل من الأغيار أحسنهم . . . ومن الأفاعي فاسحق رؤوس أفضلها»^(٤). وقد رد الجندي، ويدعى «موشي»، على رسالة الرابي قائلاً :

لقد فهمت رسالتك كالآتي : «في زمن الحرب ليس مسموحًا لي فحسب ، بل من دواعي سروري أيضًا ، أن أقتل كل عربي أصادفه رجلاً كان أو امرأة»^(٥). وهذا في الواقع ما يفعله

Ibid. P. 27.

(٤)

Ibid. P. 46.

(١)

Ipid. P. 27.

(٥)

Ibid. P. 47.

(٢)

Isarel Shahak- Khamsin № 9, P.26.

(٣)

جنود الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وغزة منذ احتلالهما حتى اليوم . وكفى دليلاً على ذلك ما يجري في الأرضي المحتلة منذ أواخر سنة ١٩٨٧ حتى كتابة هذه السطور (أواخر سنة ١٩٨٩) ، حيث يقوم جنود الاحتلال بقتل المدنيين العزل من السلاح مما أدى إلى سقوط أكثر من خمسين قتيلاً وآلاف الجرحى ، وبينهم الكثير من الأطفال والنساء^(١) .

ثانياً : جرائم ارتكبها اليهود بشكل غير مباشر أو اتهموا بارتكابها :

إن تعاليم التلمود تمنع قتل الأغيار (Gentiles) بشكل مباشر ، في زمن السلم ، ولكنها في الوقت نفسه تحظر على اليهودي أن ينقذ شخصاً غير يهودي على وشك الموت (غرقاً على سبيل المثال) ، أو تقديم العلاج له ولو كان ذلك لقاء أجر . أما إذا خشي اليهودي أن يؤدي عمله هذا إلى الإضرار باليهود فيمكنه أن يقدم للأغيار العلاج الطبي لقاء أجر ، ويعتبر هذا العمل جائزًا بحكم الضرورة فقط ، ولا يجوز أن يقوم به اليهودي على سبيل العمل الإنساني (Charity) ، لأن إنقاذ غير اليهودي من الموت غير جائز . ويستدل الرابيون اليهود على صحة هذا الاعتقاد الديني بما فعله فيلسوفهم الأكبر الرابي موسى بن ميمون (Memonides) ، الذي كان الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبي^(٢) ، هذا في زمن السلم . أما في زمن الحرب فيصبح

(١) يوميات الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العالمية والعربية خلال الفترة المذكورة .

Israel Shahak- P. 28.

(٢)

قتل الأغيار واجباً على يكل يهودي ، كما ذكرنا قبل قليل . ولكن ما هو مفهوم كل من الحرب والسلم في العرف اليهودي ، وما هو تحديدهم لزمن الحرب وزمن السلم ؟ إننا لم نجد ، في التعاليم اليهودية الدينية ، ما يستفاد منه وجود مثل هذا التحديد ، بل وجدنا ما يستفاد منه أن اليهود يعتبرون أنفسهم في حرب مستمرة ضد سائر الشعوب حتى تتحقق لهم وحدتهم السيادة على العالم ، ويحكموا شعوب الأرض كلها^(١) ، ولذلك نرى أن اليهود لم يتورعوا عن إزاحة كل من يعتبرونه حجر عثرة في طريق تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي . وستانلي الآن على ذكر وقائع تاريخية عن عمليات قتل كان لليهود دور غير مباشر فيها ، أو أنهم اتهموا بالتحريض عليها توخيأً لمصلحة لهم في ذلك :

١ - إعدام ملك إنكلترا « شارل الأول » (Charles I) سنة ١٦٤٩ على يد جماعة التوراتيين المتشددين دعاة مذهب العصمة والممعروفيين باسم « البوريتانيين » (Puritans) بزعامة « أوليفير كرومويل » (Cromwell) ، والمعروف أن « كرومويل » تلقى دعماً مالياً من اليهود وسمح لهم بالعودة إلى إنكلترا واعترف رسمياً بوجودهم في البلاد^(٢) . وقد ساهم اليهود في تقديم الملك « شارل الأول » إلى المقصلة ، بموجب محاكمة شكلية قام فيها اليهودي « إسحق دوريسلاوس » بدور

(١) البروتوكولات - التونسي - الثالث ص ١١٧ - الخامس ص ١٢٥ - التاسع ص ١٣٢ - الرابع عشر ص ١٥٢ - الخامس عشر ص ١٥٤ - و ١٦٣ الثالث والعشرون ص ١٨٧ و ١٨٨ ... الخ .

(٢) ريجينا الشريف - ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز - الصهيونية غير اليهودية - جذورها في التاريخ الغربي - عالم المعرفة - الكويت ١٩٨٥ ص ٥٧ - ٥٨ .

المدعي العام ضد الملك بعدما امتنع رجال القضاء الإنكليز عن القيام بهذه المهمة ضد ملك بلادهم^(١) . وبإعدام الملك الإنكليزي ساد حكم الإرهاب البيوريتاني في إنكلترا على مدى تسع سنوات (١٦٤٩ - ١٦٥٨) ، وأيد « كرومويل » فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين كمقدمة لعودة « المسيح المنتظر » ، وهي الفكرة التي تؤيدها العقيدة الدينية البروتستانتية^(٢) .

٢ - اغتيل قيصر روسيا ، بولس الأول ، سنة ١٨٠١ بتدبير من جماعة وصفت بأنها من « الماسونيين الأجانب » ، وجاءت الجريمة ردًا على خطوات عملية باشر فيها القيصر الروسي لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية^(٣) . ومات خليفته القيصر ألكسندر الأول مسموماً ، سنة ١٨٢٥ ، بعدما تناول طعام الغداء في كنيس لليهود^(٤) . أما القيصر ألكسندر الثاني فقد نجا من محاولتين لاغتياله ، عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٩ ، ولكنه لقي حتفه في المرة الثالثة ، سنة ١٨٨١ ، بينما كان في بيت امرأة يهودية تدعى « هسيا هلغمان »^(٥) ، وكان هذا القيصر قد أفشل مخطط المراقبين الدوليين وقدم الدعم العسكري للرئيس الأميركي « أبراهام لينكولن » من أجل منع تقسيم الولايات المتحدة الأميركية^(٦) . ويمكن الربط بين هذه الجريمة وحادثة اغتيال « لينكولن » من قبل على يد اليهودي

(٤) المرجع السابق ص ١٣٢ .

(١) غاي كار ص ٦٣ - ٦٧ .

(٥) غاي كار ص ١٥١ .

(٢) ريجينا الشريف ص ٥٩ .

(٦) سبيريدوفيش ص ١٥٠ .

(٣) سبيريدوفيش ص ١٢٤ - ١٢٢ .

بوت (Booth) بتدبير من عملاء روتشيلد في أميركا ، وهذا ما يظهر لنا أن الجهة المخططة واحدة .

٣ - على إثر البرنامج الإصلاحي الشامل الذي وضعه رئيس وزراء روسيا ستوليبين (Stolypin) ، بعد ثورة ١٩٠٥ ، والذي كان من شأنه إحباط محاولات البلاشفة « الثوريين » للسيطرة على البلاد وإنها حكم القيصرية ، تعرض هذا المصلح السياسي إلى اعتداءات متكررة انتهت باغتياله في أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١١ بينما كان يحضر عرضاً مسرحيّاً في « كيف » . وسجلت محاضر التحقيق الرسمي في الجريمة أن القاتل محام يهودي يدعى « موردخاي بورغوف »^(١) .

٤ - في مطلع الثورة البلشفية في روسيا ، سنة ١٩١٧ ، نفذت منظمة « التشيكا » (Cheka) البوليسية السرية ، التي أنشأها البلاشفة لاغتيال معارضهم ، عملية قتل الأب الروسي أي. ب. برانايتس ، الذي كان قد وضع دراسة قيمة ، باللغتين اللاتينية والعبرية ، تناول فيها بعض التعاليم السرية الواردة في كتاب التلمود . وقد تلقى الأب « برانايتس » ، قبل ذلك ، تحذيرات بأن اليهود سيقتلونه إذا نشر هذه الدراسة . وكان ردّه على ذلك في خاتمة دراسته قوله : « مهما يصيّبني مما قلت فسوف أتحمله بسرور .. بل إنني مستعد للتضحية بحياتي حتى أصدّم شاهداً على الحقيقة »^(٢) . والثابت تاريخياً وواقعاً أن يهود روسيا شاركوا

(١) غاي كار ص ١٦٧ .

(٢) برانايتس - فضح التلمود ص ١٦ وص ١٥٥ .

بالثورة على القيصرية ، وكان معظم قادة الثورة البلاشفية من اليهود^(١) . وكمثال للدلالة على النفوذ اليهودي في ثورة البلاشفة نذكر أن أول طبعة لبروتوكولات حكماء صهيون ظهرت باللغة الروسية سنة ١٩٠٢ على يد البروفسور « نيلوس » ، فسارع اليهود إلى إخفائه من الأسواق . وعندما أعيد طبعه سنة ١٩١٧ تولى ، هذه المرة ، البلاشفة الشيوعيون أمر مصادرته ومنعوا تداوله^(٢) . أما منظمة « تشيكا » البلاشفية فتعتبر مسؤولة عن سلسلة من المجازر ، وقد سفكت دماء حوالي خمسين ألف نسمة من معارضيها وأطلق عليها اسم « الإرهاب الأحمر »^(٣) .

٥ - لقي الكونت الروسي « شيريب سبيريدوفيتش » (Spiridovich) حتفه مختنقاً بالغاز في غرفته بفندق « ستاتن آيلاند » في نيويورك ، في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٦ ، وهو صاحب كتاب « حكومة العالم الخفية » ، الذي يفضح الكثير من نشاطات اليهود السرية في العالم . وكان « سبيريدوفيتش » رئيس الجمعية الأمريكية المناهضة للبلاشفة ، التي كان هدفها توحيد أعداء البلاشفية في منظمة تعمل لإنهاء النظام البلاشفجي آنذاك^(٤) .

(١) المفسدون في الأرض ص ٢٤٤ .

(٢) التونسي - الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون - ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ .

Encyclopedea International Book (4) P. 281.

(٣)

(٤) سبيريدوفيتش ص ٢٢٥ - ٢٢٩ جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ٢٣/١٠/٢٣ .

٦ - من الجمعيات اليهودية السرية ، التي ارتبط اسمها بعمليات القتل الرهيبة في الولايات المتحدة الأمريكية ، جماعة « الكابالو » الإرهابية السرية (Caballo) ، ويدين قادتها بكتاب القabal (Kaballah) اليهودي السري^(١) وقد اتهمت هذه الجمعية بقتل أحد عملائها اليهود سنة ١٩٢٠ واسمه « فرنك بولي » وتذويب جثته بالأسيد لاخفاء معالم الجريمة . ولكن تحقيقات الشرطة أدت إلى اكتشاف الجثة ، وتمكنـت من اعتقال شخصين كانوا أداة التنفيذ ، فاعترفـا بارتكابـهما الجريمة من دون أن يـوحـا باسمـ الجـهةـ التي دفعـتهـماـ إلىـ ذلكـ . ودامـتـ محاكمـتهـماـ ماـ بيـنـ سـنـيـ ١٩٢٠ـ وـ ١٩٢٥ـ ، وـ سـطـ تعـيـمـ إـعـلـامـيـ منـ الصـحـافـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ، التيـ يـهـيمـنـ عـلـيـهاـ الـيـهـودـ ، وـ لمـ يـكـشفـ النقـابـ عنـ شـرـكـائـهـماـ فيـ الجـريـمةـ بلـ اـنـتـهـىـ الأـمـرـ بـالـحـكـمـ عـلـيـهـماـ بـالـسـجـنـ بـضـعـةـ أـعـوـامـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ثـبـوتـ تـهـمـةـ القـتـلـ وـ بشـاعـةـ الـجـريـمةـ . أماـ مـفـقـشـ الشـرـطةـ الـذـيـ اـكـتـشـفـ الـجـريـمةـ وـ تـابـعـ التـحـقـيقـاتـ وـ يـدـعـىـ «ـ رـكـسـ وـاتـسـونـ »ـ (Rex Watson)ـ فقدـ فـوجـيـءـ بـتـسـرـيـحـهـ منـ الخـدـمـةـ بـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـقـضـيـةـ^(٢)ـ .

وفيـ أـعـقـابـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـثـانـيـةـ اـرـتـكـبـتـ جـمـيـعـةـ «ـ الكـابـالـوـ »ـ جـريـمةـ أـخـرىـ ، إـذـ قـتـلـتـ أحـدـ كـبـارـ زـعـماءـ الـجـمـعـيـةـ نـفـسـهـاـ الـمـلـيـارـدـيـرـ الـيـهـودـيـ «ـ سـرجـ روـبـنـشتـايـنـ »ـ (Serge Robenstein)ـ ، الـذـيـ عـثـرـ عـلـيـهـ مـقـتـلـاـ فيـ مـنـزـلـهـ بـصـورـةـ غـامـضـةـ ، وـ عـثـرـ فـيـ كـفـ القـتـيلـ عـلـىـ أـيقـونـةـ غـرـيـبةـ مـصـنـوعـةـ مـنـ

(١) المفسدون في الأرض ص ٣٣٥ - ٣٣٦ . (٢) المرجع السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

البلاتين وعلى أحد وجهيها صورة ترمز إلى الشيطان يرقص طرباً على شعلة من النار ، وعلى الوجه الآخر كلمة « هاريم » بأحرف عبرية ومعناها « الإعدام » (Harem) . وتبين أن سبب قتله أنه بلغ من القوة والنفوذ والثراء حداً جعله يفكر في السيطرة وحده على الجمعية فحكمت عليه بالموت قبل أن يتمكن من إخضاعها^(١) . ويبدو أن هذه الجمعية متخصصة باغتيال الذين يشذون من اليهود أنفسهم عن المخطط العام الذي ترسمه حكومتهم السرية .

٧ - تقول سجلات البوليس الأميركي إن وزير الدفاع الأميركي السابق « جيمس فورستال » (Forrestal) (١٨٩٢ - ١٩٤٩) قضى متورطاً في مستشفى للأمراض العصبية بعد مضي فترة قصيرة على استقالته من منصبه . وسواء صاح أمر الانتحار أم لم يصح فالذي يهمنا من موت هذا السياسي الأميركي ، بصورة غامضة ، أن الرجل كان مصدر قلق للمراقبين اليهود الذين يقودون النشاط اليهودي السري في الولايات المتحدة الأميركية والعالم ، إذ كان « فورستال » يعتبر من كبار رجال المصارف والسياسيين في آن معًا . وقد تكونت لديه ، بنتيجة تجربته السياسية والاقتصادية ، قناعة تامة بأن أصحاب المصارف الأميركيين يشتراكون مع أصحاب المصارف العالميين في جماعة سرية تسيطر على الأموال الدولية ، وأن هذه الجماعة الخفية هي المسؤولة عن اندلاع الحروب العالميتين الأولى والثانية . وقد حاول « فورستال » إقناع

(١) المرجع السابق ص ٣٣٧ .

الرئيس الأميركي اليهودي الأصل « فرنكلين روزفلت » (Franklin Roosevelt) بوجهة نظره هذه ، ولكن لم تلبث الجهات الرسمية أن أعلنت استقالته ثم انتحاره^(١) .

٨ - في حزيران ١٩٥٧ وجد السناتور الأميركي « جوزف ماكارثي » (J.R. McCarthy) مقتولًا في المستشفى الذي أدخل إليه ، إثر وعكة صحية خفيفة . وعرف عن « ماكارثي » أنه مناوئ لليهود بسبب ممارساتهم المضرة بمصالح الشعب الأميركي ، وقد فضح الكثير من نشاطاتهم السرية^(٢) . وجاء في صحيفة « نيويورك صانداي نيوز » (New York Sunday News) ، في ٢ حزيران ١٩٥٧ ، تعليقاً على مقتل السناتور ماكارثي « ماليلى » :

« إن الرجال الشجعان أمثال « ماكارثي » يخيفون اليهود ولذا يتعرضون لسخطهم . وعندما تتأكد دوائر اليهود السرية من تفاقم خطر هؤلاء الرجال يسارع اليهود إلى القضاء عليهم وإذاحتهم عن الطريق مهما كلفهم الأمر »^(٣) .

وكان « ماكارثي » قد تلقى تحذيرات من اليهود . وجاء في صحيفة «بني بريث ماساجر» (B'nai Brith Messenger) اليهودية : « لسنا من محبي التكهنات ، ولكن سلوك « ماكارثي » وأعماله توحّي لنا بأن نهايته ستكون سيئة جداً ، ولربما مات بصورة تدهش العالم كما مات النائب هوي لونغ

(١) راجع غاي كار ص ٥٣ و ٢٨١ Encyclopedia International Vol 17 P.

(٢) المفسدون في الأرض ص ٣٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٣ .

(Huey Long) الذي كان يسير على غراره^(١) . ولم يسفر التحقيق عن تحديد سبب وفاة « ماكارثي » ، وطوبت القضية تحت تأثير النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من وجود شبه إجماع لدى الرأي العام الأميركي على أن اليهود هم الذين قتلواه^(٢) .

٩ - اغتيال الرئيس الأميركي جون - ف. كينيدي في مدينة « دالاس » بولاية « تكساس » ، يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ ، بينما كان موكبه الرئاسي يسير في شوارع المدينة ، وانطلقت الرصاصات القاتلة من بندقية قناص مزودة بمنظار ، كما قال التحقيق . ثم أعلن رجال البوليس اعتقال شخص يهودي من أصل روسي هو « لي هارفي أوزوالد » (Oswold) ، الذي نفى التهمة ، ولم يعترف بارتكاب الجريمة^(٣) . وبعد ثلاثة أيام من حادث الاغتيال أقدم « جاك روبيري » ، وهو صاحب نادي ليلي في دالاس ، على قتل « أوزوالد » بالرصاص بينما كان الأخير في حماية رجال الشرطة . وهكذا ضاعت معالم الجريمة بقتل المتهم بتنفيذها . وإنعاناً في التضليل صار الإعلام الأميركي ، الذي يسيطر عليه اليهود ، يصف « أوزوالد » بأن له ميلولاً إلى الاتحاد السوفيتي^(٤) . ثم جاءت الخطوة التالية عندما أعلن نائب الرئيس الأميركي « ليندون جونسون » (الذي تولى مهام

(١) المرجع نفسه .

Encyclopedia International Book 10 P. 149.

(٣)

Ibid. P. 149.

(٤)

الرئاسة بعد اغتيال كينيدي) تأليف لجنة للتحقيق بالحادث عرفت باسم «لجنة وارن» (Warren Commission) التي استغرقت تحقيقاتها عشرة أشهر قبل أن تعلن تقريرها ، في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤ ، على الملا . وجاء في التقرير أن اللجنة لم تستطع أن تحدد بدقة دوافع أوزوالد لارتكاب الجريمة^(١) وأنحت باللوم على تقصير الشرطة السرية المكلفة بحماية الرئيس !^(٢) .

من الذي قتل كينيدي إذن ؟ هذا السؤال بقي من دون إجابة قاطعة إلى اليوم . ولكن هناك كثير من القرائن التي تؤكد مصلحة اليهود في التخلص من كينيدي ، كما تخلصوا من قبله من «لينكولن» ، وشعورهم بالضيق من مشاريعه السياسية في الشرق الأوسط . ففي ١١ أيار (مايو) ١٩٦١ بعث كينيدي برسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر أعرب فيها عن اهتمامه بالشرق الأوسط «تلك المنطقة التي ساهمت كثيراً جداً في التراث الديني والثقافي السائد اليوم ، والتي ما تزال تنطوي على إمكانيات عظيمة للمساهمة في الحضارة»^(٣) ، وأبدى كينيدي اهتمامه بقضية فلسطين وضرورة إيجاد حل لمسألة اللاجئين العرب «على أساس المبدأ القاضي بإعادتهم إلى ديارهم أو تعويضهم عن ممتلكاتهم ، والتمسك بتأييد توصيات الأمم المتحدة بشأن

Ibid. Book (19) P. 208.

(١)

Ibid. P. 208.

(٢)

(٣) من رسالة كينيدي إلى الرئيس جمال عبد الناصر في ١١ أيار (مايو) ١٩٦١ .

اللاجئين «^(١) .

كذلك أكد كنيدي تصميم الولايات المتحدة على « إحراز تقدم فيما يتعلق بإيجاد حل سلمي عادل للمشكلة الفلسطينية » ، وتعهد بالعمل على تنفيذ سياسته حيال الشرق الأوسط في غضون السنوات القليلة المقبلة . ولا شك في أن مثل هذه التعهادات أثارت قلق زعماء اليهود والصهيونية في أميركا .

وتشير الدلائل إلى أن آل كنيدي كانوا دائمًا موضع عداء وشك من يهود أميركا . والمعروف أن الصحف اليهودية ، في أميركا ، وقفت إلى جانب « ريتشارد نيكسون » ، منافس « كنيدي » ، في حملة الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٦٠ ، وكانت هذه الصحف تؤكد « أن السيد نيكسون صديق أفضل لإسرائيل من السناتور كنيدي » ، كما ألمحت هذه الصحف إلى أن جوزف كنيدي الأب كان « معاديًّا للسامية »^(٢) .

والجدير باللحظة أن خليفة كنيدي ، الرئيس جونسون ، انتهج سياسة الدعم المطلق للدولة اليهودية والعداء للعرب والفلسطينيين ، وشهدت أيام ولايته تدفق المساعدات العسكرية والاقتصادية على إسرائيل^(٣) .

بقي أن نشير إلى أن آل كنيدي هم من الكاثوليك ، وتضمرون تعاليم اليهود السرية عداء شديداً للمسيحيين

(١) المرجع السابق .

(٢) إيزاكس - اليهود والسياسة الأمريكية - ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) فيندلي ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الكاثوليك بشكل خاص^(۱). وجاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات اليهود السرية « .. وإن الجماعة المعروفة لنا لا يمكن أن تنافسنا في هذه الفنون ، ربما تكون جماعة يسوعيين (Jeswits) ولكننا نجحنا في أن نجعلهم هزؤاً وسخرية في أعين الرعاع الأغبياء »^(۲).

١٠ - ومن الوسائل الأخرى للجريمة ، التي استخدمها اليهود في القضاء على خصومهم السياسيين ، المتفجرات والرسائل والطروdes الملغومة لاغتيال الشخصيات المستهدفة . وقد مر معنا أن الحركة الصهيونية استخدمت هذا الأسلوب ضد بعض السياسيين وكبار ضباط الجيش في بريطانيا ، ممن كانت تعتبرهم عائقاً أمام تنفيذ المخطط الصهيوني في فلسطين . كذلك استخدمت هذا الأسلوب ، فيما بعد ،

(۱) الجدير باللحظة أن الأب الروسي بارناتيس ، الذي أتينا على ذكره قبل قليل ، كان كاثوليكيًا ، وقد اغتاله اليهود البلاشفة سنة ۱۹۱۷ (راجع - الأب بارناتيس - فضح التلمود - ص ۱۵).

[ولا تعرف الكنيسة الكاثوليكية بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين ، ولا بوجودهم كامة ، وترفض التفسير الحرفي للتوراة ، وتعتبر أن الكنيسة المسيحية هي « إسرائيل الحقيقة » والوريث المباشر للديانة العبرية . وقد اعتبر الأب أوغسطين ، الذي كتب اللاهوت المسيحي في القرن الخامس للميلاد ، أن الكنيسة هي التي تجسد مملكة الله الألفية السعيدة . وقبل نشوء ما يسمى بحركة الإصلاح البروتستانتية ، في القرن السادس عشر ، كانت « إسرائيل » تعني مجرد اسم للديانة ، ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين ، أو أي بارقة أمل في إعادة بعث اليهود روحياً أو قومياً . (ريجيني الشريف - ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز - عالم المعرفة عدد ۹۶ كانون الأول (ديسمبر ۱۹۸۵)] .

(۲) التونسي - البروتوكولات ص ۱۲۲

ضد عدد من قادة المقاومة الفلسطينية فاغتيل الصحافي والروائي الفلسطيني غسان كنفاني ، في ٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٧٢ ، في بيروت بانفجار قنبلة وضعت تحت سيارته ، وفي ١٩ تموز (يوليو) من السنة نفسها انفجرت رسالة ملغومة بوجه الدكتور أنيس صايغ ، مدير مركز الأبحاث الفلسطيني . وفي ٢٥ تموز انفجرت رسالة ملغومة بالصحافي الفلسطيني بسام أبو شريف ، رئيس تحرير صحيفة « الهدف ». هذا فضلاً عن محاولات كثيرة أخرى نجح بعضها والبعض الآخر كان فاشلاً^(١) .

١١ - ليل ٩ - ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ نفذت وحدات إسرائيلية مسلحة عملية اغتيال ثلاثة في قلب بيروت الغربية أدت إلى استشهاد ثلاثة من كبار قادة المقاومة الفلسطينية آنئذ وهم : أبو يوسف النجار ، وكما ناصر ، وكمال عدوان الذين قتلوا داخل منازلهم^(٢) .

١٢ - إن المذابح التي نفذتها العصابات الصهيونية ضد المدنيين في فلسطين ، على نحو ما جرى في دير ياسين وكفر قاسم وبثير السبع وغيرها^(٣) ، تكررت على الأرضي اللبنانيية قبل الغزو الإسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ وأثناءه وبعده^(٤) . وقد نفذ الجنود اليهود بعض هذه الجرائم مباشرة

Hadawi P. 18- 19.

(١)

(٢) يوميات الغزو الإسرائيلي ص (١٠) .

(٣) د. محمد علي الزعبي - حقيقة المسؤولية - ص ٢٩٧ - ٢٩٥ .

(٤) يوميات الغزو الإسرائيلي ص ٣١٠ - ٣١١ .

بينما سمحوا لعملائهم بارتكاب مذابح أخرى ، وكان أكثرها بشاعة ووحشية مجرزة مخيمي صبرا وشاتيلا ليل ١٦ - ١٧ أيلول ١٩٨٢ ، التي نفذتها عناصر من « ميليشيات » لبنانية تلقت التدريب في إسرائيل وقامت بالتنفيذ بإشراف ضباط إسرائيليين ، بالإضافة إلى مجازر كثيرة ارتكبها جماعات من هذه « الميليشيات » على مدى خمسة عشر عاماً ، في مختلف الأراضي اللبنانية^(١) .

١٣ - وقعت جريمة قتل مزدوجة ليل الاثنين - الثلاثاء في ٢٧ أيار (مايو) ١٩٨٦ ، في إحدى ضواحي مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا الأمريكية ، وكان ضحيتها البروفسور « إسماعيل الفاروقى » (٦٥ سنة) ، أستاذ الإسلامية في جامعة « تامبل » ، وزوجته الأمريكية لويز (٦٠ سنة) ، التي اتخدت اسم لمياء منذ أن شهرت إسلامها . وأعلنت مصادر الشرطة أن شخصاً مجهولاً طعنهما داخل منزلمما حتى الموت وأصاب ابنتهما أنوار (٢٧ سنة) بجروح بالغة . وأحيطت التحقيقات في الجريمة بسرية شديدة ورفضت الإعلان عن أي شيء من أقوال ابنة الفاروقى . وقد استدعيت الشرطة الفيدرالية للمشاركة في التحقيق . وذكرت مصادر التحقيق أن البروفسور الفاروقى سبق أن تلقى تهديدات من « رابطة الدفاع اليهودية » . ورغم إقرار الشرطة بأن شيئاً لم يسرق من بيت الضحية فإن التقرير ، الذي وضعوه بنتيجة التحقيق ، وصف الحادث بأنه « سرقة

(١) راندال - ص ١٠٣ وص ١٠٩ - ١١٠ .

أدت إلى قتل^(١) . وظهر التناقض في معلومات الشرطة عندما اعترفت مصادر التحقيق أن بيت الفاروقى لم يتعرض للسطو أو التفتيش ، وأن لا أسباب ظاهرة للجريمة بل هي لا تشبه حوادث القتل المرتبطة بالسرقة^(٢) . وإذا علمنا أن الفاروقى كان رجل علم وأبحاث ولم يعرف عنه أي نشاط سياسى سوى أنه كان ، في وقت من الأوقات ، رئيساً لفرع منظمة أميركية تدعى « الصندوق الموحد للأرض المقدسة » تقوم بجمع الأموال وتقديمها لمشروعات إنسانية وتعليمية في فلسطين ، لأدركنا مدى الازعاج الذي كان يسببه للجماعات الصهيونية الضاغطة في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد وصفه أصدقاءه من الأميركيين أنه كان واحداً من كبار المؤيدين لحقوق الفلسطينيين ، ولكنه لم يكن داعية سياسياً^(٣) . وبات من المؤكد أن الجماعات الصهيونية هي التي دبرت أمر اغتياله ، وهذا ما عبرت عنه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن عندما استنكرت اغتيال الفاروقى واتهمت الحركة الصهيونية بارتكاب الجريمة « نظراً لما كان يمثله هذا العالم المسلم من فكر نير ودعوة مخلصة من أجل دينه وقضايا أمته »^(٤) .

(١) الصحف الـبروتية : النهار في ٢٨/٥/٨٦ و «السفير» و «اللواء»

. 1987/0/29

(٢) النهار بتاريخ ٢٨ و ٣٠ أيار (مايو) ١٩٨٦ .

(٣) المرجع السابق بتاريخ ١٩٨٦/٥/٣٠ .

(٤) جريدة «اللواء» ٢٩/٢/١٩٨٦.

= ولد إسماعيل الفاروقى فى يافا بفلسطين سنة ١٩٢١ وتخرج من الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٤١ ثم التحق بجامعة «هارفرد»، فى الولايات المتحدة

١٤ - فجر يوم السبت في ١٦ نيسان - (أبريل) ١٩٨٨ اقتحمت مجموعة مسلحة منزل خليل الوزير (أبو جهاد) ، نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية في ضاحية سيدي بوعيد جنوبى تونس العاصمة ، وفتح المسلحون نيران أسلحتهم عليه فأصابوه بأربعين رصاصة وأردوه قتيلاً^(١) . وروت أسرة الشهيد بعض تفاصيل الجريمة فقالت : « إن المجموعة المسلحة كانت تتكون من ثمانية رجال أحدهم أشقر الشعر وامرأة ، وقد اقتحم المسلحون منزل « أبو

= الأمريكية ، وحصل على الدكتوراه من جامعة « أنديانا » الأمريكية سنة ١٩٥٢ . وفي متصرف الخمسينيات التحق بجامعة الأزهر في القاهرة حيث عكف على دراسة الشريعة الإسلامية . وفي سنة ١٩٥٩ حصل على منحة أمريكية لدراسة الديانتين المسيحية واليهودية في جامعة ماكجيل (Mcgill) في كندا ، بعد ذلك شغل منصب أستاذ الديانات في جامعة « سراكيسور » الأمريكية حيث التقى بزوجته « لويز » ، أستاذة تاريخ الفن الإسلامي في الجامعة المذكورة . وفي سنة ١٩٦٨ شغل منصب أستاذ في جامعة « تامبل » في بنسلفانيا ليصبح مدير دائرة الدراسات الإسلامية فيها ، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته . وقد نقل الفاروقى نصوصاً إسلامية كثيرة إلى اللغة الإنكليزية وله مؤلفات عديدة منها « الأخلاق المسيحية » ، الذي نشر عام ١٩٦٨ . و« الأطلس التاريخي للديانات في العالم » ، الذي صدر سنة ١٩٧٥ . وقبل أن يلتحق الفاروقى بجامعة « تامبل » تولى بعض مهام التدريس في معهد الدراسات الإسلامية في كندا في جامعة كراتشي - باكستان ، وفي معهد الدراسات العربية العليا في جامعة القاهرة . وأفاد زملاؤه الأستاذة في جامعة « تامبل » أن معظم جهوده العلمية كانت موجهة إلى إيجاد أرضية مشتركة بين الإسلام والمسيحية واليهودية . ومن المفيد أن نذكر أن الفاروقى شغل منصب رئيس بلدية الناصرة وحاكم منطقة الجليل أيام الانتداب البريطاني على فلسطين (راجع مجلة « انکویری » Ing-quiry, July 1986 P.34-39) وجريدة النهار البيروتية بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٨٦) .

(١) راجع الصحف البيروتية الصادرة في ١٨ / ٤ / ١٩٨٨ .

جهاد» بعد أن قتلوا سائق سيارته وحارسين أحدهما فلسطيني والأخر تونسي كانوا يجلسان أمام مدخل المنزل^(١). وذكر مصدر فلسطيني في منظمة التحرير الفلسطينية أن المجموعة ، التي اقتحمت المنزل ، كانت تتمتع ، من دون شك ، بعطايا خارج المنزل مكون من حوالي ثلاثة شخصاً^(٢). وأعادت هذه الجريمة إلى الأذهان عملية اغتيال ثلاثة من كبار القادة الفلسطينيين وهم : محمد النجار (أبو يوسف) وكمال ناصر وكمال عدوان ، في منازلهم بيروت ، ليل العاشر من نيسان (أبريل) ١٩٧٣ كما ذكرنا قبل قليل .

وقد اعترفت إسرائيل ضمناً بمسؤوليتها عن اغتيال «أبو جهاد» ، فوصفه تعليق لإذاعة الجيش الإسرائيلي بأنه كان «العقل الحقيقي وراء العمليات الرئيسية التي ارتكبت ضد إسرائيل في السنوات الأخيرة» . وافتراض معلقون عسكريون إسرائيليون آخرون أن إسرائيل هي التي دبرت عملية اغتيال «أبو جهاد»^(٣) .

خاتمة

تلك كانت نماذج أوردنها ، على سبيل المثال لا الحصر ، للوقوف على أساليب الجرائم التي ارتكبها اليهود ، أو اتهموا بارتكابها ، ما ظهر منها للعيان وما خفي عن الأنفاس . ولعل هذا

(١) جريدة «السفير» الباروية في ١٨/٤/١٩٨٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع نفسه .

الجانب من النشاطات اليهودية الهدامة لم ينل حقه من اهتمام الباحثين ، ويحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق من أجل المساهمة في إنقاذ البشرية مما تتخبط فيه . فالاغتيالات السياسية التي يقررها « حكماء صهيون » انسجاماً مع مخططهم البعيد للهيمنة على العالم هي من أبغض مظاهر الإفساد في الأرض ، لأنها تحرم البشرية - في الغالب - من كبار القادة والسياسيين والمفكرين المصلحين ، الذين يتroxون خير البشرية ويسعون لإنقاذهما من سلط قوى الشر وهيمتها على الشعوب . فنحن نقرأ ، بكثير من التساؤل والحيرة ، عن جرائم القتل المغلفة بالغموض ، أو المسجلة رسمياً على أنها نتيجة عمليات انتشار أو حوادث عارضة^(١) ، ومهمها توخي مدبرو هذه الجرائم من أساليب الحذر والسرية في العمل فإن الحقيقة تجد دائماً لها مكاناً في سجلات التاريخ . أليست الجرائم التي عرضناها تلتقي كلها في أمر واحد : وهو أنها كانت جميعاً لمصلحة اليهود ؟ أليست تعب بوضوح عن فكرة التفوق والتعالي التي غرستها أسفار « العهد القديم » في شخصية « شعب الله المختار » ، ثم بلوورتها نصوص التلمود بالدعوة إلى استعباد الشعوب الأخرى وتسخيرها كالحيوانات ، وعدم التورع عن إبادتها لتبقى السيادة في الأرض للشعب اليهودي وحده ؟ أليس هذا ما أكدته بروتوكولات حكماء صهيون بعد ذلك وما تتطق به النصوص اليهودية السرية بالرغم من حرصهم الشديد على إخفائهما أو إنكار ما اكتشف منها ؟

ليست العبرة في الدلالة على الجريمة كثرة الجرائم ، بل

(١) غاي كار ص ٥٢ - ٥٣ وص ١٩٠ .

تكفي واقعة ، أو حادثة واحدة ، للدلالة على نزعة القتل وسفك الدماء المتأصلة في الشخصية اليهودية . وهذا ما عبر عنه المؤرخ البريطاني « أرنولد تويني » ، عندما حاضر أمام جمع من اليهود فقال : « من المستحيل أن يتجاوز المرء نسبة مائة بالمائة من الشر ، فالقتل هو القتل وإذا قتلت رجلاً واحداً فهذا يجعل مني قاتلاً ، ولا ينبغي لي أن أقتل ستة ملايين نفس أو حتى ألف نفس . إن معاملة اليهود للعرب سنة ١٩٤٧ لا يمكن تبريرها من الناحية الأخلاقية تماماً مثل مذابح النازية ضد ستة ملايين يهودي »^(١) .

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى أصدق تعبير في قوله تعالى : ﴿مَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا مُقْتَلُ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانُوا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْ سُرْفُونَ﴾^(٢) صدق الله العظيم .

Hadawi P. 19 (١)

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

السيطرة على وسائل الإعلام والتضليل الإعلامي

خلال الحقبة الزمنية الممتدة بين ستيني ١٧٢٨ و ١٩٠٤ م أصدر اليهود حوالي ٩٧٥ مطبوعة ، ما بين صحيفة ومجلة ونشرة يومية ونصف أسبوعية وأسبوعية وشهرية وفصصية ونصف سنوية وسنوية^(١) ، وتوزعت هذه المطبوعات على ١٧ لغة كانت تصدر في ٢٥ بلداً ، منها حوالي ٥٧٩ مطبوعة في بلدان أوروبا الغربية والشرقية ، و ٢٩٨ مطبوعة في أميركا الشمالية ، و ٣ مطبوعات في أميركا الجنوبية ، و ٦٩ مطبوعة في آسيا ، و ٢٥ مطبوعة في مصر وشمالي أفريقيا ، و ١١ مطبوعة في أستراليا . وحتى سنة ١٩٠٤ كان لا يزال يصدر من هذه المطبوعات حوالي ٩٦ مطبوعة في أوروبا ، و ٨٥ في الأميركيتين ، و ١٤ في آسيا ، و ٧ مطبوعات في أفريقيا^(٢) .

لم نورد هذه الإحصاءات السريعة إلا للدلالة على النشاط الإعلامي الملحوظ لليهود ، الذي انطلق مع بداية النهضة الأوروبية الحديثة ، وكان له دور هام في خدمة الأهداف السياسية

The Jewish Encyclopedia Vol (9) P. 616.

(١)

Ibid. P. 640.

(٢)

لليهود ، وللحركة الصهيونية على وجه الخصوص ، بمعظم اللغات المحكية في العالم . وبقراءة سريعة لتاريخ الإعلام الأوروبي ، خلال القرنين الأخيرين ، يتبيّن لنا بوضوح تأثير فاعل لليهود في وسائل الإعلام الأوروبية ، ولاسيما الصحافة ، إذ أن السينما والتلفزيون يعتبران حديثي العهد نسبياً^(١) . وعلى سبيل المثال نذكر أن وكالة « هاشيت » الفرنسية Les Messengeries (Hachette) أُسسها اليهود سنة ١٨٥١ ، وكان يديرها ، قبل الحرب العالمية الثانية ، اليهودي « هوراس فينالي » (Horace Finaly) ، ووكلة « هافاس » (Havas) ، التي تعتبر ، منذ سنة ١٨٣٥ ، الوكالة الرسمية للدولة الفرنسية ، وكان يديرها ، قبل الحرب ، اليهودي « سفارديم » (Sephardime)^(٢) . وحسب إحصاءات أجريت ، في الصيف الثاني من القرن العشرين ، يتبيّن أن أموال اليهود تملك تسعين بالمائة من صناعة السينما والتمثيل وصالات الترفيه ، وخمساً وسبعين بالمائة من مؤسسات الطباعة والنشر والدعائية ، ومائة بالمائة من المؤسسات الصحفية ، كما أن ثمانية وثمانين بالمائة من نجوم السينما والتلفزيون هم من اليهود^(٣) .

(١) اخترعت الصور السينمائية المتحركة (Movies) سنة ١٨٩٥ ، وبدأ استخدامها تجاريًّا في إنتاج الأفلام السينمائية اعتبارًا من أوائل القرن العشرين (Encyclopedie International -12- P. 306).

أما التلفزيون فاختر في عام ١٩٣٦ وسوق تجاريًّا اعتبارًا من ربيع سنة ١٩٣٩ . Ibid)

Book I7. P. 561

(٢) س . ناجي - المفسدون في الأرض - ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩١ .

ومن مظاهر النفوذ الإعلامي اليهودي في فرنسا ما نشرته صحيفة «العصر» اليهودية (L'Epoque)، في معرض تعليقها على قرار الحكومة الفرنسية الصادر في ٢١ نيسان ١٩٣٩^(١) : «إذا قُدِّر لفرنسا أن تنجاز إلى المعسكر المعادي لليهود فستجد نفسها معزولة عن العالم»^(٢).

ومن المعروف أن الإعلاميين اليهود كانوا يتولون مناصب رفيعة في بداية الثورة البلشفية في روسيا . وبعد نجاح الثورة السوفياتية بادرت الصحافة اليهودية في العالم إلى حملة دعائية واسعة تشيد بالنظام الجديد وتهاجم الحكم القيصري البائد ، غير أن حملة التطهير ، التي أجرتها ستالين سنة ١٩٤٠ ، شملت عدداً كبيراً من المسؤولين اليهود من دون أن تستأصل نفوذهم تماماً داخل الاتحاد السوفيتي . ولكن هذه الحملة كانت بداية النهاية للنفوذ اليهودي المباشر في أجهزة الدولة . وحتى أوائل الخمسينات كان أكثر الذين يشرفون على الصحافة السوفياتية من اليهود أمثال طحال (Thal) ومنكس (Menkes) ، ونيلفر (Nilvir) الذين كانوا يحررون صحيفة «أرفستيا» (Iswestia) ، وأمثال ميشيلي (Michilis) ، وجلفان (Gelfand) ، وأولغين (Olgin) الذين كانوا يشرفون على تحرير صحيفة «البراقدا»

(١) صدر هذا القرار بعدما تولى الماسوني «دولاديه» رئاسة الحكومة الفرنسية ، وأعلنه رسمياً أمين عام مجلس الوزراء الفرنسي اليهودي «يربعم مانديل» (Jerodoam MANDEL) ، في التاريخ المذكور أعلاه ، وينص على تغريم كل من يعتدي على اليهود بعشرة آلاف فرنك وسجنه سنة كاملة (المفسدون في الأرض ص ٢١٤).

(٢) المرجع السابق ص ٢١٥.

(^١) ، غير أن النفوذ اليهودي كان يتلاشى يوماً بعد يوم ، وعندئذ بدأت الصحافة اليهودية في الدول الغربية تهاجم النظام السوفياتي وتحرض على الشيوعية والشيوعيين (^٢) .

ومن الملاحظ أن اليهود بدأوا ، مع أوائل القرن العشرين ، يركزون مؤسساتهم الإعلامية في الولايات المتحدة الأمريكية حتى باتت تسيطر ، بنسبة عالية ، على الرأي العام الأميركي وتوجهه وفق المصالح الصهيونية ، ثم وفق مصالح الدولة اليهودية ، بعد إعلان قيامها في فلسطين سنة ١٩٤٨ . وتحكم عقدة « الكبت اليهودي » بالعاملين في حقول الإعلام من اليهود الأميركيين فيحرصون على إخفاء أصولهم اليهودية تحت ستار « الموضوعية » التي يحاولون إيهام الرأي العام الأميركي بأنهم يتزمونها في كتاباتهم (^٣) ويرى الكاتب اليهودي الأميركي « ستيفن د. إيزاكس » أن الصحفي اليهودي يجد أن ليس بوسعه أن يكون ، في وقت واحد ، يهودياً وصحفياً جيداً (^٤) ، وفي هذا القول اعتراف ضمني بأن الصحفي الناجح يحرص على كونه يهودياً لأن ثمة اعتقاداً ،

(١) المقسدون في الأرض ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠ . [من الأمثلة على ذلك ما ورد في صحيفة « حصن الحراس » اليهودية الفرنسية (La Tour De Garde) ، في ١٥/١١/١٩٥١ : « لعلم هؤلاء الروس الكفرة أن نبوءة دانيال سوف تتحقق ، وأن الرب سوف يقيم مملكته الأبدية التي ستحطم جميع الممالك والدول » (المراجع أعلاه ص ٢٦٠)] .

(٣) ستيفن د. إيزاكس ، اليهود والسياسة الأمريكية ، ص ٤١ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٢ وص ٥٣ - ٥٤ .

لدى القارئ الأميركي ، بأن الانتاج الإعلامي ، الذي يتولاه اليهود ، قد يجانب الموضوعية في سبيل تأييد القضايا اليهودية التي تلتئم حولها جميع المنظمات اليهودية على اختلاف اتجاهاتها . وتفيد الإحصاءات أن في الولايات المتحدة الأميركية ٢٢ منظمة يهودية رئيسية تمثل حوالي ستة ملايين يهودي أمريكي^(١) ، وتحتدم هذه المنظمات جمعاً في إطار « مؤتمر المنظمات اليهودية » ، وتشكل مجتمعة « اللوبي » اليهودي الذي يعتبر أقوى القوى الضاغطة في واشنطن ، وأكثرها تأثيراً على السياسة الأميركية الخارجية فيما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي^(٢) .

وليست وسائل الإعلام اليهودي في أميركا سوى أدوات تعبّر عن المواقف السياسية لهذه المنظمات ، التي تقف وراءها ، بحيث يستخدم الإعلام اليهودي وسائل مدرورة لتضليل الرأي العام الأميركي بشأن ما يتعلق بالعرب والمسلمين . ويركز اليهود إعلامهم على استغلال نقاط الضعف لدى القارئ الأميركي ودفعه إلى اتخاذ مواقف مؤيدة لدولة « إسرائيل » ومعادية للعرب . وهناك عوامل نفسية لدى الرأي العام الأميركي يحسن الإعلام اليهودي استغلالها ، ومثلاً على ذلك : « يميل الرأي العام الأميركي إلى التعاطف مع الدولة التي تصور على أنها دولة مستضعفة مهانة تواجه خطراً جدياً بسبب الحرب التي يتوقع أن

(١) أي . ج ، نايدو - التأثير اليهودي في السياسة الخارجية الأميركية ص ١٢ .

(٢) نايدو ص ١٢ .

تشنها عليها مجموعة من الدول التي تفوقها قوة وبأساً وعددأً .
وحين توحى تلك الدولة المستكينة بأنها خالصة الود تجاه الولايات
المتحدة ، وتصور الدول المواجهة لها ليس كعدوة للولايات
المتحدة فقط ، وإنما أيضاً كدول تتلقى المساعدة والتشجيع من
الاتحاد السوفيaticي ، فإن الرأي العام الأميركي ، المؤيد للدولة
المستكينة ، يزداد قوة ومدى ^(١) ، ولا يخفى أن هذه « الدولة
المستكينة » ليست سوى دولة « إسرائيل » في عرف الإعلام
اليهودي وأن « الدول العدوة » ليست سوى الدول العربية !

وقد أدرك الأميركيون المتخصصون الأخطار الكامنة وراء هذه
السيطرة الإعلامية اليهودية منذ أمد بعيد سبق قيام دولة إسرائيل في
فلسطين ، بدليل أن « تشارلز لتنبرغ » بطل الطيران الشهير
خاطب جمهوراً في مدينة « دي موينز » بولاية « إيووا » الأميركية
سنة ١٩٤١ بقوله : « أكبر خطر يشكله اليهود على هذا البلد
يكمن في ملكيتهم الكبيرة ونفوذهم الواسع في كل من صناعتنا
السينمائية وصحافتنا وإذاعتنا وحكومتنا » ^(٢) .

وبعد ٢٨ سنة صدر موقف مشابه في مدينة « دي موينز »
بالذات على لسان « سبيروت . أغنيو » ، نائب الرئيس الأميركي ،
سنة ١٩٦٩ ، الذي شن هجوماً عنيفاً على شركات التلفزيون
المتمركزة في شرقى البلاد (أي في نيويورك على وجه
التحديد) ، وعلى بعض المعلقين متهمأ إياهم بإخفاء الحقيقة
عن الجمهور ^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) إيزاكس ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٦ .

ومع ذلك استمر النفوذ اليهودي على أشدّه في توجيه السياسة الخارجية الأميركيّة في الشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل ، لأن المنظمات اليهودية تركز على أساليب مدرّسة وتعمل متّحدة وفق تنظيم دقيق يمكنها من التغلغل في جميع المؤسسات الأميركيّة الفاعلة ، من دون أن يكون ، في المقابل ، تحرك عربي فاعل . ومن الأساليب التي يستخدمها الإعلام اليهودي للتأثير على الرأي العام الأميركي والأوروبي :

أ - استغلال اليهود المقيمين في الدول العربية والإدعاء أنهم يتعرّضون للتعذيب والاضطهاد ، على نحو ما نرى في سلسلة المقالات التي نشرتها صحف يهودية في باريس ولندن خلال الفترة ما بين كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ وحزيران (يونيو) ١٩٧٥ حول أوضاع اليهود في سوريا^(١) .

ب - الابتزاز والتهديد من خلال ترسّيخ ما يسمى بعقدة الذنب (Guilt Complex) لدى الشعوب الأوروبيّة والإيحاء لهذه الشعوب أنها مسؤولة عن مذابح النازية ضد اليهود ، حتى أن الإعلام اليهودي نجح في ترسّيخ هذه العقدة لدى الشعب الأميركي بعيداً كلياً عن مجازر أوروبا والنازية^(٢) .

ج - استعطاف الرأي العام العالمي ، من خلال التباكي على المأساة التي واجهت الشعب اليهودي عبر تاريخه الطويل في أوروبا واتخاذ ذلك ذريعة لتبّير إقامة دولة يهودية في فلسطين .

(١) محمود البدي - *أساليب الإعلام الصهيوني* ص ٢٩ - ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

د - تزوير الحقائق لمصلحة الأهداف الصهيونية كالزعم أن فلسطين كانت « صحراء قاحلة » حولها الإعلام الصهيوني إلى « جنة خضراء » ، والتغطية على المذابح الصهيونية في فلسطين والادعاء أن الأطفال الفلسطينيين اللاجئين يتعلمون في المخيمات « القتل والإجرام »^(١) .

هـ- استخدام أسلوب التكرار الإعلامي لترسيخ الأفكار ، التي يروج لها الإعلام اليهودي ، وتقديمها إلى الرأي العام العالمي بأشكال مختلفة ، سواء عن طريق الكلمة المكتوبة في الصحف أو في البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية . والمعلوم أن أسلوب التكرار كان القاعدة الرئيسية التي بني عليها « هتلر » فلسنته الإعلامية وكان الركيزة الأساسية للإعلام النازي^(٢) .

و سنحاول الآن أن نلمس بعض الأمثلة التي تظهر مدى التأثير الإعلامي الصهيوني على الرأي العام الغربي ومدى تضليله وإخفاء الحقائق عنه من خلال الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما .

أولاً : الصحافة :

يمارس اليهود سيطرتهم على الصحافة من خلال طريقتين : الأولى شراء أو إنشاء الصحف والمجلات ووكالات الأنباء ، والثانية التغلغل في الصحف والمجلات الكبرى واحتلال مراكز

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٧ .

قيادية فيها . على سبيل المثال ذكرنا ، قبل قليل ، أن وكالة « هاشيت » الفرنسية أسسها اليهود في سنة ١٨٥١ ، كذلك أسس اليهودي الألماني المولد البارون « فون رويتز » وكالة « رويتز » (Reuter) للأخبار سنة ١٨٥٨ في لندن^(١) ، وتمتلك عائلات يهودية صحيفتي « نيويورك تايمز » (Newyork Times) و « واشنطن بوست » (Washington Post) ، الواسعتي الانشار ، في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم ، وهما اثنان من أربع صحف كبرى في أميركا تؤثر تأثيراً كبيراً في مجالات السياسة الأمريكية . والاثنان الآخريان هما : « نيويورك بوست » (Newyork Post) و « وول ستريت جورنال » (Wall Street Journal) ، ومدراء التحرير في هذه الصحف جميعاً هم من اليهود . كذلك هناك عدد من المجلات الثقافية ذات التأثير الكبير يتولى إدارتها تحريرها يهود مثل مجلة « كومتاري » (Commentary) ، و « ذي بابليك انترست » (The Public Interest) ، و « ذي نيويورك ريفيو بوكس » (The Newyork Re-view Books) ، وهناك حوالي ٢١٨ مجلة فصلية يهودية تتلقى مساعدات مالية من مصادر صهيونية^(٢) ، هذا فضلاً عن دور النشر التي يسيطر اليهود على عدد كبير من أهمها مثل : دبل داي (Double Day) ، ومكميلان (MacMillan) ، وماكغروهيل (Mc Harcourt Brace) ، وهاركورت برييس جافوفتش (Graw Hill Harper and Row) ، هاربر آند رو (Javenovich وراندوم

Encyclopedia International Book 15 P. 416.

(١)

. ١٩ نايدوص

هاوس (Random House) ، وريتشارد سايمون (Richard Simon) ، وماكس شوستر (Max Schuster) ، وألفريد أ. نوف (Alfred A. Knoff) .^(١)

وتمارس الصحافة تأثيراً كبيراً على الرأي العام الأميركي الذي يؤثر بدوره على عملية صنع القرار ، لاسيما في السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط ، حيث نلاحظ أن الصحافة اليهودية تركز اهتمامها على هذه المنطقة بما يحقق مصلحة « إسرائيل » في صراعها مع العرب . ومن اللافت للنظر أن موقف الصحف الخاصة لنفوذ اليهود ، بشأن الشرق الأوسط ، تناقض مواقفها حيال قضايا مشابهة في مناطق أخرى من العالم . وكمثال على ذلك أن افتتاحيات الصحف اليهودية كانت تناول ، أثناء الحرب الفيتنامية ، بانسحاب الجيش الأميركي من فيتنام بينما كانت تدعو ، في الوقت نفسه ، إلى استمرار تورط الولايات المتحدة الأميركيّة في الشرق الأوسط .^(٢)

وسنورد فيما يلي وقائع ذكرها النائب الأميركي السابق بول فندلي (Paul Findley) ، في كتابه « من يجرؤ على الكلام » ، كأمثلة على التضليل الذي يمارسه اليهود في الصحف الخاصة لسيطرتهم ، وعن عمليات الضغط والإكراه التي يقومون بها ضد رجال الإعلام المتحررين من الهيمنة الإعلامية الصهيونية :

١ - شطب محررو صحيفة « نيويورك تايمز » كلمة « عشوائي »

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) تابدو ص ٢٠ .

من تقرير مراسلهم في الخارج ، « توماس فريدمان » في ١٣ آب (أغسطس) ١٩٨٢ ، الذي يصف فيه القصف الإسرائيلي لبيروت مما دفع المراسل المذكور إلى إرسال برقية مطولة يعبر فيها عن استيائه^(١) .

٢ - في سنة ١٩٨٢ أعلن الصحفى الأميركي « جون لو » مؤسس نشرة « واشنطن ريفورت » ، التي تعنى بشؤون الشرق الأوسط ، أن أهداف هذه النشرة « أن ترى قضايا الشرق الأوسط تعالج بطريقة تفيد مصالح شعب الولايات المتحدة وتنسجم في الوقت نفسه مع المعايير التي ارتبواها للعدل والإنصاف » .

وعلى الرغم من أن هذه العبارة عامة ولا تطرح موقفاً معادياً لإسرائيل ، بشكل مباشر ، فقد تحرك الإرهاب الصهيوني فتلقي « لو » في ١٦ أيار (مايو) ١٩٨٢ بهيدياً هاتفيًا بالاعتداء عليه وأنذر بأن يكون « على حذر » . وفي اليوم التالي اعتدى رجلان على « جون ديكو أنتوني » American Educational Trust الموظف في مؤسسة « أميركان إديوكيشنال تrust » () أحدهما بحجر على رأسه^(٢) .

٣ - تعرضت صحيفة « جورنال هيرالد » (Journal Herald) في « دايتون » ، بولاية « أوهايو » (OHIO) ، لسلسلة من

(١) بول فيندلي - من يجرؤ على الكلام ص ٥٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩١ .

ضغوطات «اللوي» الصهيوني بسبب المقالات التي كان يكتبها الصحافي الأميركي «هارولد ر. بaiti» عن الشرق الأوسط بشكل موضوعي . ومن هذه الضغوط تهديد المحررين والمقاطعة المنظمة للصحيفة المذكورة ، وشن الافتراءات وحملات التشهير ضد «بaiti» . وعندما كتب «بaiti» ، في نيسان (أبريل) ١٩٧٧ ، تعليقاً عن ذكرى مذبحة دير ياسين أخبره رئيس التحرير «دنيس شير» أنه تلقى تعليمات يفترض أن تكون من إدارة المؤسسة « بأن أسد فمك أو أطرك »^(١) .

ويقول «روبرت أنغلهارت» ، رسام الكاريكاتير في الصحيفة نفسها : « أستطيع أن أصور العربي كسفاح وكذاب ولص فلا يتعرض أحد ، ولكنني لا أستطيع اعتماد صورة تقليدية لليهودي ، وأشعر دائماً كأنني أسير فوق البيض عندما أحاول أن أرسم شيئاً عن الشرق الأوسط »^(٢) .

٤ - على أثر العزو الإسرائيلي للأراضي اللبنانية ، في حزيران ١٩٨٢ ، انتدبت جماعات يهودية أميركية مراقباً من قبلها للإشراف على أخبار صحيفة «الواشنطن بوست» ، واستمرت عملية المراقبة مدة أسبوع بحيث لا يرد في تغطية أخبار العزو ما يكشف الجرائم الإسرائيلية في لبنان^(٣) .

٥ - تعرّض العميد فرنسيس ب. ساير (Dean Francis)

(١) المرجع السابق ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) فينديلي ص ٤٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(١) رئيس الكاتدرائية الوطنية في واشنطن سابقاً ، B.Sayre وأحد أبرز الوجوه الدينية وأكثرها مكانة في الولايات المتحدة الأمريكية ، لحملة من الاتهامات والتشهير شاركت فيها صحف خاضعة للنفوذ اليهودي . والسبب في ذلك أن « ساير » تجرأ على انتقاد السياسة الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ودعا إلى إنصاف الشعب الفلسطيني ، وانتقد قرار الحكومة الإسرائيلية ضم مدينة القدس . ومما ورد في حملة الافتداء هذه ما نشرته صحيفة « واشنطن بوست » عن أقوال « ساير » فوصفتها بأنها « قمامنة مجانية للحقيقة » ، وأنها « قريبة إلى حد مؤلم من نهج قديم جداً ومؤلف جداً لأسوأ أنواع التعصب .. وتنديد مسرف بسياسة إسرائيل الراهنة في القدس » (٢) .

٦ - من الملاحظ أن المسيحيين من أتباع « مذهب العصمة » والمذهب الإنجيلي في الولايات المتحدة يبدون تعاطفاً خاصاً تجاه إسرائيل ، ومثلاً على ذلك فإن أحد زعمائهم « جيري فالويل » رئيس منظمة « الأغلبية الأخلاقية » صديق شخصي لمناخيم بيغن وإسحق شامير . وقد وصفته صحيفة الإيكonomist (Economist) اللندنية بأنه « آية الله للبعث المسيحي ذو الصوت الحريري » (٣) . وكثيراً ما تكيل وسائل الإعلام الصهيونية المدحى لزعماء مذهب العصمة نظير

(١) العميد « ساير » هو حفيد الرئيس الأميركي السابق « وودرو ويلسون » .

(٢) فيندلي ص ٤١٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٩٤ .

مواقفهم المؤيدة لإسرائيل ، مما دفع « فيندي » إلى القول إن بعض المسيحيين قد اتخذوا لأنفسهم « هوية إسرائيلية غامضة »^(١) .

٧ - تعرض مركز الشرق الأدنى للدراسات في جامعة « أريزونا » لافتراءات من الجالية اليهودية بحجج أن المركز متحيز لمصلحة العرب ضد إسرائيل . واستخدم اليهود وسائل الإعلام في نشر هذه الاتهامات المزعومة ، فكتبت صحيفة « أريزونا ديلي ستار » (Arizona Daily Star) ، بتاريخ ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣ ، أن ما يدرس في الجامعة عن الشرق الأوسط « كان موالياً للعرب ومناهضاً لإسرائيل بدءاً » . ولكن هيئة من الخبراء درست البرامج ووضعت تقريراً دحض كل الاتهامات اليهودية المضللة وتبيّن ، حسب هذا التقرير ، « أن اتهامات المجلس اليهودي غير مسؤولة ، كما أن أساليبه تستحق الشجب : تسجيل أشرطة بالسر ، إفتراءات خبيثة على مدير البرامج الإضافي وتعريض به ، تسريب الأخبار التي تخدم أغراض المجلس إلى الصحفة ، وتوزيع الجواسيس على الصحف »^(٢) .

٨ - شنت مراكز الضغط اليهودية حملة شعواء على الباحث السعودي مظفر حميد ، خريج كلية « فلتشر » وهو متخصص في شؤون الأمن الدولي ، لأنه وضع تقريراً لمركز جامعة « جورج تاون » للدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن

(١) فيندي ص ٣٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٢ - ٣٧٣ .

حول «أمن حقول النفط السعودية» ، وأشار في تقريره إلى أن إسرائيل قد توجه ضربة وقائية ينبع عنها «حظر نفطي» ، وقد دعم تقرير حميد وجهة النظر المؤيدة لبيع طائرات «أواكس» إلى السعودية . وعلى الأثر ظهرت في صحيفة «نيو ريبابليك» (New Republic) ، ابتداء من ١٧ شباط (فبراير) ١٩٨٢ ، مقالات تهاجم ضغوط «البترودولار» وتحدث عن «محاولات عربية مزعومة للتلاعب بالرأي العام الأميركي»^(١) . وقد واصل «اللوبى» اليهودي ضغوطه على مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الذي اضطر ، تحت وطأة الحملة الإعلامية اليهودية ، إلى إنهاء مهمة الباحث السعودي حميد وطرده من الولايات المتحدة رغم تقدير عدد من الأكاديميين الأميركيين لأهمية البحث الذي وضعه^(٢) . ومن الجدير بالذكر أن مكتب حميد تعرض للعبث به في الليل ، وخلع «اللصوص» صندوق البريد الذي يستخدمه لمراسلاتة ، كما وضعوا في صندوق بريد منزله عدسات لاصقة من باب التهكم لأن حميد كان ضريراً ! كما تعرض هذا الباحث السعودي لحملة افتراءات من أجل تشويه سمعته^(٣) .

كذلك شاركت صحيفة «نيو ريبابليك» ومجلة «واشنطنيان» وصحيفة «واشنطن بوست» في حملة إعلامية ضد هبة غير مشروطة قدمتها ليبيا إلى جامعة «جورج

(١) فيندلي ص ٣٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٩ - ٣٥١ . (٣) المرجع السابق ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

تاون » ، مما أدى إلى رد الهبة رغم أن العميد « بيتز كروغ » عارض إعادة المال ونفى وجود أية ضغوط من جانب الحكومة الليبية^(١) .

ونشرت صحفتا « فيلادلفيا إينكويرر » (Philadelphia Evening Bulletin) ، و « إيتشننخ بولتين » (Inquirer) في فيلادلفيا مقالتين ، بتاريخ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ ، تهاجمان برنامجاً للدراسات عن الشرق الأوسط شارك فيه ثالث كليات أميركية بتمويل من الثري السعودي عدنان خاشقجي ، كما انتقدت هذا المشروع نشرات جامعية عائدة لهذه الكليات مما أدى إلى صرف النظر عنه . والجدير باللحظة أن جماعات الضغط اليهودية كانت تحصل على التفاصيل بشأن البرنامج بشكل سري وترفض الإفصاح عن مصادر معلوماتها^(٢) .

٩ - ساهمت وسائل الإعلام ، الخاضعة للنفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية ، في حملة من التعييم لم يسبق لها مثيل حول تفاصيل الهجوم الإسرائيلي بالطائرات الحربية وزوارق الطوربيد على السفينة الحربية الأمريكية « ليبرتي » (Liberty) ، في ٨ حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ، مما أودى بحياة ٣٤ جندياً من البحرية الأمريكية ، وأوقع إصابات بـ ١٧١ جندياً آخرين ، وأغلقت وسائل الإعلام الأمريكية نشر الواقع التي تدحض ادعاءات الحكومة الإسرائيلية بأن

(١) فيندلي ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٦ - ٣٢٠ .

الهجوم حصل «بطريق الخطأ» ، وتأكد أن قصف السفينة «ليرتي» كان بقرار متعمد من القيادة العسكرية الإسرائيلية . وقد مارس «اللوبي» الصهيوني في أميركا ضغوطه لإبقاء هذه المعلومات في إطار السرية ، غير أن الملازم جيمس م. إينيس (James M. Ennes) ضابط «الشيفرة» في السفينة «ليرتي» ، الذي أصيب بجروح في الهجوم الإسرائيلي ، كشف الحقائق التي أخفيت عن الرأي العام الأميركي في كتابه «الهجوم على ليرتي» ، الذي نشر عام ١٩٨٠ (أي بعد حوالي ١٣ سنة على الحادثة وبعد ستين على تقاعده من الخدمة في البحرية الأميركية) . ويعتقد «إينيس» في كتابه تحقيقات المحكمة عن الحادث ، ويفيد أنها تجاهلت الدليل على أن الهجوم كان مدبراً من قبل القيادة الإسرائيلية . وما يؤكد ذلك شهادة التنصت اللاسلكي من محطتين سمعتا طياراً إسرائيلياً يحدد هوية السفينة الأميركية . ويتضمن كتاب الملازم «إينيس» جملة من الواقع تؤكد تورط القيادة الإسرائيلية في الهجوم ومسؤوليتها عن سقوط الضحايا . ويقول «إينيس» في كتابه إنه رأى في ملف حكومي عام ١٩٧٧ رسالة من الحكومة الإسرائيلية إلى واشنطن تتضمن تقرير محكم للتحقيق الإسرائيلي بالحادث ، وتطلب الرسالة «عدم إطلاع الشعب الأميركي على التقرير» ، غير أن هذه الرسالة اختفت عام ١٩٨٤ من كل الملفات الرسمية المعروفة^(١) .

(١) فيندلي ص ٢٧٥ - ٢٨٤ .

وتعرّض كتاب «إينيس» لحملة تشويه ، فزعمت وزارة الخارجية الإسرائيليّة أن «إينيس» يسمح لحقده وأنانيته الواضحين بالغلبة على التحليل الموضوعي ، وأن استنتاجاته لا تستطيع الصمود في وجه الحقائق المنطقية والعسكريّة». ووصفت اللجنة الأميركيّة الإسرائيليّة للشؤون العامة (إيباك) الكتاب بأنّه «مكيدة مبيّنة وكله أكاذيب وقد مولته جمعية الأميركيّين العرب»^(١). وقد تبنّت هذا التضليل منظمات يهوديّة الأميركيّة منها رابطة مكافحة الافتراء «بثنائي بشرط» ، وتحت الدعاية اليهوديّة القراء الأميركيّين على «إغفال تقرير هذا الكتاب». وبنتيجة هذه الحملة الإعلاميّة اليهوديّة لاحظ «إينيس» وجود تردّد ملحوظ لدى وسائل الإعلام في السماح ببحث هذا الموضوع ، كما سمع شكلوي من أشخاص من جميع أنحاء الولايات المتحدة الأميركيّة مفادها أن ثمة عرّاقيل تحول دون حصولهم على الكتاب ، وأن المكتبات التي طلبت الكتاب من الناشر «راندوم هاوس» تلقت معلومات مغلوطة توهم أصحاب هذه المكتبات بأن الكتاب لا وجود له ، أو أنه لم ينشر بعد ، أو أن طبعته نفدت ، أو أنه سُحب من التداول بسبب دعوى قضائية^(٢) وقد سبقت الإشارة إلى أن دار النشر «راندوم هاوس» واقعة تحت نفوذ اللوبي الصهيوني^(٣) . وعندما دعا

Ennes- Interview. April, 30. 1983.

(١)

Middle East Respective, June 1981, and Washington Post, July 18, 1982.

(٢)

(٣) نابدو ص ٢٠ .

«بول باكوس» ، رئيس تحرير مجلة «الدفّاعات الألكترونية» الأميركيّة ، «إينيس» لكتابه مقالة افتتاحية عام ١٩٨١ عن مضمّين حادثة «لبيرتي» فوجيء بتصدور أمر من صاحب المجلة بعدم نشر المقالة مما دفع «باكوس» إلى تقديم استقالته ، ولكن المقالة نشرت في مجلة منافسة هي مجلة «الكترونيات الدفّاع» ولاقت إقبالاً شديداً من القراء^(١).

١٠ - واجه النائب الأميركي عن ولاية كاليفورنيا ، بول. ن. ماكلوسكي (Paul. N. McClosky) ، حملة إعلامية شديدة من جانب اللوبي الصهيوني بسبب مواقفه المؤيدة للعدالة في الشرق الأوسط ، وانتقاده للمساعدات الأميركيّة إلى إسرائيل ، واعتراضه على بناء المستوطنات الإسرائيليّة في الأراضي العربيّة المحتلة^(٢). وعندما رُشح «ماكلوسكي» نفسه لانتخابات مجلس الشيوخ ، لعام ١٩٨٢ عن ولاية كاليفورنيا ، نشرت صحيفة «سان فرنسيسكو إكزامنر» (San Francisco Examiner) مقالاً جاء فيه أن «ماكلوسكي» اتهم «اللوبي» الصهيوني بـ «تخريب المصلحة القوميّة» ، وشبهه المقال بعض «أعداء السامية»^(٣). ووردت اتهامات أخرى في صحيفة «بئاني

(١) فيندلي ص ٢٩٥.

(٢) New York Magazine. June 14, 1971 and B'rith Messenger August 7, 1981 and Palo Alto Times- Tribune , August 17 1982. and Heritage and South West Jewish Press (California) August, 6, 1981.

(٣) San Francisco Examiner, August 26, 1981.

بئريت مسنجر » (B'nai B'rith Messenger) تبين فيما بعد أنها كانت تزويراً بكمالها^(١) . ونشرت مطبوعة يهودية أخرى صورة لماكلوسكي وكتبت تحتها « خليفة غوبيلز »^(٢) . وأما صحيفة « هرثيغ ساوث وست جوش برس » (South West Jewish Press Heritage) فقد وصفته عبارات الدم مثل « ابن العاهرة رقم واحد » و « قذر » و « حقير » وبأنه صاحب « موقف مرذول ضد يهود أميركا »^(٣) .

١١ - خلال صيف سنة ١٩٨٢ خصص الصحافي الأميركي « ريتشارد برودريك » عدة حلقات من زاويته الأسبوعية لفضح التحيز الإعلامي في تغطية أخبار الغزو الإسرائيلي للبنان ، ومن جملة الأمثلة التي أوردها قوله : « فيما كان المدنيون الفلسطينيون واللبنانيون يقتلون بالآلاف نشرت « مينابوليس آند تربيون » على صفحتها الأولى صورة أم إسرائيلية تدب ولدها الميت »^(٤) .

ثانياً : الإذاعة والتلفزيون :

يمتلك اليهود شبكات الرئيسية الثلاث للإذاعة والتلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية وهي : شركة الإذاعة الوطنية (N.B.C.) ، وشبكة كولومبيا الإذاعية (C.B.S.) ، وشركة الإذاعة

(١) فيندلي ص ٩٦ .

(٢) « غوبيلز » هو مسؤول ألماني نازي اتهم بالعداء لليهود (Joseph GOEBBELS) .

Heritage and South West Jewish Press, August, 7, 1981

(٣)

(٤) فيندلي ص ٤٨٥ .

الأميركية (A.B.C) ، كما يسيطر اليهود على مؤسستين وطنتين من أصل ثلات مؤسسات تقوم بإجراء استفتاءات الرأي العام وهما : « لويس هاريس » (Louis Harris) ، و « ديفيد يانكيلوفيتش » (David Yankelovitch)^(١) ، وفي هذا دلالة واضحة على مدى تأثير الإعلام اليهودي في تكوين الرأي العام الأميركي ، وتوجيهه بحسب ما تملئه مصالح « اللوبي » اليهودي وفي مقدمتها مصلحة « إسرائيل » . وقد نتساءل هنا : لماذا لا يتحرك الشعب الأميركي للتخلص من الهيمنة الإعلامية اليهودية ؟ والجواب على هذا السؤال يكمن في الأساليب التي تتبعها المؤسسات اليهودية في أميركا ، وهي أساليب مدروسة تأخذ بعين الاعتبار النواحي النفسية لدى الشعب الأميركي من جهة ، وتعتمد مبدأ العمل السري والتحرك الخفي المؤثر من جهة ثانية . وقد تعلم اليهود ، من خلال تجربتهم السياسية والاجتماعية ، أن يكتوا بهوديتهم ، كما أشرنا قبل قليل^(٢) ، وهم يحرصون على أن يضعوا في الواجهة الظاهرة أشخاصاً من غير اليهود بينما يحتفظون هم بالمكاتب الخلفية التي تتخذ فيها القرارات . ففي شبكات التلفزيون يحرص اليهود على أن تكون « واجهة الأخبار التلفزيونية مطبوعة بطابع البروتستانت البيض الأنكلوساكسون » . ولوحظ ، في السنوات الأخيرة ، الاتجاه نحو « اللاإثنية » - أي اللادين - في وسائل الإعلام الأميركي ، وتجلّت هذه الظاهرة بوضوح في شبكات التلفزيون التي بذلت جهوداً كبيرة لتحاشى أي إيحاء

(١) أي . ج . نايدو ص ١٩ .

(٢) إيزاكس ص ٤٢ .

يشير إلى كونها يهودية^(١).

وبهذا الأسلوب الخفي في العمل يمكن اليهود من توجيه الرأي العام وفق مصالحهم مستخدمين في ذلك قطاعاً واسعاً من الأميركيين أنفسهم بما في ذلك فئة من البروتستانت تعرف باسم «أتباع مذهب العصمة»، أو «الأغلبية الأخلاقية»^(٢)، وهي معروفة بتأييدها الشديد للصهيونية وإسرائيل.

ومن مظاهر هذا التأييد ، الذي يتجلّى في وسائل الإعلام الأميركيّة ، البرنامج الخاص الذي أذاعه قيسис مدينة «بدفورد» بولاية تكساس «مايك إيفانس» في التلفزيون لمدة ساعة ، في صيف سنة ١٩٨٣ ، وأعطي وقتاً مفتوحاً في محطات التلفزيون ، التي تغطي ما لا يقل عن ٢٥ ولاية أميركية ، فضلاً عن شبكة الإذاعة المسيحية باعتبار أنها «برنامج ديني» ، ولكن تبين أن مضمون البرنامج لم يكن سوى دعاية واضحة لإسرائيل ، ومطالبة صريحة بمزيد من الدعم الأميركي لها لأنها «ضحية للضغط السوفياتي المتمثل بالإرهاب الدولي»^(٣). ومما قاله القيسيس إيفانس في برنامجه : «الرب أمرني بوضوح بإنتاج هذا البرنامج التلفزيوني الخاص بدولة إسرائيل»^(٤).

أما «جيري فالويل» ، زعيم «الأغلبية الأخلاقية» ، فقد سبقت الإشارة إلى أنه صديق شخصي لمناهيم بیغن وإسحق شامير ولديه برنامج «ساعة من أزمان الإنجيل» ، الذي يذاع من

(٣) المرجع السابق ص ٣٩٥ .

(٤) إيزاكس ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤) المرجع نفسه ص ٣٩٥ .

(٢) فيندلي ص ٣٩٤ .

٣٩٢ محطة تلفزيونية ومن حوالي ٥٠٠ محطة إذاعة أميركية كل أسبوع^(١).

ولا تنحصر هذه البرامج الإنجيلية ، المؤيدة لإسرائيل ، في الولايات المتحدة فقط بل تتعداها إلى الخارج أيضاً ، وعلى سبيل المثال فإن شبكة إذاعة «المغامرة الكبرى للأرض المقدسة» الإنجيلية هي التي أنشأت إذاعة «صوت الأمل» في جنوب لبنان ، منذ الغزو الإسرائيلي الأول للأراضي اللبنانية في آذار ١٩٧٨ ، تحت ستار الشعار الديني وبحججة «حمل كلمة الله إلى منطقة لم تعرف كلمة الله منذ قرون»^(٢) . وقد تغاضت هذه الإذاعة عن «كلمة الله» عندما هاجمت دبابات سعد حداد الأميركية الصنع ، التي زودته بها «إسرائيل» في ربيع سنة ١٩٨٠ ، مخيماً للكشافة ، قرب مدينة صور ، كان قد أقيم بدعوة من المطرانية المارونية ، فقتل جنود حداد ، المدعومون من الجيش الإسرائيلي ، ١٦ فتى من كشافة المخيم ، كما أسقطوا طوافة للقوات النروجية الدولية عندما حاولت مساعدة الجرحى^(٣) . وكثيراً ما تستخدم إذاعة «صوت الأمل» في توجيه التهديدات إلى المدنيين الذين يرفضون العمل لحساب إسرائيل في الجنوب اللبناني . ويلاحظ النائب الأميركي السابق «بول فندلي» أن هذه الإذاعة ، بالرغم من التزامها الديني المزعوم ، فقد انخرطت في «مغامرة ذات طابع علماني» ، كما يلاحظ أن

(١) فيندلي ص ٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٦ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩٧ .

جماعة «الأكثرية الأخلاقية» الإنجيلية تتجنب إظهار الأموال التي تتدفق عليها من مصادر يهودية^(١).

ومن الأمثلة على الضغوط اليهودية ، في مجالات الإعلام ، الحملة التي شنها الزعماء اليهود في «لوس أنجلوس» على الصحافي اليهودي «جون والاتش» عندما أنتج فيلماً تلفزيونياً وثائقياً بعنوان : «إسرائيل والفلسطينيون : هل يسود العقل ؟ » ، في أوائل سنة ١٩٨١ . وقد طلب الزعماء اليهود عرضاً مسبقاً للشريط ، وعندما شاهدوه احتجوا بشدة ، وتلقى «والاتش» شكاوى كثيرة ومعظمها يدّعى بأن الشريط «يظهر الأطفال الفلسطينيين بصورة حسنة ، فبعضهم شعرهم أشقر وعيونهم زرق وجميعهم جذابون وهذا مخالف للصورة السلبية المعهودة عن الفلسطينيين ! وكان السفير الإسرائيلي «سيمحا دنيتز» قد استدعاي «والاتش» وألح عليه بأن يتخلّى عن مشروع الفيلم . وعندما قرر «والاتش» الاستمرار في مشروعه توقفت عنه فجأة دعوات السفارة الإسرائيلية إلى حفلات الاستقبال وماذب العشاء ، حتى أن إعلامه بمواعيد المؤتمرات الصحفية توقف فترة من الزمن^(٢) .

ثالثاً : السينما :

أدركت الحركة الصهيونية ، منذ ما قبل إنشاء «دولة إسرائيل» ، أهمية السينما كوسيلة من وسائل الثقافة والإعلام ، والتأثير على الرأي العام ، بما يخدم المخطط السياسي الصهيوني

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٩ .

(١) فيندلي ص ٣٩٦ و ٣٩٨ .

على المدى البعيد . ومن أجل ذلك اتجهت إلى توظيف قدر كبير من أموال الأثرياء اليهود في الانتاج السينمائي ، لخدمة الأهداف الصهيونية بأساليب إيحائية مدرستة . ومن المعروف أن لليهود نفوذاً كبيراً في كبريات شركات السينما العالمية مثل شركة مترو غولدن ماير (M.G.M) ، وشركة فوكس للقرن العشرين (Fox 20th Century الأميركيتين^(١) ، وشركة « لوكس » في إيطاليا ، وشركة « الفنانين المتحدين » في فرنسا^(٢) .

ويتوخى الممولون الصهاينة إنتاج أفلام ضخمة تستخدم فيها أحدث التقنيات السينمائية ، وذلك لجلب أكبر عدد من الجمهور ، وهم بذلك يحققون هدفين في آن معاً : خدمة الدعاية الصهيونية ، وتوظيف أموالهم في مشاريع تجارية تعود عليهم بالأرباح الطائلة ، ومن هذا القبيل فيلم « الوصايا العشر » ، الذي اعتبر أضخم إنتاج أميركي صهيوني في أميركا سنة ١٩٥٦ ، وجرى تصوير جانب كبير منه في مصر ، وبلغت تكاليف إنتاجه حينئذ ١٣,٥ مليون دولار أميركي^(٣) ، وفيلم « أرض الفراعنة » ، الذي صور خلال الفترة نفسها ، وفيلم « سليمان وملكة سبا » ، وفيلم « ابن حور » سنة ١٩٥٩ ، وفيهما « المرعى والملك » و « أستير والملك » سنة ١٩٦٠^(٤) .

وفي هذه الأفلام تتدخل الحوادث التاريخية بالمفاهيم

(١) نايدو ص ١٩

(٢) بوغال وبوريكي - أساليب السينما الصهيونية - ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٦ .

اليهودية الواردة في أسفار «العهد القديم». وبالرغم من الخلافات بين الكاثوليك والبروتستانت ، حول صحة بعض هذه الأسفار ، فإن المسيحيين ، بشكل عام ، يؤمنون بما ورد فيها ، وهم بذلك يتقبلون - عادة - ما تعرضه عليهم هذه الأفلام ويعتبرونها أحداً حقيقة وقعت بالفعل . غير أن الكنيسة المتحررة من النفوذ الصهيوني في أميركا أدركت ، منذ أمد بعيد ، الأخطار الأخلاقية الناتجة عن المفاهيم التي تبناها السينما الصهيونية في عقول الأميركيين ، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبته صحيفة «الأخبار المسيحية الحرة» (Christian Free News) ، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٨ ، حيث جاء فيها الآتي :

« إن صناعة السينما في أميركا هي يهودية بأكملها ويتحكم فيها اليهود دون أن يناظرهم في ذلك أحد ، ويطردون منها كل من لا يتميّز إليهم ، وجميع العاملين فيها هم إما من اليهود أو من صنائعهم ، وإن هوليود (Holywood) تعتبر اليوم « سدوم » العصر الحديث حيث تنحر الفضيلة وتشعر الرذيلة .. وتنهب الأموال .. والمشركون عليها يرغمون كل من يعمل لديهم على تعليم ونشر مخططهم الإجرامي تحت أستار خادعة كاذبة . وبهذه الأساليب أفسدوا الأخلاق في البلاد ، وقضوا على مشاعر الرجلة والإحسان وعلى المثل العليا لدى الأجيال الأميركيّة . فأوقفوا هذه الصناعة المحرّمة لأنها أصبحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعایاتهم المضللة الفاسدة »^(١) .

وغني عن البيان أنّ العقيدة الإسلامية ترفض الكثير مما

(١) المفسدون في الأرض ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

تعرضه هذه الأفلام ذات الطابع التوراتي . فعلى سبيل المثال لا نكاد نجد في الأساطير اليهودية أي أثر لمبدأ عصمة الأنبياء الذي توجبه العقيدة الإسلامية . وتصور الأفلام الدينية ، التي يتتجها اليهود ، أنبياء بني إسرائيل على أنهم أبطال دنويون ، وقادة تاريخيون ، تطغى عليهم التزعة المادية ويرتكبون الشرور أحياناً فتقودهم الأهواء والشهوات إلى ما يخالف تعاليم الرب ، وهذه هي الصورة نفسها التي تقدمها لنا أسفار « العهد القديم » ، كما نرى مثلاً عن حياة داود وسليمان^(١) . وحيث تتجاهل هذه الأسفار عقائد إيمانية أخرى مثل الحياة الآخرة ويوم القيمة والحساب ، فإن الأفلام ، التي يتتجها اليهود ، تتجاهل هي أيضاً العقائد الإيمانية الغيبية وتؤدي إلى تشويه المفاهيم الدينية وتضليل الكثirين من المسيحيين والمسلمين من ذوي الثقافة الدينية السطحية أو ذوي الاتجاه العلماني .

ولا يقتصر خطر الانتاج السينمائي الصهيوني على هذه الناحية بل يتعداه إلى ترسیخ مفاهيم حديثة طرحتها الحركة الصهيونية لتبرير اغتصاب فلسطين مثل الادعاء بأن أرض فلسطين هي « أرض الميعاد » للشعب اليهودي ، على نحو ما جاء في فيلم « أكسودوس » ، الذي أنتجته الصهيونية عام ١٩٦٠ ، وهو يروي أحداث الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وما رافقها من أعمال إرهاب واحتلال للأراضي العربية . ولكن الفيلم يحاول ، من جهة ثانية ، استدرار العطف على دولة « إسرائيل » ، من خلال تضخيم الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في « بلدان الشتات » ،

(١) راجع ما ورد حول هذا الموضوع في الفصل الأول من هذا البحث .

وبالتالي تبرير جرائمهم في فلسطين وهيجرائم يتتجاهلها الفيلم ولا يأتي على ذكر وقائعها . فالفيلم بمجمله دعاية صهيونية تعرض فكرة «الاضطهاد والانتصار» ، من وجهة نظر صهيونية . فاليهود ، في الفيلم ، ينتصرون على الاضطهاد ، ولكن كيف ؟ ليس بإزالة أسباب اضطهادهم ، وليس بالانتصار على الذين اضطهدوهم ، ولكن بتحقيق فكرة «أرض المعاد» التي يجدون فيها مبرراً كافياً لاغتصاب فلسطين وطرد شعبها من أرضه^(١) .

نوع آخر من أفلام الدعاية أنتجتها الصهيونية لترسيخ «عقدة الذنب» الجماعي لدى الشعوب الأوروبية (Guilt Complex) ، وذلك من خلال تضخيم ما يسمى «المشكلة اليهودية وألمانيا النازية» ، على نحو ما نرى في فيلم «الأستاذ مملوك» ، الذي يطرح مشكلة طرد المدرسين اليهود من الجامعات الألمانية ، وفيلي미 «الدكتاتور» و«الصلب السابع» اللذين يستغلان معاناة اليهود من النازية لإثارة الأهداف السياسية للحركة الصهيونية ، ودعوة اليهود إلى الوحدة والتمسك بالعودة إلى «أرض الأجداد» في فلسطين^(٢) .

أما فيلم «آخر المطاف» ، الذي أنتج سنة ١٩٤٧ ، فهو يركز على مشاهد العنف ، ويعتمد المبالغة في تصوير محنّة اليهود على يد النازية ، فيصور مثلاً «الأطفال المساقين إلى الأفران» في محاولة واضحة لاستغلال عاطفة المشاهد في سبيل طرح الفكرة القائلة بأن الشعب اليهودي استمر في الحياة ، رغم كل

(١) بوغالب وبوريكي ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ و ١٨ .

شيء ، وواصل كفاحه فاستحق بذلك « العودة » إلى أرض فلسطين^(١) .

وتتوالى هذه الأفلام الدعائية ، مثل فيلم « ذهب روما » وفيلم « لنذهب إلى المدينة » ، وتلتقي جميعها ، بالرغم من اختلاف المواضيع والأساليب ، على هدف واحد هو إبراز الأهداف الصهيونية وتلمسها وإيجاد المبرر التاريخي لها ، وطمس قضية الشعب الفلسطيني ، وإغفال ما ارتكبته الصهيونية من جرائم بحقه .

وهناك فئة ثالثة من الأفلام أنتجتها السينما الصهيونية على سبيل الدعاية المباشرة لـ « دولة إسرائيل » ، وادعاء حقها المزعوم في الوجود ، وإثارة « عقدة الذنب » لدى الأوروبيين بسبب ما ارتكبته أوروبا والنازية ضد اليهود . وتركز هذه الأفلام على تقدم الإسرائييليين وتختلف العرب . ويلاحظ أن معظم هذه الأفلام جرى إنتاجها في « إسرائيل » نفسها ثم عرضت في الخارج وسط حملة من الترويج والدعاية لها من قبل الحركة الصهيونية ، حيث وجد الكثير من هذه الأفلام أرضًا خصبة في البلدان الغربية مثل فيلم « الخروج » ، وفيلم « جوديت » ، وفيلم « التل ٢٤ لا يجيئ »^(٢) .

وبعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ نشطت الدعاية الصهيونية في السينما بشكل ملحوظ وأصبحت تتسم بالعنصرية

(١) المرجع نفسه ص ١٨ - ١٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢ .

والفخر ، وتطورت إلى حد كبير بحيث أخذت الإدارة الإسرائيلية تعرض على الشركات السينمائية تصوير الأفلام في فلسطين المحتلة وسيناء ، مثلما حدث في فيلم «موسى» ، الذي أنتجه شركة «أي . تي . سي» البريطانية والتلفزيون الإيطالي سنة ١٩٧٥ ، وجرى تصوير جانب كبير منه في سيناء وفلسطين المحتلين . وجاء الفيلم بأسلوب دعائي لترسيخ الفكرة الصهيونية إذ يطمس الوجود التاريخي للأرض فلسطين ويحولها إلى «أرض إسرائيل» .

وقد قدمت السلطات الإسرائيلية مساعدات لمنتجي هذا الفيلم على شكل خدمات قدرت قيمتها بحوالي مليون دولار أمريكي . وحيث أن الفيلم يعرض قصة النبي موسى (عليه السلام) بأسلوب دعائي يضفي عليها صبغة الحاضر لتبرير اغتصاب فلسطين ، فقد اعتبره القادة الصهاينة إنجازاً دعائياً ينبغي الإفادة منه على أوسع نطاق ، حيث عملت الحركة الصهيونية في العالم على تأمين عرضه في تلفزيونات أوروبا وأميركا على سبع حلقات ، كما أوعز «اللوبي» الصهيوني في أميركا إلى شركة «جنرال موتورز» الأميركية بدفع خمسة ملايين دولار من أصل تكاليف الفيلم التي بلغت عشرة ملايين دولار مقابل الدعاية لهذه الشركة أثناء عرض الفيلم في التلفزيون الأميركي فقط^(١) .

ومما يدعو إلى الأسف أن أساليب العمل الصهيونية نجحت في استغلال بعض الدول العربية لتصوير أفلام دعائية صهيونية مثل فيلم «الوصايا العشر» الذي صور قسم كبير منه في مصر ،

(١) بوغالب وبوريكي ص ٢٢ - ٢٣ .

كما أشرنا قبل قليل ، وفيلم « الأطفال يسألون لماذا » ؟ الذي جرى تصويره في تونس ، وينطوي على تزييف للحقائق في فلسطين فيتحدث عن « الإرهاب العربي للصهاينة » ، ثم يعرض طفلة إسرائيلية وطفلاً عربياً ينشأا بينهما « حب بريء » ، ويستغل الفيلم هذه الفكرة لطرح التساؤلات عن الجدوى من الحرب بين العرب وإسرائيل (على لسان هذين الطفلين) محاولاً الإيحاء للمشاهد بأن « إسرائيل » دولة قائمة وأمر واقع مع إغفال تام لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ^(١) .

ومن الملاحظ أن السينما الإسرائيلية ، بدعم ومساعدة من الصهيونية العالمية ، شارك في المهرجانات السينمائية الدولية ، ويتسلل إلى هذه المهرجانات عملاً الإعلام الصهيوني ، من كتاب وصحافيين ومكاتب اتصال وعلاقات عامة ، لدعم الوفوود الإسرائيلي التي تنشط في بث الدعاية الصهيونية من خلال اتصالات بوفود الدول المشاركة وتزويدها بالمطبوعات الدعائية لإسرائيل والصهيونية وتقديم العروض والتسهيلات للسينمائيين الذين يرغبون في تصوير أفلامهم في فلسطين المحتلة ^(٢) . وقد تجاوالت شركات سينمائية عالمية مع هذه العروض منها شركة « هوليوود » (Holywood) .

ولكن الجدير باللحظة أن نتائج حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ قد أثرت سلبياً على هذا التعاون السينمائي المشترك . ففي حين شهد العام ١٩٧٢ إنتاج أحد عشر فيلماً

(١) المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥ - ٢٦ .

وتصویرها داخل فلسطين المحتلة ، نجد أن العدد انخفض إلى
ثمانية أفلام في عام ١٩٧٤ ، وثلاثة أفلام عام ١٩٧٥ ، ومثلها
عام ١٩٧٦ ، وأربعة أفلام عام ١٩٧٧ ، وبقي العدد مثلها في عام
١٩٧٨ .^(١)

وفي هذه الظاهرة دليل واضح على أن الانهزام العربي يقدم
للهويون الأجراء الملائمة في العالم لتأجيج إعلامها الدعائي ،
بينما تداعى أساليب العمل الصهيوني عندما يكون العرب في
موقع قوي . فالقوى هو الأكثر قدرة على الإقناع في العرف
الدولي ، وعندما يجد العرب أنفسهم ، ويدعمون الحق العربي
في فلسطين بالقوة ، يصبح الرأي العام العالمي أكثر استعداداً
لسماعهم والاعتراف بحقوقهم المشروعة . وبذلك نجد أن الدولة
الصهيونية لا تستمد قوتها من الدعم الخارجي ، المتمثل
بالمساعدات الأمريكية والأوروبية فحسب ، بل من ضعف العرب
أنفسهم أيضاً ، وتفرقهم عن حقوقهم العادلة . ومن المؤسف أن
الإعلام العربي لا يحسن توظيف التأييد ، الذي يصدر عن بعض
الشخصيات المرموقة في الغرب ، من أجل توضيح الحقائق التي
يطمسها الإعلام الصهيوني في أوروبا وأميركا . وكثيراً ما يدفع
سياسيون ، ومسؤولون ، ورجال إعلام ، وأساتذة جامعات ثمناً
باهظاً من مراكزهم ومصالحهم ومستقبلهم عندما يتجرأون على
النطق بكلمة حق عن القضية الفلسطينية ، أو المطالبة بحل عادل
في الشرق الأوسط ، أو مخالفة التفسير الإسرائيلي لمجريات
الأحداث بين العرب وإسرائيل في هذه المنطقة من العالم .

(١) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

وهناك لائحة طويلة من السياسيين والعامليين في الحقل العام الأميركيين ممن كانوا ضحايا آرائهم المنصفة حول الصراع العربي - الإسرائيلي حيث لاحقتهم ضغوط «اللوي» اليهودي ، في كل ميادين نشاطهم ، محاولة القضاء عليهم بكل الوسائل الممكنة وجعلهم عبّرة لسواهم^(١) . وبما أننا نتحدث عن السينما فيحسن أن نورد مثلاً على ذلك الممثلة البريطانية «فانيسا ردغريف» ، التي عرف عنها تأييدها لضال الشعب الفلسطيني ودعم قضيته وحقوقه العادلة . ففي سنة ١٩٧٨ تظاهرت «رابطة الدفاع اليهودية» خلال الاحتفال الذي نالت فيه «ردغريف» جائزة «الأوسكار» على دورها في فيلم «جوليا» ، وكان المتظاهرون يتحجون لأن «ردغريف» علقت بصوتها على فيلم وثائقي عنوانه «الفلسطينيون» ، وقدمت دعماً مالياً لهذا الفيلم^(٢) . وفي سنة ١٩٨٢ اضطرت أوركسترا بوسطن السيمفونية إلى إلغاء برنامج على حلقات كان يفترض أن تقوم «فانيسا ردغريف» بالتعليق فيه ، وجاء الإلغاء تحت وطأة «صيحات الجالية اليهودية القوية»^(٣) . وفي سنة ١٩٨٣ تلقت «ردغريف» تهديداً بالقتل في مدينة «بوسطن» الأمريكية لأنها شاركت في برنامج يديره الأميركيون من أصل عربي .

أما الممثل الأميركي الهزلي «بوب هوب» فقد بلغ به

(١) يمكن الإطلاع على تفاصيل وافية بهذا الشأن في كتاب النائب الأميركي السابق «بول فيندلي» «من يجرؤ على الكلام» (They dare to Speak)

(٢) فيندلي ص ٤٧٨ .

(٣) فيندلي ص ٤٨٠ .

الرطوش للضغط الصهيوني إلى حد الحنث وبعد قطعه للنائب الأميركي السابق «بول فيندلي» بدعم حملته الانتخابية سنة ١٩٨٠ ، وذلك لأن مواقف فيندلي السياسية حيال الشرق الأوسط لم تلق القبول لدى «اللوي» اليهودي^(١) .

ومن المؤسف أن رد الفعل العربي حيال هذه الواقع لا يأتي بالمستوى المطلوب بالرغم من القدرات المالية الضخمة لبعض الدول العربية و مجالات التحرك الواسعة المفتوحة أمامها في وسائل الإعلام العالمية .

خاتمة

وخلاصة القول إن الإعلام الصهيوني لديه من الوسائل والأساليب والانتشار الواسع في العالم ، ولا سيما في أميركا ، ما يجعله قادرًا على خدمة الأهداف السياسية الصهيونية بفاعلية كبيرة ، وتوجيه الرأي العام العالمي لمصلحة «إسرائيل» . ومن أبرز سمات الإعلام الصهيوني أن القائمين عليه يحرصون على إخفاء هويته اليهودية لإظهاره بمظهر الموضوعية والتجرد . وقد مر معنا أن السرية في العمل تصبح النشاطات اليهودية كافة ومنها النشاط الإعلامي ، وذلك وفق استراتيجية عامة قوامها المبدأ القائل إن العمل السري أكثر قدرة على تحقيق الأهداف المطلوبة ولديه مجال أكبر لحرية التحرك وخدمة أغراض اليهود في العالم . ويمكن أن نلمس بوضوح الخطوط العريضة لهذه الاستراتيجية في بعض الوثائق السرية المنسوبة إلى اليهود ، ومنها

(١) فيندلي ص ٣٥ - ٣٦ .

«برتوكولات حكماء صهيون» التي اكتشفت في مطلع هذا القرن يوم كانت الصحافة ودور النشر هي الوسائل الإعلامية المتاحة قبل اختراع السينما والتلفزيون . ويتضمن البروتوكول الثاني عشر الأسس العامة لل استراتيجية الإعلامية الصهيونية ، وهي تنطبق على وسائل الإعلام كافة بالرغم من اختلاف أشكالها . ونلاحظ اليوم أن الإعلام الصهيوني يسير وفق المنهج المذكور في هذا البروتوكول بشكل خاص إذ جاء فيه الآتي :

« حينما نصل إلى السلطة ستنضم هذه الوكالات (أي وكالات الأخبار) جمِيعاً إلينا ولن تنشر إلا ما نختار نحن التصريح به من الأخبار »^(١) .

وجاء فيه أيضاً : « كل إنسان يرغب في أن يصير ناشراً أو كتبياً أو طابعاً سيكون مضطراً إلى الحصول على شهادة ورخصة ستبخban منه إذا وقعت منه مخالفه »^(٢) .

وتوضح الفقرة الآتية من البروتوكول نفسه الخطة المتبعة في السيطرة على وسائل الإعلام ودور النشر : « الأدب والصحافة أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستستери حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات ، وبهذه الوسيلة سنuttle (Neutralise) التأثير السياسي لكل صحيفة مستقلة ، وننفر بسلطان كبير جداً على العقل الإنساني .. ويجب ألا يرتاب الشعب ، أقل ريبة ، من هذه الإجراءات . ولذلك فإن الصحف الدورية التي ستنشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وأرائنا فتوحي بذلك الثقة إلى القراء

(١) التونسي - البروتوكول الثاني عشر ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

وتعرض منظراً جذاباً لأعدائنا ، الذين لا يرتابون فينا ، وسيقعون لذلك في شركنا وسيكونون مجردين من القوة «^(١)».

ويعرض البروتوكول طبيعة الخطة الإعلامية الصهيونية إذ يقول : « هذه الإجراءات ، التي ستحتفظ ملاحظتها على الجمهور ، ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور .. وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهديته في المسائل السياسية حينما يكون ضرورياً لنا أن نفعل ذلك »^(٢).

(١) البروتوكول الثاني عشر ص ١٤٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٤٨ .

شكروتقدير

أتقدم ، بين يدي هذا الكتاب ، بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعد على إنجازه سواء بتقديم الفكرة القيمة أو الرأي السديد أو المرجع الملائم ، وأخص بالشكر رئيس مجلس أمناء وقف المركز الإسلامي للتربية الأستاذ توفيق راشد الحوراني والأستاذة الجامعيين الكرام (مع حفظ الألقاب) : عبد الرؤوف سنو ، أسعد السحمراني ، نايف معروف ، حسان حلاق ومحمد المجدوب .

كما أتوجه إلى « دار النفائس » بالعرفان والتقدير على مبادرتها بنشر هذا الكتاب في ظروف أقل ما يقال فيها إنها تحتاج إلى شجاعة أدبية يفتقدها الكثيرون .

رجائياً لهم جميعاً التوفيق والسداد
والحمد لله أولاً وآخرأ .

غازي محمد فريج

- ٢١ - تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - دار العلم للملائين - بيروت .
- ٢٢ - السيرة النبوية - ابن هشام - دار الكنوز الأدبية .
- ٢٣ - تاريخ الطبرى - ذخائر العرب - دار المعرف - القاهرة - الطبعة الرابعة - ١٩٧٧ م .
- ٢٤ - تاريخ الدولة العربية - الدكتور عبد العزيز سالم - مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٤ م .
- ٢٥ - الشيخان - طه حسين - دار المعارف بمصر ١٩٧٥ م .
- ٢٦ - وفيات الأعيان - ابن خلkan - دار صادر - بيروت ١٩٧٨ م .
- ٢٧ - الملل والنحل - الشهريستاني - دار المعرفة - بيروت ١٩٨٣ م .
- ٢٨ - نهج البلاغة - كتاب الشعب - القاهرة .
- ٢٩ - مقدمة ابن خلدون - دار القلم - بيروت ١٩٧٨ م .
- ٣٠ - ضحى الإسلام - أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٦ م .
- ٣١ - خطط المقرizi - طبع مصر .
- ٣٢ - رسائل ابن حزم الأندلسى - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٣٣ - الحلل السندينية - شكيب أرسلان - دار الحياة - بيروت .
- ٣٤ - أوروبا في مطلع العصور الحديثة - عبد العزيز محمد الشناوي - المكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٣٥ - المفهوم المادي للمسألة اليهودية - أبراهام ليون - دار الطليعة - بيروت ١٩٦٩ م .

- ٣٦ - قاموس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس في الشرق الأدنى .
- ٣٧ - التوراة بين الوثنية والتوحيد - سهيل ديب - دار النفائس - بيروت ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م .
- ٣٨ - التوراة ، تاريخها وغایاتها ، ترجمة وتعليق سهيل ديب - دار النفائس ، بيروت ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .
- ٣٩ - اليهودي العالمي - هنري فورد - تعریف خیری حماد ، بيروت المکتب التجاری .
- ٤٠ - عالم المعرفة - الصهيونية غير اليهودية - ریجينا الشریف - عدد (ديسمبر) كانون الأول ١٩٨٥ م .
- ٤١ - المفسدون في الأرض - س. ناجي - العربي للإعلان والطباعة والنشر - دمشق ١٩٧٣ م .
- ٤٢ - الفكرة الصهيونية - النصوص الأساسية - مركز الأبحاث الفلسطينية - بيروت حزيران (يونيو) ١٩٧٠ م .
- ٤٣ - حياة دزرائيلي - أندریه موروا - نقله إلى العربية حسن محمود - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٣ م .
- ٤٤ - أسرار الماسونية (السر المقصون في شيعة الفرماسون) - الأب لويس شيخو - دار البصرى - بغداد ، ١٩٦٥ م .
- ٤٥ - حقيقة الماسونية - محمد علي الزعبي - مؤسسة مطابع معنوق اخوان - بيروت ١٩٧٤ م .
- ٤٦ - اليهود والسياسة الأميركية - ستيفن د. إيزاكس - دار الاتحاد - بيروت ١٩٧٦ م .
- ٤٧ - التأثير اليهودي في السياسة الخارجية الأميركية - أي - ج - نايدو ، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ١٩٨٠ م .

- ٤٨ - من يجرؤ على الكلام - بول فيندي - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت ١٩٨٥ م .
- ٤٩ - إسرائيليات القرآن - محمد جواد مغنية - دار الجواب - بيروت ١٩٨١ م .
- ٥٠ - تاريخ الماسونية - ترجمة عوض الخوري - دار البصري - بغداد ١٩٦٥ م .
- ٥١ - عالم المعرفة - د. أمين عبد الله محمود - مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى - عدد فبراير - شباط ١٩٨٤ م .
- ٥٢ - العلاقات الألمانية - الفلسطينية (١٨٤١ - ١٩٤٥) ، علي محافظة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨١ م .
- ٥٣ - مذكريات السلطان عبد الحميد - ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد - دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٥٤ - دم لفطير صهيون - نجيب الكنيلاني - دار النفائس - بيروت .
- ٥٥ - الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (١٨٦٤ - ١٩١٤) دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
- ٥٦ - يوميات الغزو الإسرائيلي - المركز العربي للمعلومات - توزيع دار الأندلس بيروت ١٩٨٣ م .
- ٥٧ - حرب الألف سنة - جوناثان راندل - ترجمة بشار رضا - بيروت ١٩٨٤ م .
- ٥٨ - أساليب السينما الصهيونية - بوغالب وبوريكي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ م .

باللغة الإنجليزية

- 1 - **The Jews, their religion and Culture**, Louis Finkelstein
Schocken books, Newyork 1971.
- 2 - **A History of the Jews in Babylonia**, Jacob Neusner,
Leiden, E.J.Brill, 1968.
- 3 - **History of the Jews**, Simon Dubnov. Translated by
Moshe Spiegel, 1969. By A.S. Barnes and Co. Inc.
- 4 - **The Jewish Encyclopedia**.
- 5 - **Encyclopedia of Religion and Ethics**.
- 6 - **Khamsin Journal N°8 and N°9**. London Ithaca Press-
and Anchor Press Ltd.
- 7 - **The Jews of the Middle East (1860- 1972)** Hayim Kohen.
- 8 - **Muhammad and the Jews of Madina**. Julius Wellhausen.
Translated by Wolfgang H.Behn. Berlin- Adiyok, 1982.
- 9 - **The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid
Caliphs**, Jacob Mann, Oxford University Press.
- 10- **Germany, Turkey and Zionism**, Isaiah Friedman, Ox-
ford Press, Britain 1977.
- 11- **The united states in the Middle East**, Seth. P.Tillman.
Indiana University Press, Bloomington, 1982.
- 12- **Journey into the Jewish Mind**, Raphael Patai, Charle's
Scribner's, Newyork.
- 13- **Encyclopedia International**. Vol. 16. Lexion Publica-
tions Inc.
- 14- **The British Consulate in Jerusalem**. Albert Hyamson
Part (1) Published by Edward Goldston Ltd. W.C.

- 15- **Newyork Jews and the Quest for Community.** Newyork-London- Colombia University Press.
- 16- **Crime and No Punishment. Zionist- Israeli Terrorism (1939- 1972)** Sami Hadawi.
- 17- **Ennes-** Interview, April, 30- 1983.
- 18- **Middle East Respective,** June 1981. And **Washington Post** July 18, 1982.
- 19- **Newyork Magazine,** June 14, 1971.
- 20- **B'irth Messenger,** August 7,1981.
- 21- **Palo Alto Times Tribune,** August 17, 1982.
- 22- **Heritage and South west Jewish Press** (California) August 7,1981.
- 23- **San Francisco Examiner,** August 26. 1981.
- 24- **Heritage and South west Jewish Press,** August 7, 1981.
- 25- **The Decline and Fall of the Roman Empire.** Edward Gibbon. The Modern Library. Newyork, Random House Inc.
- 26- **The Rise of the House of Rothschild.**
- 27- **The Jewish Immigrant in England (1870- 1914)** Lloyd P. Gartner. Detroit. Wayne State- University Press 1960.
- 28- **A.History of Russia,** Bernard Pare. Published by Methuen Co. Ltd. London 1962.
- 29- **The Decline Of Imperial Russia.** Seton Wetson, Printed and Bound in Great Britain By Buttler- Ranner Ltd.

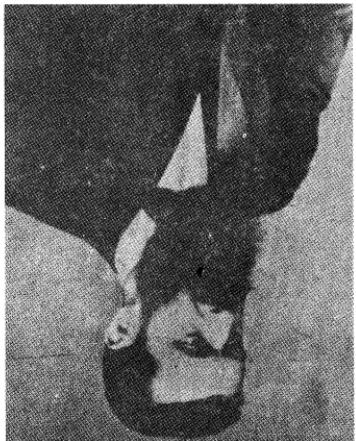


«مذبحة العصر» في مخيمي صبرا وشاتيلا أثناء الاجتياح الإسرائيلي
للأراضي اللبنانية صيف سنة ١٩٨٢ .



تعاليم الإبادة
التلمودية كما
نفذت بالمدنيين
العزل في
مخيم شاتيلا.

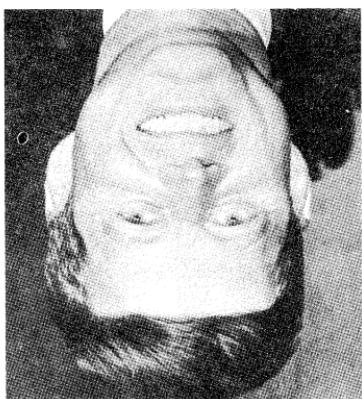
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏



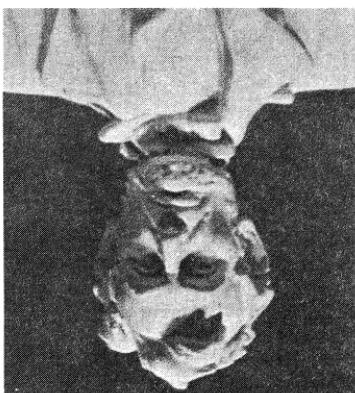
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏



မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏

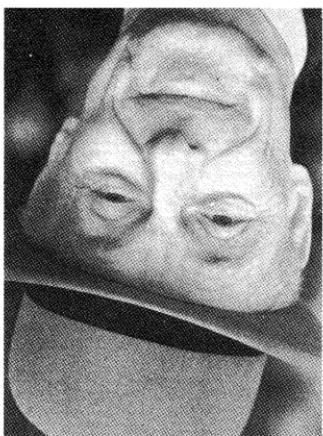


မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏
မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏ မြန်မာ့၏

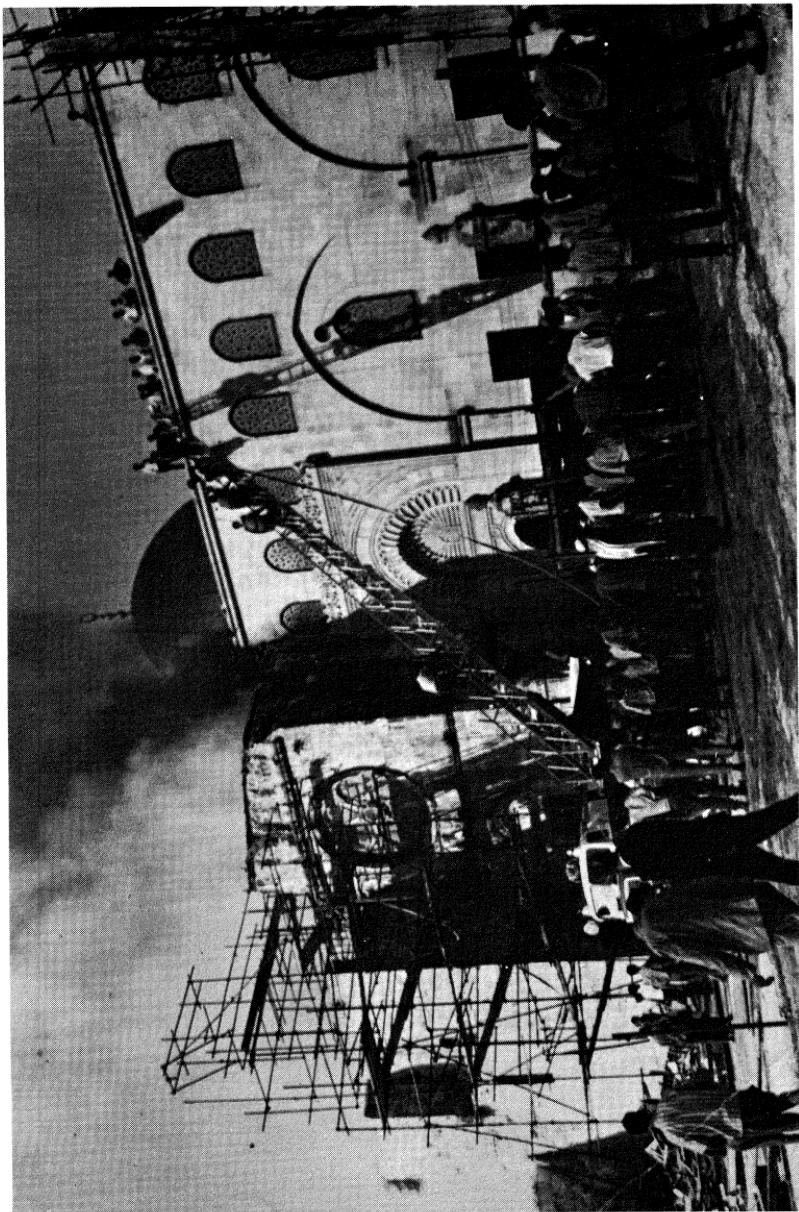


နိုင်ကြပ်ချောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အသိသော်လည်းကောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း
မြတ်စွာကြပ်ချောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း

အရှင်ချောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း
မြတ်စွာကြပ်ချောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အရှင်ချောင်း၊ မြတ်စွာကြပ်ချောင်း

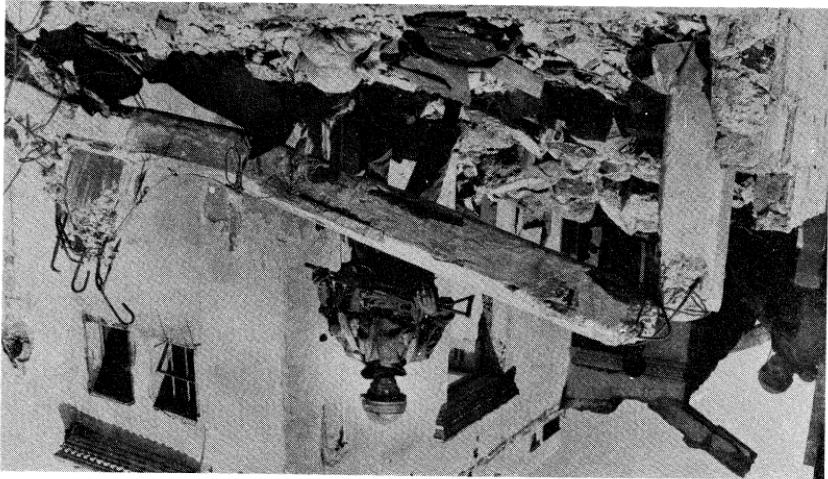


အမြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အမြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အမြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အမြတ်စွာကြပ်ချောင်း
အမြတ်စွာကြပ်ချောင်း

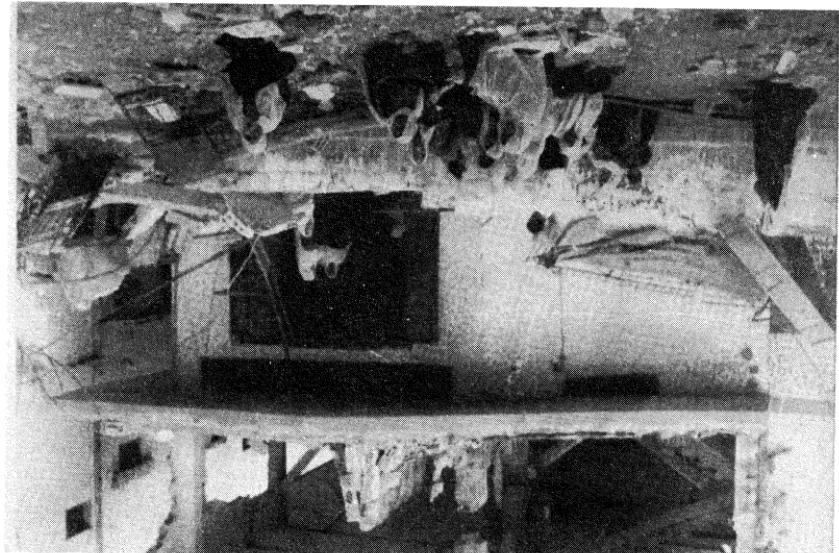


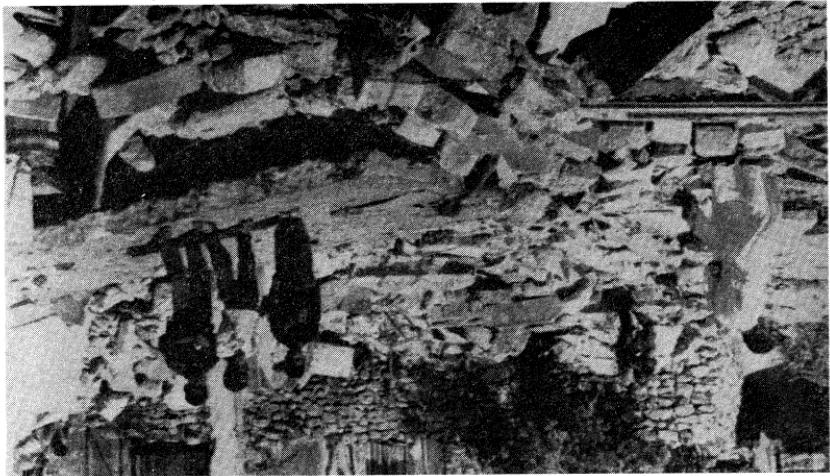
يحرقون المسجد الأقصى ليحموا هيكل سليمان المزعوم على أنفاسه (الصورة للحرير الأول سنة ١٩٦٩)

«لست بِكُلِّ شَيْءٍ إِنَّمَا أَنَا بِكُلِّ شَيْءٍ مُّهِمٌ»



፩፻፭፻ (፳፻፭፻) የፌዴራል ተስፋ ንግድ የፌዴራል ስምምነት መረጃ





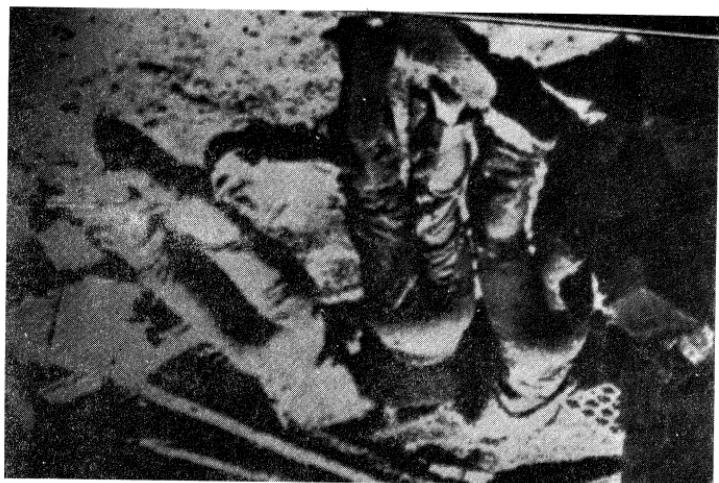
• ፳፻፲፭ | የዚህ በቃል ስለሚከተሉት ነው፡፡



।၊၊၊၊
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃



၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃
၁၈၇၆၃

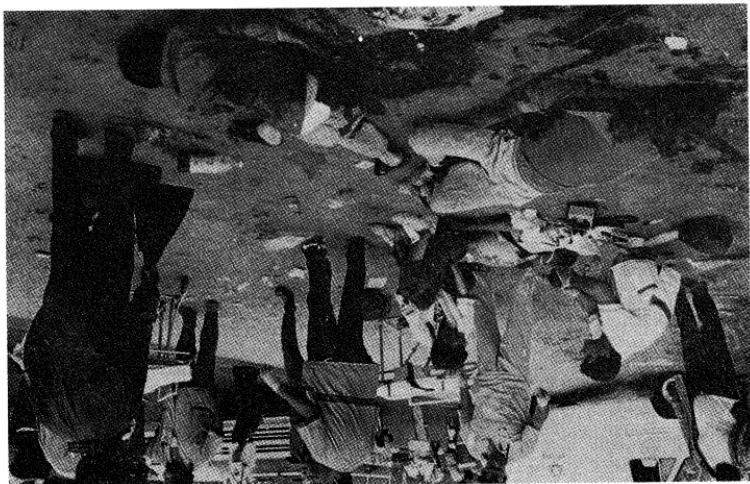


ଶ୍ରୀ କମଳାନନ୍ଦ
ପୁଷ୍ଟିକାରୀ
ନିଜମାନ
ଅଧିକାରୀ



ଶ୍ରୀ କମଳାନନ୍ଦ

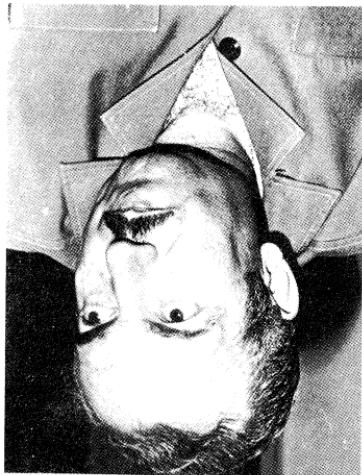
အလုပ်မြတ်ပုံ
အနေဖြင့်
အိမ်အမြတ်ပုံ
၁၄၄၁ ခုနှစ်၊ ၂၀၁၅
ခုနှစ်၊ ၁၇၂၀ (၁၉၃၀)
«အနေပါန်း၊ ရန်း»
မြတ်ပုံ



અનુભૂતિ પ્રાપ્તિની જીવનશૈલી



અનુભૂતિ પ્રાપ્તિની
જીવનશૈલી
નામણન
નિઃસ્તોચન (સાધી માટે)



.....	٦
.....	٦٧
.....	٣٧
.....	١٧
.....	٦٨
.....	٦٨
.....	٦٨
.....	٨٢
.....	٦٣
.....	٠٣
.....	٦٤
.....	٦٦
.....	٦٦
.....	٥١
.....	٨
.....	٥
<hr/>	
.....	٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ပုံစံ: ၀၁၁၀၆

၁၃၇	၁၂၁
ရုပ်သူ။ ဂျောက်နှု	၃၁၈
၁၃၈	၉၀၄
၁၃၉	၈၀၄
၁၄၀	၃၆၁
၁၄၁	၀၆၁
၁၄၂	၇၈၈
၁၄၃	၁၈၁
၁၄၄	၁၀၅
၁၄၅	၇၄၄
၁၄၆	၂၁၂